فيلم «لورو» وتصفية الحساب مع بيرلسكوني

ص15

فرحات مهني

زعيم انفصالي يتربص بأمازيغ الجزائر

ص8

العنف ضد المرأة.. بين الدين وإغفال الزمن

ص20

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2019/05/05

30 شعبان 1440

السنة 41 العدد 11339

Sunday 05/05/2019

41st Year, Issue 11339

إقليم كردستان سوريا يتشكّل على صيغة كردستان العراق

وضوح الأفق

دمشق - لم تخف السلطات السورية قلقها من تزايد نفوذ الأكراد شرق الفرات، ووصفت مواقف صدرت عن مؤتمر للعشائر في المناطق الواقعة تحت سيطرتها بأنه "خيانة"، والأمر نفسه صدر عن الخارجية الروسية التي اعتبرت أن الأكراد يسعون لـ"إنشاء كيان شبه دولة"، في وقت يتضح فيه أن ظروفا محلية سورية وإقليمية ودولية تعبّد الطريق لتثبيت إقليم كردستان سوريا على صيغة كردستان العراق.

ورغم الانزعاج السوري والروسي، فإن الأكراد يرفعون من سقف حماسهم للتوصل إلى إقليم خاص يقيمون فيه حكما ذاتيا موسعا أقرب إلى الاستقلال خاصة مع تحوّزهم على أهم آبار النفط والغاز.

وكشفت الأشهر الأخيرة أن الأكراد يحوزون على دعم جدي من الولايات المتحدة التي قابلت التهويش الكلامي لتركيا بحزم، ودفعت الرئيس رجب طيب أردوغان إلى التسليم بالأمر الواقع.

كما يحوزون على دعم معنوي، دبلوماسي وحقوقي وإعلامي، أوروبي في وجه الصلف التركي، وهو ما عكسه لقاء أخير جمع الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون مع وفد من قوات سوريا الديمقراطية (قسد)، وأكد فيه دعم فرنسا لهم وأشاد بدورهم الحاسم في مكافحة خطر تنظيم داعش.

ورغم تعدّد التهديدات ومصادرها، فإن الأكراد لديهم اليد العليا في مناطقهم وهم محميون من الطيران الغربي، في صورة أشبه بمنطقة الحظر الجوي في التسعينات التي أقامتها الولايات المتحدة لمنع الطيران العراقي من استهداف مواقع كردية عراقية.

مظلوم عبدي

لا حل مع نظام الأسد إلا من خلال الاعتراف بالإدارة الذاتية

وساهم الدعم الأميركي حينها في نشأة حكومة إقليمية في كردستان العراق لا تزال صامدة إلى اليوم، ووقتها تذمّر الرئيس العراقي الراحل صدام حسين من الواقع الجديد، ولكنه رضخ للأمر الواقع، مثلما تتجه الأمور الآن بالرئيس السوري بشار الأسد رغم الإغراءات والمزايا التي يعرضها أحيانا على الأكراد، ويلوّح بالاجتياح العسكري لترهيبهم أحيانا أخرى، ولكن دون نتائج.

ويقول مراقبون إن الدعم الخارجي ليس وحده الذي يغذي الحلم الكردي، ولكن أيضا، فإن الميزة المهمة للأكراد هي علمانيتهم مما يجعلهم يستقطبون التيارات المحلية لصالحهم.

ويجتذب الأكراد الآن العشائر العربية لصالحهم بعد أن انضم إليهم المسيحيون، مستفيدين من النجاحات العسكرية في الحرب على داعش ودورهم في تحرير مناطق الإيزيديين واستعادة أسراهم خاصة من النساء.

ويشير المراقبون إلى أن الأكراد بانفتاحهم على العشائر العربية إنما يجربون نفس الطريقة التي تعاملت بها الحكومة السورية، وقبلها العراقية، لاستقطاب بعض العشائر الكردية وتقريبها لضرب الأكراد أنفسهم.

وندّد مصدر سوري بمؤتمر للعشائر تنظمه قوات سوريا الديمقراطية المدعومة من التحالف الدولي بقيادة واشنطن في مدينة عين عيسى (شمال) بوصفه بـ"الخيانة"، بحسب ما أوردت وكالة سانا الرسمية.

وقال المصدر المسؤول في وزارة الخارجية السورية في تصريح لوكالة سانا، مساء الجمعة، إن المؤتمر الذي انعقد في منطقة "تسيطر عليها ميليشيات مسلحة تابعة للولايات المتحدة الأميركية ودول غربية أخرى (...) مني بالفشل بعد مقاطعة معظم العشائر العربية الأصيلة له".

ويرى متابعون أن القلق الرسمي السوري من المؤتمر يعود إلى استشعار دمشق أن خطط الأكراد تتجاوز تحالفات ظرفية بوجه داعش أو تركيا أو حتى النظام نفسه إلى مرحلة أخطر تقوم على التطبيع مع "حالة الاستقلال" التي أخرجها الأكراد من مرحلة الممكن إلى حالة الأمر الواقع، وهو ما يظهره رفضهم لأي شكل من التقارب مع النظام يفقدهم الهيمنة الكاملة على مناطق نفوذهم.

ورفض مظلوم عبدي، القائد العام لقوات سوريا الديمقراطية التي تضم فصائل كردية وعربية، خلال المؤتمر الذي عقد، الجمعة، أسلوب "المصالحات" الذي تقترحه دمشق من أجل تحديد مصير مناطق سيطرة الأكراد.

وتصاعد نفوذ الأكراد مع اتساع رقعة النزاع في سوريا منذ العام 2012 بعدما ظلوا لعقود مهمشين، مقابل تقلّص سلطة النظام في المناطق ذات الغالبية الكردية، وبعد تمكنهم لاحقا من طرد تنظيم داعش من مناطق واسعة في شمال وشمال شرق سوريا.

ويطالب الأكراد باعتراف رسمي من دمشق، ليس فقط بحكم محلي ذي صلاحيات واسعة، ولكن أيضا بالتعاطي مع الوضع الحالي كأمر واقع، بما في ذلك سيطرة "قسد" وقيادتها لنضال الأكراد من أجل تثبيت مكاسبهم.

وشدّد عبدي على أنه "لا يمكن الوصول إلى سوريا الديمقراطية من دون الاعتراف بحقوق الشعب الكردي دستوريا، ولا يمكن الوصول إلى الحل من دون الاعتراف بالإدارة الذاتية التي تخدم مكونات المنطقة"، موضحا أن "الوصول إلى الحل لا يتحقق إلا من خلال القبول بخصوصية قوات سوريا الديمقراطية ودورها في حماية هذه المنطقة مستقبلا، فكما قامت بتحريرها، فهي جديرة بأن تحظى بخصوصية في سوريا المستقبل".

من جهتها، هاجمت الخارجية الروسية في بيان لها تنظيم ملتقى للعشائر السورية، واعتبرت أنّ اجتماعات الأكراد مع العشائر السورية تهدف إلى تقويض منصة أستانة.

وأشار البيان الروسي إلى أن بعض الجماعات الانفصالية، وبدعم من الولايات المتحدة، تسعى لـ"إنشاء كيان شبه دولة" شرق الفرات.

وتعتقد أوساط كردية أن الخطوات التي يقطعها الأكراد حاليا معرضة للانتكاس إذا لم تبادر المجموعات المختلفة إلى بناء حوار داخلي حول مستقبل إدارة الإقليم، وتقديم رؤية مشتركة يتم التفاوض وفقها مع النظام، والتحرك بها خارجيا، مشيرة إلى أن أكراد العراق ظل العامل الذاتي أحد العناصر الرئيسية المعيقة لخططهم طيلة العقود الأخيرة.

ورغم الدعم الأميركي والأوروبي، فإن الأكراد لم يتمكنوا بعد من بناء علاقات دولية جيدة ومتعددة، ولا من الحصول على الاعتراف بإدارتهم الذاتية في سوريا، ولم يسمح لهم بالمشاركة بوفد كردي مستقل يمثلهم في المؤتمرات الدولية التي ناقشت الوضع في سوريا.

داعش يفتح جبهة سبها لتخفيف الضغط على ميليشيات طرابلس

طرابلس – عكس الهجوم الذي نفذه تنظيم داعش على معسكر للجيش الوطني الليبي في مدينة سبها جنوبا وجود تكامل في الأدوار بين التنظيم الإرهابي والميليشيات المتمركزة في العاصمة الليبية، وأن الهدف كان تخفيف الضغط على تلك الميليشيات التي باتت تتعرّض لخسائر كبيرة فيما يحقق الجيش نجاحات ميدانية ودبلوماسية.

يأتي هذا فيما يسلط هذا الهجوم الضوء على الدور الذي يلعبه الجيش في مواجهة التنظيمات الإرهابية في الغرب كما في الجنوب وقبلها في الشرق، وهو ما يقوي مشروعيته إقليميا ودوليا كقوة حقيقية قادرة على ضبط الاستقرار ومواجهة الانفلات الأمني سواء أكانت وراءه مجموعات إرهابية أم شبكات للاتجار وتهريب البشر.

وقالت إدارة مستشفى سبها إن تسعة جنود قتلوا، السبت، في هجوم أعلن تنظيم الدولة الإسلامية المسؤولية عنه على معسكر تدريب تابع للجيش الوطني الليبي بقيادة المشير خليفة حفتر.

ووقع الهجوم في مدينة سبها الواقعة في منطقة بجنوب ليبيا المنتج للنفط تستهدفها الجماعات المسلحة التي تستغل حالة الفراغ الأمني.

وتتركز القوات التابعة لحفتر في الشمال الغربي حيث خاضت خلال الشهر الماضي معارك بهدف انتزاع السيطرة على العاصمة طرابلس من ميليشيات إسلامية تتخفّى وراء حكومة الوفاق الوطني.

وقال سكان إن حدة الاشتباكات زادت خلال الليل في الضواحي الجنوبية لطرابلس حيث تبادلت القوات المتناحرة القصف بالمدفعية.

وأعلن تنظيم داعش مسؤوليته عن الهجوم في بيان نشره على الإنترنت أن مقاتليه قتلوا أو أصابوا 16 شخصا وأطلقوا سراح سجناء.

وقال مصدر عسكري إن سجنا داخل معسكر جبريل بابا تعرض لاقتحام لكنه لم يذكر تفاصيل. وذكر مستشفى سبها على موقعه على الإنترنت أن عدد القتلى تسعة.

وقال متابعون للشأن الليبي من معلومات عن هروب العشرات من المنتمين إلى داعش كانت وكالة الأناضول التركية قد انفردت دون سواها من الوكالات بالإشارة إليها حين تحدثت عن فرار قرابة 200 سجين، معتبرين أن الغرض من تلك المعلومات التضخيم الإعلامي ومحاولة التخويف من مآلات عملية طرابلس والسعي إلى تحويل التعاطف الدولي مع حفتر إلى قلق وتوجس.

وأشاروا إلى أن هناك محاولة لخلط الأوراق وتحميل الجيش مسؤولية إحياء أنشطة داعش مثلما ورد في بيان المجلس الرئاسي الليبي بقيادة فايز السراج الذي أصدر بيانا يحمل فيه حفتر مسؤولية "عودة داعش"، لافتين إلى أن هذا الظهور يؤكد مصداقية خطاب قيادة الجيش، وأنها تقاتل فعليا التنظيمات المتشددة سواء التي فرت من سرت أو التي تتسلل من دول الساحل.

وقال عميد بلدية سبها حامد الخيالي "تعرض مقر مركز تدريب سبها التابع للقوات المسلحة لهجوم إرهابي فجر اليوم (السبت)، من عناصر تنظيم الدولة (الإسلامية) تساندها عناصر من مجموعات إجرامية ومرتزقة". وأضاف الخيالي "تسبب الهجوم في سقوط تسعة قتلى من العسكريين (...)، بعضهم تعرض للذبح وبعضهم أعدم رميا بالرصاص".

وألقى مصدر في الجيش الوطني الليبي باللوم في الهجوم على تنظيم داعش ومقاتلين من المعارضة التشادية.

وتقع سبها، مثل أجزاء كثيرة في الجنوب وحقوله النفطية، تحت سيطرة الجيش الوطني الليبي لكن القوات فوضت جماعات مسلحة محلية وعشائر للسيطرة على المنطقة.

ونقل الجيش الوطني الليبي القوات من معسكره الجنوبي إلى جبهة طرابلس كما نقل أسلحة ثقيلة خلال الأسبوع الماضي. لكنه لا يزال يحتفظ بالقدرة على التدخل السريع في مواجهة الميليشيات والجماعات المختلفة التي تحاول أن تنفذ عمليات سريعة ومحدودة لخطف الأضواء.

وينشط متشددون من تنظيم داعش في أقصى جنوب ليبيا إذ تقهقروا إلى هناك بعد خسارة معقلهم في مدينة سرت في ديسمبر عام 2016. لكن الجيش الوطني نجح في الحدّ من تحركهم ويطاردهم بتنسيق مع مجموعات محلية.

وفي اعتراف مفاجئ، قالت حكومة الوفاق في بيان السبت، إن 710 مقاتلين موالين لها قتلوا منذ بدء المعركة للسيطرة على العاصمة.

وقال متابعون إن هذا الرقم المرتفع للخسائر يفسر إلى حد كبير سبب الهجوم في الجنوب، وإن الميليشيات الحليفة لحكومة فايز السراج تسعى لخلق بؤر توتر من شأنها أن تدفع حفتر إلى مراجعة الهجوم، أو التخفيف منه وسحب البعض من قواته إلى مناطق أخرى، وهو ما لم يتحقق.

ودخل الهجوم الذي تشنه قوات الجيش الوطني الليبي بهدف استعادة طرابلس أسبوعه الخامس.

مصير مجهول

اعتقال «توفيق» وسعيد بوتفليقة لاسترضاء الشارع

صابر بليدي

الجزائر - تحرك الجيش الجزائري وقطع مع محرمات سابقة ليسترضي الشارع وأقدم على اعتقال واحد من أهم الشخصيات العسكرية والاستخبارية، وهو الجنرال محمد مدين المعروف بـ"توفيق".

وجاء اعتقال "توفيق" الذي اعتبر مركزا للسلطة الحقيقية على مدى سنوات من حكم الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة، فيما كان سعيد بوتفليقة واجهة مكروهة للفساد السياسي والحكومي والاقتصادي في الجزائر.

ونقلت مصادر محسوبة على المؤسسة العسكرية، أنباء عن توقيف سعيد بوتفليقة، شقيق الرئيس المتخلي عبدالعزيز بوتفليقة، ومدير جهاز الاستخبارات المنحل محمد مدين "توفيق"، وكذلك منسق مصالح الاستعلامات السابق الجنرال بشير طرطاق، للتحقيق معهم في ملفات لم يتم الكشف عنها بعد، في خطوة اعتبرها مراقبون ضربة قاصمة لنظام بوتفليقة، كونهم يمثلون الرموز القوية التي تتهم بقيادة الثورة المضادة.

لكن أوساطا محلية لم تستبعد أن تكون للاعتقال علاقة بما سبق أن أسماه قائد أركان الجيش قايد صالح، بـ"اجتماع مشبوه للعصابة الحاكمة" وهو الاجتماع الذي جمع سعيد بوتفليقة، وبشير طرطاق، والجنرال "توفيق"، فضلا عن قادة ما كان يعرف بأحزاب التحالف الرئاسي، وهم منسق جبهة التحرير الوطني سابقا معاذ بوشارب، ورؤساء كل من الحركة الشعبية عمارة بن يونس، وتجمع أمل الجزائر عمار غول، فضلا عن عناصر استخباراتية فرنسية.

وكان الجنرال بشير طرطاق، قد أقيل خلال الأسابيع الماضية من منصبه، واستعادت قيادة الأركان جهاز الاستعلامات تحت وصايتها.

وباتت المجموعة المذكورة، توصف بـ"القوة غير الدستورية"، في المفردات السياسية الجزائرية، وذلك بشهادة العديد من الرموز المحسوبة على نظام بوتفليقة، كما هو الشأن بالنسبة للرجل الثاني في حزب التجمع الوطني الديمقراطي صديق شهاب، الذي كان من المبادرين الأوائل بتوجيه أصابع الاتهام لسعيد بوتفليقة باختطاف السلطة.

كما صرح الأمين العام الجديد لحزب جبهة التحرير الوطني الحاكم محمد جميعي، خلال مغازلاته للشعب من أجل الصفح عن حزبه، بأن "جبهة التحرير الوطني كانت تحت الضغط وتشتغل بالترغيب والترهيب".

ويعتبر الثلاثي المذكور أبرز المطلوبين للحراك الشعبي، حيث حضرت صورهم وأسماؤهم في شعارات ولافتات المحتجين.

ولا يستبعد تزامن أنباء توقيف ثلاثي القوة غير الدستورية، ومنهم سعيد بوتفليقة، مع شيوع مغادرة عائلة الرئيس السابق للتراب الوطني، للتأكيد على استثنائه من صفقة عدم ملاحقة أفراد العائلة في ملفات الفساد والتسيير العبثي لمقدرات الدولة.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

العرب
الأحد 2019/05/05
السنة 41 العدد 11339

قايد صالح يناور لإبقاء الجيش نواة مركزية تفرز الرئيس الجديد

المعارضة الجزائرية تتهم المؤسسة العسكرية بخرق الدستور

تحوّل الشارع الجزائري إلى ساحة مفاوضات مفتوحة بين الحراك الشعبي وبين قيادة المؤسسة العسكرية، التي تجاوزت جميع المؤسسات المدنية في التعاطي مع التطورات المتسارعة في البلاد، وهو ما تراه أصوات معارضة تورطا مباشرا في الشأن السياسي، فيما يتخوف الجزائريون مما أسموه بـ"وصاية الجيش على الحراك".

صابر بليدي
صحافي جزائري

الجزائر - انتقدت زعيمة حزب العمال اليساري المعارض لويزة حنون، الرجل الأول في المؤسسة العسكرية الجنرال أحمد قايد صالح، على خلفية ما أسمته بـ"التدخل المباشر والمفضوح في الشأن السياسي، رغم مزاعم الالتزام بالمهام الدستورية، وخطاب النأي بالمؤسسة عن التجاذبات الداخلية".

ومنذ اندلاع فعاليات الحراك الشعبي الجزائري في فبراير الماضي، بات قائد الأركان، الشخصية الأولى في البلاد، التي توجّه إليها جميع الأنظار للحسم في التطورات الداخلية، رغم أن وظيفته العسكرية لا تسمح له بالخوض البتة في الشأن السياسي.

ووجّه الجنرال قايد صالح، منذ منتصف فبراير الماضي، كلمة للرأي العام، وهو يرتدي البزة العسكرية ومن داخل الثكنات، الأمر الذي يدرجه البعض في خانة العسكري المنقلب، رغم تمسكه في كل مرة باحترام الدستور، وبمعالجة الأزمة في إطار الأحكام التي تمليها الوثيقة الأولى في البلاد.

وصرحت لويزة حنون، في ندوة صحافية، بأن "هناك خرق واضح للدستور من قبل نائب وزير الدفاع الوطني ويجب تأكيد ذلك، وقد التفت السلطة بطريقة عجيبة على الدستور، فالتعيينات التي يقوم بها عبدالقادر بن صالح غير قانونية".

وباستثناء الخطاب الذي وجهه للشعب، فور تنصيبه كرئيس مؤقت للبلاد، لم يصدر عن الرئيس المؤقت بن صالح، أي تعليق عن الأزمة التي تتخبط فيها البلاد، وما عدا دعوته إلى ندوة المشاورات السياسية التي قاطعها هو الآخر، فإن الرجل يلتزم الصمت ولا تتداول أخباره، إلا عن طريق قرارات تعيين وإقالة تنسب إليه، بينما توجه الأصابع للرجل الأول في المؤسسة العسكرية، بالوقوف وراء قرارات وصفت بـ"غير الدستورية".

وتبقى الرئاسة المؤقتة وحكومة تصريف الأعمال بقيادة نورالدين بدوي، من أضعف المؤسسات التي عرفتها الجزائر، حيث تجاوزتهما الأحداث تحت ضغط الحراك الشعبي المطالب برحيلهما كونهما تشكلان امتدادا لنظام بوتفليقة، وأيضا تفرد قيادة المؤسسة العسكرية بالقرار السياسي في البلاد.

ولم تشفع خطابات الجنرال قايد صالح، حول حل الأزمة في إطار المبادئ الدستورية، والانفراد بالرد الأسبوعي على مطالب المسيرات المليونية، البراءة من الضلوع في الشأن السياسي، والتخطيط لإنتاج نظام سياسي جديد لا يختلف كثيرا عن نظام بوتفليقة، تكون فيه النواة المركزية هي المؤسسة العسكرية والقيادة الحالية تحديدا.

ولم يعد الشارع مقتنعا بالحرب المعلنة على الفساد في البلاد، ومساءلة العديد من المسؤولين ورجال الأعمال المحسوبين على نظام بوتفليقة، كونه يرى أن الأولوية في الظرف الراهن هي لتحقيق التغيير الشامل وبناء مؤسسات شرعية، هي من تضطلع بالمحاسبة وإصلاح مواطن الخلل في الدولة.

وذكرت لويزة حنون، في هذا الشأن أن "طريقة محاربة الفساد استعراضية مصحوبة بالتشهير".

وتذكر مصادر مطلعة، بأن المؤسسة العسكرية عملت على اختراق الحراك الشعبي منذ الجمعة الثالثة، حيث أوعزت لعناصرها بالمشاركة بزي مدني في المظاهرات الشعبية، وحمل شعارات تؤيد الجيش، كما حاولت التأثير في بعض الناشطين الميدانيين، وحتى توزيع شعارات عليهم لحملها في المظاهرات.

وهي الخطوة التي مهدت لتثبيت نوايا القيادة العسكرية بتوظيف الحراك الشعبي، في الإطاحة بالخصوم في المؤسسات المدنية (رئاسة الجمهورية والحكومة)، والتخلص من جيوب المقاومة المحسوبة على المدير السابق لجهاز الاستخبارات المنحل الجنرال المتقاعد محمد مدين (توفيق).

انتهى زمن الخوف من الكلام في الجزائر

وتذهب تكهنات سياسية إلى أن إصرار قايد صالح، على إجراء الانتخابات الرئاسية في الرابع من يوليو المقبل، هو تمهيد لإنتاج رئيس جمهورية جديد تفرزه المؤسسة العسكرية، ليحتفظ بذلك العسكر، بما يعرف في الجزائر، بـ"الحق الإلهي في تعيين الرؤساء".

لكن أجندة العسكر تعترضها العديد من المعوقات الميدانية والسياسية، فهي بذلك تدخل في صدام مع الشارع الرافض لأي التفاف على مطالبه، أو تغيير نظام بنظام لا يستجيب لتطلعاته، كما أن الأجواء السائدة في الظرف الراهن لا تسمح بتنظيم هذه الانتخابات في ظرف الشهرين المتبقيين.

تونس تحبط عمليات إرهابية يخطط لتنفيذها في رمضان

تونس - أعلنت وزارة الداخلية التونسية، السبت، عن إحباط عمليات إرهابية يجري التخطيط لتنفيذها خلال شهر رمضان. وقالت الوزارة في بيان إن عناصرها الأمنية تمكنت من الحصول على معطيات مهمة، "وإحباط عمليات إرهابية يجري التخطيط لتنفيذها خلال شهر رمضان المعظم".

ويأتي ذلك استمرارا للعملية الأمنية التي تم القيام بها في محافظة القصرين غربي البلاد، الأربعاء الماضي، وأسفرت عن الإيقاع بـ"الإرهابي الخطير رائد التواتي"، بحسب البيان. وتابعت الوزارة أن الجهود لا تزال متواصلة لإلقاء القبض على عنصر "خطير فارّ"، مرتبط بالمجموعة المذكورة.

وكانت وزارة الداخلية التونسية أعلنت الأربعاء القبض على عنصر إرهابي "خطير" في المرتفعات الغربية، ينتمي إلى كتيبة عقبة بن نافع الموالية لتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي.

وفي تصريحات سابقة لسفيان السليطي، الناطق باسم القطب القضائي لمكافحة الإرهاب (مجمع قضائي مختص في قضايا مكافحة الإرهاب)، قال إن "التواتي، كنز من المعلومات". وأضاف السليطي أن التواتي كشف خلال التحقيق عن معطيات مهمة جدا، سيتم إعلانها للرأي العام في القريب العاجل.

وتابع "هذا العنصر الخطير جدا، التحق بالجماعات الإرهابية في الجبال عام 2013، وشارك في العديد من العمليات الإرهابية التي نفذتها كتيبة عقبة بن نافع، ومنها استهداف دوريات الحرس الوطني والجيش".

وفي السنوات التي تلت الثورة التونسية (2011)، اقترن شهر رمضان في تونس بالإرهاب، وهو ما جعل السلطات تزيد مستوى الحذر والاحتياط لأي خطر إرهابي قد يترصد البلاد في هذه المناسبة.

وتؤكد السلطات التونسية أنها حققت نجاحات أمنية مهمة، إلا أنها تشدّد على ضرورة مواصلة الحذر واليقظة إزاء خطر المجموعات الإرهابية.

وتعيش تونس منذ مايو 2011، أعمالا إرهابية تصاعدت منذ 2013، راح ضحيتها العشرات من الأمنيين والعسكريين والسياح الأجانب. ولطالما كانت الهجمات الإرهابية التي استهدفت تونس متركزة في الجبال، خاصة المرتفعات الغربية التي عرفت بـ"وكر تتحصن فيه الجماعات الإرهابية".

ويتحصن مسلحون في الجبال المحيطة بالقصرين وفي المرتفعات القريبة من الحدود الجزائرية بمحافظتي الكاف وجندوبة، وفي سيدي بوزيد.

ودأب مسلحون في تلك المناطق على تنفيذ عمليات سطو على المناطق السكنية وخطف رعاة ومدنيين وذبحهم لاتهامهم بالتخابر ضدهم.

الفصل 47 من الدستور يقسّم الأحزاب المغربية

محمد ماموني العلوي
صحافي مغربي

الرباط - انقسمت الأحزاب المغربية بين مؤيد لتعديل الفصل 47 من الدستور ومعارض له، بين من يرى أن الدعوات إلى تغيير تلك المادة تستهدف قطع الطريق على ترأس حزب العدالة والتنمية (إسلامي) للحكومة المقبلة أيضا، في حال تصدره للانتخابات، فيما يرى آخرون أن تعديل المادة 47 سيساهم في تعزيز التجربة الديمقراطية في المملكة.

وتعالت أصوات في الآونة الأخيرة تدعو إلى تعديل المادة 47 من الدستور في المغرب، والتي تتيح للملك تكليف شخصية من الحزب المتصدر لنتائج الانتخابات التشريعية بتشكيل الحكومة. ويريد هؤلاء السماح للملك بتعيين رئيس الحكومة من حزب آخر (غير المتصدر)، أو من تحالف أحزاب ربما يمتلك عددا من المقاعد أكثر من الحزب المتصدر.

وتفاعل سعدالدين العثماني، رئيس الحكومة المغربية والأمين العام لحزب العدالة والتنمية، مع الدعوات إلى تعديل الفصل 47 من الدستور المغربي، واصفا إياها بمثابة "شهادة يأس" بالنسبة لأصحابها. وتساءل العثماني عما إذا كان المغرب قد حل جميع مشاكله ولم يتبق سوى الفصل 47 من الدستور، داعيا الواقفين وراءها إلى ممارسة العمل السياسي الجاد وإقناع المواطنين بالتصويت عليها في الانتخابات.

وبدوره اعتبر نبيل بنعبدالله الأمين العام لحزب التقدم والاشتراكية وحليف لحكومة العثماني، أن الدعوات إلى تعديل الفصل 47 من الدستور التي يكون غرضها التعامل مع نتائج الانتخابات فقط مسألة غير سليمة ولا علاقة لها بمصلحة الوطن.

ولا تبدو الأولوية في طرح هذا التعديل لتعزيز الممارسة الديمقراطية السليمة واستقلالية الأحزاب بقدر البحث عن مكاسب انتخابية. فأن يطفو على السطح هذا النوع من النقاش السياسي مرة أخرى فهذا يعني أننا أمام ما يمكن تسميته بـ"التهرب الدستوري"، قياسا بمفهوم "التهرب الضريبي"، فكما أن التهرب الضريبي غرضه البحث عن أي وسيلة لتفادي ضريبة بوسائل ومهارات متعددة غالبها غير مشروعة، فهناك أحزاب سياسية استخدمت "التهرب الدستوري" كآلية مضمونة عندما رفعت شعار تعديل الفصل 47 للتعبير عن طموح سياسي والوصول إلى رئاسة الحكومة بطريقة ذرائعية لم تفرزها ديمقراطية الصناديق.

وتنص المادة 47 على أنه "يعين الملك رئيس الحكومة من الحزب السياسي الذي تصدّر انتخابات أعضاء مجلس النواب (الغرفة الأولى بالبرلمان)، وعلى أساس نتائجها. ويعين أعضاء الحكومة باقتراح من رئيسها".

ويبدو التعديل الذي يطالب به السياسيون بمثابة تعطيل لمبدأ التنافس الحر على المقاعد داخل البرلمان التي تؤهل أحد التنظيمات السياسية لرئاسة الحكومة بعد اختيار التحالفات الممكنة حسب الظروف والضرورات التي تفرضها الحالة الدستورية والسياسية والاجتماعية والقانونية للبلد، وهو ما تؤكده القراءة المتأنية لعناصر المادة 47 على اعتبار أن المتصدر للانتخابات سيكون عليه لزاما البحث عن تحالفاته من بين الأحزاب الأخرى كما ينص على ذلك الفصل 88 من الدستور.

وتكمن الغرابة في أن المطالبين بالتعديل الدستوري حاليا، كانوا إلى عهد قريب يؤيدونه وقد قدموا مذكرات للجنة الاستشارية الملكية المكلفة بصياغة الدستور لأجل تضمين هذا المكتسب ضمن بنوده، وهو ما كان عندما رسخها دستور 2011 إلى جانب خلق مؤسسة رئاسة الوزراء مع اختيار رئيسها من الحزب المتصدر للانتخاب التشريعية.

وهذا الانحراف من طرف أحزاب كانت تدافع عن التداول السلمي على السلطة، يجعلنا نتساءل مرة أخرى عن السبب وراء هذا الانزلاق السياسي؟

ونستنتج أن الضعف التنظيمي الداخلي للأحزاب وهشاشة التواصل السياسي اليومي مع مطالب وحاجيات المجتمع وتعطيل الآليات الديمقراطية لتسهيل وصول الشباب إلى المراكز القيادية داخل تلك الأحزاب، كلها عوامل تجعلها تشعر بأنها ضحية هوس الصناديق الانتخابية. بمعنى أن طموح تلك الأحزاب إلى قيادة الحكومة يمر عبر تعديل فصل دستوري له أهميته القصوى في ترسيخ ديمقراطية الاختيار الحر، وليس من خلال التباري على المقاعد واكتساب مشروعية انتخابية تفرز طاقات ونخبا تعبر عن نبض الشارع.

ركن الخطباء منبر لحرية التعبير في الجزائر

الجزائر - يوفر منبر يوضع وسط الشارع في العاصمة الجزائرية كل جمعة، يوم الاحتجاج الأسبوعي منذ أكثر من شهرين، منصة يمكن لأي كان أن يعتليها للتعبير عن رأيه وتوجيه الانتقادات وطرح المقترحات في بلد حُرم طويلاً من حرية التعبير.

كل أسبوع منذ 15 مارس، ينصب إلياس فيلالي البالغ من العمر 54 عاما قبل الظهر منصته المصنوعة من المعدن الأحمر أمام ساحة موريس أودين، أحد أماكن الاحتجاج الرئيسية ضد السلطات. ومن ثم، يبدأ الخطباء المتطوعون في التعاقب عليها.

وقال فيلالي الناشط في المجتمع المدني إنه، منذ استقلال الجزائر عام 1962، و"طوال 57 عاما، مُنع الناس من التحدث بحرية". ولكن منذ بداية الحراك في 22 فبراير الذي لم تشهد له البلاد مثيلاً من قبل "الكل يريد أن يتكلم. هناك شعور بالحاجة للتعبير بحرية".

من "ركن الخطباء" المرتجل، يمكن قول كل شيء، باستثناء الشتائم والتشكيك في وحدة الجزائر.

ويعيش فيلالي الذي يعمل مع مؤسسات خيرية بين الجزائر ولندن. واستوحى فكرة إقامة المنصة من "ركن الخطباء" في حديقة هايد بارك في لندن منذ القرن التاسع عشر، حيث يمكن للجميع التحدث بحرية. علّق فيلالي على المنصة لافتة بثلاث لغات كتب عليها "ركن الخطباء، الجزائر" بالإنكليزية، و"منبر حرية التعبير" بالفرنسية و"منبر من لا منبر له" بالعربية.

وقال إسماعيل الموظف البالغ من العمر 55 عاما وهو ينتظر دوره ضمن طابور الخطباء الارتجاليين، "لقد مارسنا الرقابة الذاتية خوفاً من الاعتقال. الحراك أعاد لنا حرية التعبير".

وبين الخطباء من يوجز في كلامه ويتحدث بلهجة مباشرة، مثل شاب اعتلى المنبر ليقول جملة واحدة "ليرحل كل" رجال النظام السابق. ويصعد آخر ليوجه رسالة مباشرة إلى الفريق أحمد قايد صالح رئيس أركان الجيش الذي أصبح فعليا الرجل القوي في البلاد منذ استقالة الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة تحت ضغط الشارع والجيش.وقال "أقول لقايد صالح إن مشروع الشعب ومشروعه لا يتفقان: نحن نريد دولة مدنية وهو يريد دولة عسكرية".

و ينتظر أحمد منصر السبعيني صاحب النظرة المتقدة يوم الجمعة بفارغ الصبر للاستماع إلى الخطباء وكلامهم الذي كان حتى قبل شهرين فقط ضرباً من الخيال.

وقال الموظف الصيدلاني المتقاعد إن المنصة التي سماها "منبر الديمقراطية"، تسمح بالخروج من "عالم شبكات التواصل الاجتماعي المحدود"، حيث وُلد الاحتجاج ولكن "حيث يختبئ بعض الناس خلف شاشاتهم للتعبير عن أنفسهم".

أما أمام المنبر، فتثير الخطب النقاش ويؤدي نفاد الصبر في بعض الأحيان إلى التدافع. وهناك حرص على إعطاء الكلام للنساء، ولينتظر قليلاً الرجال من الواقفين في الطابور.

العرب
الأحد 2019/05/05
السنة 41 العدد 11339

خرق جديد للتهدئة في قطاع غزة

إسرائيل تغلق المعابر ومنطقة الصيد البحري

أعلنت السلطات في قطاع غزة عن وقوع قتيل وعدد من الجرحى في غارة جوية نفذتها إسرائيل السبت ردا على استهدافها بقصف صاروخي من فصائل فلسطينية مختلفة. وجاءت حالة تصاعد العنف عبر الحدود بين إسرائيل وقطاع غزة لليوم الثاني لتعلن خرقا جديدا لأجواء التهدئة الهشّة بين الجانبين.

معاناة متجددة

غزة (فلسطين) – تبادلت إسرائيل وفصائل فلسطينية في غزة السبت شن الغارات مع تصاعد العنف عبر الحدود لليوم الثاني، ما يعلن خرقا جديدا لأجواء التهدئة الهشّة بين الجانبين.

وأطلقت العشرات من الصواريخ من قطاع غزة صباح السبت باتجاه إسرائيل التي ردت بغارات وقصف مدفعي فأوقعت قتيلين فلسطينيين وعددا من الجرحى، بحسب ما أفاد مسؤولون، في خرق جديد للتهدئة الهشّة بين الجانبين.

ويأتي التصعيد في حين تسعى حركة حماس التي تسيطر على قطاع غزة للحصول على تنازلات إضافية من إسرائيل في إطار وقف إطلاق النار.

وأعلنت إسرائيل أن نحو 90 صاروخا أطلقت من غزة باتجاه الدولة العبرية التي اعترضت دفاعاتها الجوية العشرات منها. وقالت الشرطة الإسرائيلية إن قذيفة ألحقت أضرارا بمنزل قرب مدينة عسقلان القريبة من الحدود مع غزة، لكنها لم توقع إصابات. وسقطت قذائف أخرى في أرض خلاء.

> التصعيد الجديد يأتي في أعقاب اشتباكات حدثت الجمعة واعتبرت الأعنف منذ أسابيع بين إسرائيل والفصائل الفلسطينية

وأكّد الجيش الإسرائيلي أنه رد بغارة جوية استهدفت قاذفتي صواريخ في غزة بينما قصفت دباباته عدة مواقع عسكرية تابعة لحركة حماس الإسلامية.

وقال مصدر أمني في غزة إن الضربات الإسرائيلية استهدفت على الأقل ثلاث مناطق في القطاع، وإن ثلاثة "مقاومين" أصيبوا بجروح.

وفي وقت لاحق من السبت، أعلنت إسرائيل أنها بصدد إغلاق معابر البضائع والأفراد مع قطاع غزة وكذلك منطقة الصيد البحري، ردا على إطلاق صواريخ من القطاع المحاصر.

وأعلنت إدارة وزارة الدفاع التي تشرف على المعابر إغلاقها حتى إشعار آخر وكذلك منطقة الصيد البحري بعد تجدد العنف وإطلاق العشرات من الصواريخ من قطاع غزة باتجاه إسرائيل التي ردت بغارات جوية وقصف مدفعي أوقع قتيلاً في القطاع.

كما قال نزار عياش، نقيب الصيادين الفلسطينيين في قطاع غزة، السبت، "تم إبلاغنا بإغلاق البحر أمام الصيادين ومنع الصيد قبالة سواحل قطاع غزة، حتى إشعار آخر".

وأفاد متحدث باسم رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو أنه سيجري مشاورات مع قادة أمنيين.

ويأتي التصعيد في أعقاب اشتباكات، الجمعة، اعتبرت الأعنف منذ أسابيع بين الطرفين. وقتل أربعة فلسطينيين، اثنان منهم في غارة جوية شنها الطيران الإسرائيلي على موقع لكتائب القسّام الجناح العسكري لحركة حماس وسط قطاع غزة، بعد إصابة جنديين إسرائيليين خلال اشتباكات اندلعت أثناء تظاهرات أسبوعية عند الحدود بين القطاع وإسرائيل.

بدورها، شددت حركة الجهاد الإسلامي الحليفة لحماس على أن "المقاومة تقوم بواجبها ودورها في حماية الشعب الفلسطيني والذود عنه ومستعدة للاستمرار في الرد والتصدي للعدوان إلى أبعد مدى (مكانا وزمانا)".

وقال مصدر في الحركة إن مصر تبذل مساعي كبيرة لتهدئة الوضع، مثلما فعلت في الماضي.

وخاضت إسرائيل وحماس منذ 2008 ثلاث حروب بينما تسري مخاوف من اندلاع حرب رابعة.

وساهم اتفاق لوقف إطلاق النار بين إسرائيل وحماس رعته مصر والأمم المتحدة في تهدئة نسبية تزامنا مع الانتخابات التشريعية في إسرائيل في التاسع من أبريل.

لكن إسرائيل قلّصت الثلاثاء المساحة التي تسمح لصيادي السمك قبالة شواطئ قطاع غزة المحاصر بالتحرك في إطارها، ردا على إطلاق قذيفة صاروخية من القطاع باتجاه الدولة العبرية.

وسقطت القذيفة في البحر الأبيض المتوسط على بعد بضعة كيلومترات قبالة السواحل الإسرائيلية. وحمّل مصدر في الجيش الإسرائيلي حركة الجهاد الإسلامي مسؤولية إطلاق القذيفة من شمال غزة.

والخميس، أعلن الجيش الإسرائيلي أن مقاتلاته قصفت مجمعا عسكريا تابعا لحماس بعدما أُطلقت بالونات محملة بمواد قابلة للانفجار عبر الحدود.

وكثيرا ما يعلّق الفلسطينيون في غزة قنابل حارقة على بالونات ويطلقونها عبر الحدود في مسعى لإلحاق الأضرار بممتلكات إسرائيلية إذ تمكّنوا في الماضي من إضرام النيران في مناطق زراعية واسعة في الجانب الآخر من الحدود.

وبعد الغارة، أفاد الجيش الإسرائيلي أن صاروخين أطلقا من غزة باتجاه إسرائيل ما تسبب بإطلاق صفارات الإنذار في مناطق بالجنوب.

وفي مسعى لإنقاذ اتفاق وقف إطلاق النار، غادر وفد من حماس بقيادة رئيس الحركة في غزة يحيى السنوار القطاع متوجها إلى القاهرة الخميس لمحادثات مع مسؤولين مصريين بشأن الهدنة.

وسمحت إسرائيل بموجب اتفاق وقف إطلاق النار لقطر بتقديم مساعدات بملايين الدولارات إلى القطاع لدفع الرواتب وتمويل عمليات شراء الوقود للتخفيف من حدة أزمة الكهرباء.

وقد يسهم عاملان في دفع إسرائيل للعمل على تهدئة الوضع سريعا. فنتنياهو يخوض مفاوضات شائكة لتشكيل حكومته الجديدة بعد انتخابات أبريل، في حين تستعد إسرائيل لتنظيم مسابقة يوروفيجن الغنائية في تل أبيب بين 14 و18 مايو.

ونظّم الفلسطينيون تظاهرات متكررة تخللتها مواجهات على طول الحدود بين غزة وإسرائيل على مدى أكثر من عام، مطالبين إسرائيل بتخفيف الحصار الذي تفرضه على القطاع.

وقُتل 270 فلسطينيا على الأقل بنيران القوات الإسرائيلية منذ أن بدء "مسيرات العودة" في 30 مارس 2018.

قوى يمنية تضغط لتقليص نفوذ الإخوان

عدن - تضغط قوى وأحزاب يمنية داعمة للشرعية لتقليص نفوذ حزب الإصلاح الإخواني على المؤسسات الحكومية اليمنية، بعد أن تزايدت الدعوات الموجهة إلى الرئيس الانتقالي عبدربه منصور هادي بأن السكوت على هذا الوضع سيقود إلى ارتباك أكبر داخل المؤسسات اليمنية في وضع تسير فيه الشرعية إلى خسارة مواقع عسكرية وسياسية وحلفاء جدد لها في المشهد اليمني بسبب تمسك الرئاسة بالتحالف مع حزب الإصلاح.

وتوقعت مصادر سياسية رفيعة في تصريح لـ"العرب" أن تشهد الأيام القادمة صدور حزمة جديدة من القرارات التي من المفترض أن تتم من خلالها إعادة تشكيل العديد من مؤسسات الشرعية بما في ذلك الحكومة ومجلس الشورى. لكنها حذرت من أن يكون هدف هذه التغييرات هو امتصاص الغضب داخل مكونات الشرعية.

وعلق التنظيم الوحدوي الشعبي الناصري بمحافظة تعز عضويته في تحالف القوى السياسية المساند للشرعية متهما أحزابا نافذة في التحالف بالسعي لشرعنة الميليشيات خارج إطار الدولة. وأشار البيان الصادر عن الحزب، الجمعة، إلى الزج باسمه في بيان صادر عن التحالف لم يوافق عليه، على صلة بالاشتباكات التي شهدتها تعز أواخر أبريل بين فصائل من كتائب أبوالعباس السلفية ووحدات عسكرية محسوبة على حزب الإصلاح في المدينة.

ويعكس البيان، وفقا لمراقبين، حالة القلق التي تنتاب المكونات السياسية المؤيدة للشرعية نتيجة ما تعتبره تغوّلا سياسيا وعسكريا لحزب الإصلاح وهيمنته على الكثير من مفاصل الشرعية العسكرية والأمنية في بعض المحافظات المحررة.

ووصف بيان الناصري ما حدث في تعز بأنه بمثابة تهجير قسري تم بالقوة للكتائب العسكرية غير المحسوبة على تيار سياسي بعينه. كما كشف البيان عن اعتراض الحزب على صيغة البيان التي شرعنت "دمج تشكيلات مسلحة ظهرت مؤخرا باسم الحشد الشعبي ضمن قوات الجيش"، في إشارة إلى الميليشيات المسلحة التي تتهم مكونات سياسية في تعز حزب الإصلاح بتشكيلها تمهيدا لإلحاقها بالجيش الوطني الذي يهيمن عليه الإخوان.

وطالب بيان الناصري قيادات الأحزاب والتنظيمات السياسية التي وقعت، منتصف أبريل الماضي في مدينة سيئون جنوب شرق اليمن، على وثيقة لتشكيل تحالف سياسي عريض من 18 حزبا لدعم الحكومة الشرعية بالتدخل لإنهاء ما وصفه بـ"حالة الفوضى السياسية في تعز .

وفشلت محاولات قيادة المنطقة العسكرية الرابعة التي يقع محور تعز ضمن دائرة اختصاصها، وتصريحات محافظ تعز المعين حديثا نبيل شمسان في إقناع قيادات عسكرية تابعة لحزب الإصلاح بوقف المواجهات في مدينة تعز القديمة والتراجع عن قرار بإخلاء تعز من أي تواجد عسكري لا يخضع لسيطرة التنظيم.

ووصف مراقبون التصدّعات التي باتت تشهدها الجبهة السياسية المناوئة للميليشيات الحوثية، بأنها مؤشر على تصاعد المخاوف لدى العديد من الأطراف والقوى السياسية من تكرار نموذج الاستحواذ والإقصاء الذي مارسه الحوثيون في صنعاء بعد انقلاب سبتمبر 2014.

ولكن هذه المرة من خلال استخدام الشرعية ومؤسساتها كواجهة سياسية لتصفية الخصوم، كما حدث في محافظة تعز في أبريل الماضي، نتيجة إصرار حزب الإصلاح على تصفية خصومه السياسيين في المدينة وتضييق الخناق على الوحدات العسكرية التابعة للواء 35 مدرع التي لا يهيمن عليها الحزب.

وحذر ناشطون وسياسيون يمنيون من اختطاف المؤسسات الجديدة الداعمة للشرعية وتحويلها إلى مجرد واجهة لاختطاف المواقف والآراء، كما حدث في العديد من مؤسسات الشرعية التي بات حزب الإصلاح يهيمن عليها بشكل كامل، الأمر الذي يثير مخاوف العديد من المكونات السياسية الموالية للشرعية من قبيل الحزب الناصري والحزب الاشتراكي اليمني، اللذين عبرا عن مخاوفهما بشكل متكرر من خلال البيانات السياسية المتتالية، والتلويح بإشهار تحالف سياسي جديد.

قوة الحجة الإماراتية تضعف الموقف القطري في جنيف

أبوظبي – أكدت الإمارات العربية المتحدة أمام لجنة القضاء على التمييز العنصري في جنيف أن قطر وجدت نفسها في موقف ضعيف أمام قوة الحجج التي قدمتها أبوظبي. وفندت الإمارات أمام اللجنة الأممية الادعاءات القطرية التي قالت إنها "كيدية"، وتزعم فيها الدوحة أن الإجراءات التي اتخذتها دولة الإمارات ردا على الممارسات القطرية في دعم التطرف والجماعات الإرهابية تشكل "تمييزًا عنصريا" بموجب اتفاقية الأمم المتحدة للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري.

وقدمت دولة الإمارات، أمام اللجنة الأممية الجمعة، الحجج القانونية والأدلة الواقعية والإثباتات أن شكوى قطر لا تستند إلى أي أساس قانوني.

وقالت في بيان نقلته وكالة الأنباء الإماراتية، إن شكوى قطر هذه لا تخرج عن "الأسلوب القطري المعتاد في تلفيق الادعاءات أمام المنظمات الدولية".

وأوضحت أن شكوى قطر أمام لجنة القضاء على التمييز العنصري "تشكل جزءا من حملة العلاقات العامة القطرية المليئة بالمعلومات الملفقة والمغلوطة والتي ترمي إلى صرف الانتباه عن العواقب الوخيمة التي تعاني منها المنطقة بسبب سياسات قطر الداعمة للإرهاب والجماعات المتطرفة، والتي نعاني من نتائجها اليوم في الحوادث الإرهابية التي تواجهها دول العالم".

وأوضحت دولة الإمارات في كلمتها الإجراءات التي اتخذتها لتسهيل دخول المواطنين القطريين التي أكدت أنه مرحب بهم في دولة الإمارات على الرغم من السياسات السلبية لحكومتهم التي تدعم الجماعات المتطرفة والإرهابية في جميع أرجاء المنطقة.

وأشارت الإمارات إلى أنه عندما تم قطع العلاقات مع قطر، في صيف 2017، اعتمدت سلسلة من التدابير التي تتوافق مع القانون الدولي في مواجهة تعنت الدوحة في الوفاء بالتزاماتها، مشددة على أن هذه الإجراءات لم تستهدف الشعب القطري.

وأوضحت أنه كجزء من هذه التدابير قامت بتعديل الإجراء الخاص بالمواطنين القطريين من أجل دخول أراضيها دون تأشيرة، واستبدلت ذلك بنظام مجاني للتصريح بالدخول. ويتطلب هذا النظام بشكل أساسي أن يتقدم المواطنون القطريون بطلب للحصول على موافقة قبل دخول الإمارات، ويمكن التقدم بهذا الطلب إلكترونيا عبر الإنترنت أو من خلال خط هاتفي مباشر ساخن تم الإعلان عنه في يونيو 2017.

ولفتت الإمارات في كلمتها أمام اللجنة الأممية إلى أن وضع شرط دخول لمواطني أي دولة، هو أمر اعتيادي في جميع أنحاء العالم، ولا يمكن تصنيفه تحت مسمى "التمييز العنصري" ولا يمثل انتهاكا لاتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز العنصري.

القطريون مرحب بهم دائما في الإمارات

وقال عبدالله حمدان النقبي، ممثل الإمارات أمام لجنة القضاء على التمييز العنصري، إن "هذه القضية لم يكن ينبغي لها من الأساس أن تُعرض على لجنة القضاء على التمييز العنصري التابعة للأمم المتحدة فهذه الشكوى لا تتعلق بالتمييز العنصري، إنها مجرد محاولة من قطر لإساءة استخدام لجنة القضاء على التمييز العنصري وتطويعها لأغراض سياسية".

وأشار النقبي إلى أن الغرض من الاتفاقية هو القضاء على المعاملة التمييزية على أساس الصفات الثابتة مثل العرق أو اللون أو النسب أو الأصل القومي أو الإثني، مؤكدا أنه وفقا لذلك لم تقم بلاده "بأي انتهاك للاتفاقية".

وكانت قطر قد أساءت استخدام النظام الأممي المتبع للإجراءات، حيث لفتت الإمارات إلى أن الدوحة اعتمدت نهجا مزدوج المسار بتقديمها دعوى إلى محكمة العدل الدولية مماثلة للشكوى التي قدمتها إلى لجنة القضاء على التمييز العنصري، في حين أن المسار الصحيح يقضي بأن تبت اللجنة في المسألة قبل أن تنتهج قطر خيار "تصعيد" النزاع إلى محكمة العدل الدولية من جانب واحد قبل اكتمال إجراءات اللجنة.

وعلى هذا الأساس، طالبت الإمارات لجنة القضاء على التمييز العنصري الامتناع عن النظر في النزاع والإقرار بأن هذا النهج مزدوج المسار يمثل إساءة لاستخدام نظام الإجراءات من قبل قطر.

ووجدت قطر نفسها في موقف ضعيف، وفق أبوظبي، أمام قوة الحجج التي قدمتها الإمارات.

وكانت قطر التي لمست خسارة شكواها أمام اللجنة الأممية، قد طالبت بتعيين هيئة توفيق وهي آلية تتيحها الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري يتم اللجوء إليها بهدف الوصول إلى حل ودي بين طرفي النزاع.

وفي هذا السياق، أشارت الإمارات إلى "التراجع القطري والمطالبة بتشكيل هيئة توفيق وفقا للمادة 12 من الاتفاقية، رغم أن قطر قد تجاوزت اختصاص اللجنة وذهبت لرفع الموضوع لمحكمة العدل الدولية". وشددت الإمارات على أن كافة التدابير التي اتخذتها سهلت من إجراءات التعامل مع المواطن القطري، لافتة إلى أن الخلاف الأساسي هو التوجهات السياسية الداعمة للتطرف والإرهاب من قبل الحكومة القطرية.

وقال النقبي، في ختام كلمته أمام اللجنة الأممية، إن "قطر قد اختارت أسلوب رفع الشكاوي اعتقادا منها بأنه ومن خلال هذا التوجه الكيدي سيسبب الضرر للدول المقاطعة".

وأكد على أنه "كان من الأجدر أن تقوم قطر بمراجعة سياساتها في دعم التطرف والإرهاب، حيث نرى اليوم بأن توجه رفع الشكاوي يضر بقطر وسمعتها ويرتد عليها".

العرب
الأحد 2019/05/05
السنة 41 العدد 11339

الترتيبات المتسرّعة في السودان مؤقتة وقد تنتهي بطوفان

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

لا أعلم هل يدرك الإخوة في السودان أن تذبذب الأوضاع الحالية يمكن أن يؤدي إلى طوفان سياسي في البلاد أم لا؟ فالتطورات التي وصلت إليها الحوارات المتقطّعة بين المجلس العسكري الانتقالي وتحالف الحرية والتغيير دخلت في دهاليز وعرة، ويتعامل معها الكثيرون على أنها معادلة صفرية وليست تكاملية، ومكاسب كل طرف تعني خسائر للطرف الآخر.

أدّت الأجواء العامة التي تجري فيها المناقشات، وما لحق بها من تسخين متعمّد من قبل بعض الدوائر السياسية، إلى الوصول إلى نقطة غامضة من الانسداد، ومحاولة النفخ فيها بشدة لإضرام المزيد من النيران، وكأن المجلس الانتقالي جاء من سطح القمر ولم يكن موجودا على الأرض، ولم يلعب دورا مهمّا في حسم الانتصار لإرادة المعتصمين.

حملت الوثيقة التي طرحها تحالف الحرية والتغيير مؤخرا الكثير من العلامات الإيجابية التي تقود إلى تكوين دولة مدنية تتحاشى عيوب النظام السابق، لكن الصيغة التي حملتها بشأن الصلاحيات الموكلة لكل طرف، ومنحت دورا طاغيا للقوى المدنية، قد تفتح الأبواب للنقمة عليها، في ظل التململ الذي ينتاب شريحة كبيرة في المؤسسة العسكرية من محاولة تقليص دورها والمساس بهيبتها، في وقت تتربّص فيه فلول الحركة الإسلامية لتخريب إجراءات المرحلة الانتقالية.

ناهيك عن تهميش الحركات المسلحة، وهي طرف رئيسي في المعادلة السودانية، لم تظهر التجلّيات الكاملة لمهامها في التوازنات الحالية، بما يضاعف من حساسية دورها مستقبلا، فرغم تأكيدها وقف العدائيات والمعارك، إلا أن مصيرها السياسي لا يزال محاطا بالغموض.

كان الصادق المهدي، زعيم حزب الأمة القومي، محقا في التحذير من الإمعان في استفزاز الجيش السوداني، وهو ما نبّه إليه أيضا بعض القادة من العسكريين السابقين، لأن الديمقراطية لن تكون هادفة وتحقق أغراضها النبيلة ما لم تصطحب معها العوامل اللازمة لتوفير الأمن والاستقرار وسد الذرائع على الجهات التي تنتظر تفشيل انتفاضة ديسمبر.

لدى السودان ذخيرة من التجارب التي يمكنه الاستفادة منها واستيعاب دروسها. وكما يسعى تحالف الحرية والتغيير إلى تجنّب هيمنة المؤسسة العسكرية وعدم الوقوع في ما يعتبره فخاخا سياسية أصابت مواطني بعض الدول المجاورة، عليه قراءة تاريخ بلاده جيدا كي يبتعد عن تكرارها، لأن ما يدور في العلن والكواليس قد يصطحب معه رياحا عاتية بعد حين.

ما يجري الآن يعيد إلى الأذهان تطورين متشابهين في ظروف تحوّل ثوري ربما تكون مماثلة، فالانتفاضة التي أطاحت بنظام إبراهيم عبود عام 1964 أقامت سلطة مدنية ضعيفة في الخرطوم سقطت عبر انقلاب قاده جعفر النميري عام 1969، والانتفاضة التي تخلّصت من الأخير على يد عبدالرحمن سوار الذهب عام 1985 أعقبها حكم ديمقراطي برئاسة الصادق المهدي لم يعمّر طويلا، حتى جاء انقلاب ما يسمى بـ"ثورة الإنقاذ" عام 1989 والذي وضع عمر حسن البشير في الواجهة.

> السودان يحتاج إلى تصورات خلاقة وسياسات متينة تفتح المجال للوصول إلى تدشين دولة مدنية قوية

يتشدد تحالف قوى الحرية والتغيير في التمسك بقيم الدولة المدنية ومعانيها السامية، وهو محق في ذلك، لأنه اكتوى بنيران الهيمنة العسكرية على مقاليد الأمور فترات طويلة منذ الاستقلال، وعلى تقديراته السياسية مراعاة الظروف الراهنة، والتي تفضي إلى حكومة تلبي تطلعات المواطنين العطشى سياسيا، بعد فترة طويلة من القبضة الحديدية إبان عهد البشير، لكن يمكن أن تقود إلى انتكاسة تؤدي إلى انقلاب عسكري دون واجهة مدنية، أو تفتح المجال لعودة رموز الحركة الإسلامية تحت لافتة ديمقراطية، بحكم تنظيمها واحتفاظها بالكثير من المفاتيح التي لها فاعلية في الواقع.

نجح المتظاهرون في الحفاظ على تماسكهم وعدم التفريط في اعتصامهم أمام مقر وزارة الدفاع بالخرطوم، لأنه (التماسك) الورقة الحيوية التي يمكن الاعتماد عليها في التفاوض والتأسيس لجمهورية مدنية، وعليه يجب مراعاة أن تحقيق نصر أقل من الطموحات والتطلعات دائما هو أهم بكثير من نصر كامل ومؤقت، فالسودان أمامه فرصة لإعادة بلورة رؤية للمستقبل، لأن المعركة لن تنتهي فصولها مع غلبة أصوات قوى الحرية والتغيير والتعامل مع المجلس الانتقالي على أنه عدو حالي أو محتمل.

يموج السودان بتيارات سياسية وقبلية وطائفية عديدة. وهو "موزاييك" يستلزم قدرا من الوعي المصحوب بالحسم، فالليونة الزائدة تقود إلى الفوضى، والدول تتأسس بموجب عقد اجتماعي يراعي البيئة التي تموج بتحولات كبيرة في الداخل، ولا يتغافل عن المعطيات التي تجري في الخارج وأصبحت تلعب دورا أكثر تأثيرا من ذي قبل.

تعمّد قطاع كبير من السودانيين تصويب السهام إلى المجلس الانتقالي ونجحوا في إجبار قيادات موالية للنظام السابق على الاستقالة، والضغط على محاسبة رموز سياسية وأمنية ارتكبت أخطاء وجرائم في السنوات الماضية، وهو ما يتطلب تماسكا كبيرا في المؤسسات الوطنية لتتمكن من متابعة الملفات والقضايا المتعددة، وتشعّبت بحكم طول الفترة الزمنية التي مكثها البشير ورفاقه في السلطة، حتى أرخت بظلال سلبية على عدد من أقاليم الدولة السودانية، خاصة في الجنوب والغرب.

تحتاج هذه المسألة جهازا كاملا، عسكريا وأمنيا وسياسيا واقتصادية وإداريا، قويا لديه من الخبرات والمقومات ما يمكنه من التعامل مع التراكمات القديمة، والمستجدات المتوقع أن تتزايد في الفترة المقبلة، ما يفرض النظر بموضوعية إلى عملية اقتسام السلطة خلال المرحلة الانتقالية بين المجلس العسكري وقوى المعارضة، والتخلي عن الفوقية والقوالب الجامدة، فلا معنى لانتصار فريق على آخر ما لم يستطع تغيير وجه السودان للأفضل.

يملك كل من المجلس العسكري وتحالف الحرية والتغيير تأييدا واسعا في السودان وخارجه، ويجتمع الطرفان حول نقطة محورية، تتعلق بقطع دابر الحركة الإسلامية في الجيش ودواليب الحكم المختلفة، وهي الزاوية التي يمكن العمل عليها بجدية، ولا جدوى إذا تم خروج البشير وأنصاره من الباب (الجيش) ثم قفزوا على السلطة من الشباك (الانتخابات). يجب الاعتراف بأن أتباع الحركة الإسلامية يجيدون العمل تحت الأرض وفوقها، ولديهم واجهات متباينة يتستّرون خلفها، ومن الضروري الانتباه إلى أن جذورهم الممتدة تجعل عملية اجتثاثهم تحتاج إلى صبر وأناة، ولن تكون عبر أدوات أمنية وعسكرية قاسية ومباشرة، بل من خلال طرق قانونية.

القوى السياسية السودانية المتخاصمة نادرا ما تلجأ إلى التصفيات بالأساليب التقليدية، والحروب التي تعجّ بها بعض الأقاليم أخذت طابعا قبليا وطائفيا كي تنتشر وتتوسع وتتغول، وتم اللجوء إلى العنف بعد فترة من الإقصاء والتهميش، أدت إلى انفصال إقليم جنوب السودان، وهناك أقاليم مرشحة للمصير نفسه ما لم ترتفع الرؤية السياسية إلى مستوى التحديات الاستراتيجية.

يحتاج السودان إلى تصوّرات خلاقة وسياسات متينة تفتح المجال للوصول إلى تدشين دولة مدنية قوية، وهو ما يجب الالتفات إليه من جانب اللجان الممثلة للمجلس الانتقالي والمعارضة، لأن الاستغراق في مناقشات طويلة حول المجالس السيادية والوزارات وتقويض دور الجيش وعدد ممثلي كل طرف وحصته والصوت المعطل والمرجح، من الملامح التي تدخل البلاد في تفاصيل قد تؤدي إلى مشكلات أعمق مما كانت عليه أيام البشير.

يمتاز السودانيون عن الكثير من شعوب المنطقة بأن لديهم نخبة كبيرة من المثقفين ويملكون مروحة تجعلهم أكثر قدرة على التسامح وفهم الأحداث والتعامل معها، لكن يبدو أن هذه الكثافة ربما تتحول إلى عامل شد بدلا من أن تصبح عامل جذب، فقد تناثرت الفتاوى السياسية بما يعطّل التفاهم حول رؤية رشيدة توفر الخروج الآمن للبلاد من الأزمة الحالية.

مضى نحو الشهر على عزل عمر حسن البشير ولا يزال الدوران مستمرا في حلقة تتسع حينا وتضيق في غالبية الأحيان، وما إن تقترب المسافات بين المجلس العسكري وتحالف الحرية والتغيير للتفاهم حول قواسم مشتركة إلا وتظهر أزمة تؤدي للعودة إلى المربع الأول، لأن الثقة مهزوزة، والشكوك تسيطر على تصرفات البعض، ومحاولات إرباك المشهد السوداني من قبل بعض الأطراف لن تتوقف.

تخشى دوائر متابعة أن تزداد الأمور تعقيدا ويدخل السودان نفقا طويلا من حوارات الطرشان، فكل طرف يراهن على طول نفس الآخر ومدى قدرته على تحمّل الضغوط، بالتالي تحتاج الأزمة إلى إبداعات تتجاوز الحلول النمطية، وتسويات تهيّئ البلاد لمرحلة أكثر هدوءا، لأن الطبخة السياسية المؤقتة أو غير الناضجة قد يتبعها طوفان، بينما الترتيبات الشاملة الدائمة يمكن أن يعقبها أمن واستقرار في السودان.

حلم العودة المؤجّل للموريسكيين

طارق القيزاني
صحافي تونسي

لم ينجح حزب فوكس اليميني في إحراز الأغلبية في البرلمان الإسباني لكنه نجح في كسب الزخم وإدارة دفة السياسة في إسبانيا بقواعد لعب جديدة. وهذا الكسب لا يقل أهمية عما أحرزته الحركات اليمينية في أرجاء أوروبا بل إن صداه يتجاوز الإقليم الإسباني ليضع بالأخص الموريسكيين الإسبان في الشتات أمام نكسة جديدة.

في شمال تونس ومناطقها الغربية كما في دول أخرى جنوب المتوسط، هناك أندلس أخرى. ففي مدينة سليمان التي شيّدها الأندلسيون الفارون بحياتهم من محاكم التفتيش قبل أربعة قرون، يوجد جامع ومطحنة مطابقين لما هو موجود في إشبيلية بينما حافظت الأحياء السكنية المنتشرة في المدينة القديمة على معمارها الأندلسي الإسباني.

يتوارث الأندلسيون المهجرون والملقبون بالموريكسيين، في سليمان وتستور وحتى لدى بعض العائلات في المدينة العتيقة بالعاصمة، الألقاب الإسبانية ذاتها مثل "الرايشيكو" و"الماظور" كما يتوارثون عادات الأكل والمفردات الإسبانية.

كان الاعتقاد السائد لدى المهجرين الأوائل من الأندلسيين بعد صدور القرار الملكي بالطرد النهائي إثر معارك "الريكونكيستا" (حروب الاستعادة)، أنهم سيبقون برهة ليعودوا بعد ذلك إلى وطنهم الأصلي إثر تحريره لكن البرهة تحولت إلى عقود ثم إلى قرون ليبقى حلم العودة مؤجلا إلى اليوم.

بل إن الأجيال اللاحقة لأحفاد الموريسكيين الفارين لم يسلموا حتى في وطنهم الجديد في المهجر من أذى الإسبان أثناء الحملات الدموية على الحاضرة (مدينة تونس). يذكر المؤرخون أنها كانت الأسوأ والأكثر فظاعة من حيث التقتيل والتخريب والبطش طيلة فترة الاحتلال التي استمرت لأربعين عاما قبل أن يطردهم العثمانيون نهائيا في العام 1574.

يعود حزب "الفوكس" الذي بدأ أولى مفاجآته الانتخابية في إقليم الأندلس بالذات، ليرفع اليوم الشعارات القديمة ذاتها "للريكونكيستا"، والهدف استعادة إسبانيا من المهاجرين والمسلمين، وهي نغمة أصبحت منتشرة مثل الفقاع في وسط وغرب أوروبا لتصل إلى دول الأطراف التي تتقاسم تاريخيا الإرث الحضاري المتوسطي مع دول الجنوب.

صعود "الفوكس" لا يبشر بخير في إسبانيا لأنه ينظر له كمحاولة لإحياء العهد الفرنكوي، غير أن جوانب كثيرة من خطابه المعلن تتفق مع هوى الغالبية من الإسبان مثل إلغاء الحكم المستقل للأقاليم وهو موجه أساسا ضد الدعوات الانفصالية، والمطالبة بالسيادة على جبل طارق الخاضع لبريطانيا وإعلاء الرموز الوطنية بما في ذلك التاج الملكي.

لكن "فوكس" يدس في نفس الوقت السم في العسل إذ يدعو بشكل صريح إلى ترحيل جميع المهاجرين غير الشرعيين أو ممن فشلوا في الاندماج والتأكيد على مسيحية الدولة، وتعليق نظام شينغن للتنقل بين دول الاتحاد ومطالبة المغرب بالاعتراف الكامل بسبتة ومليلية كمدينتين إسبانيتين إلى جانب مطالب أخرى غريبة ومتطرفة كإلغاء قانون العنف ضد المرأة ومنع الاجهاض وحماية مصارعة الثيران والصيد.

قد لا يكون الحزب مؤثرا في تشكيل الحكومة الائتلافية مع حصوله على 24 مقعدا فقط في البرلمان من بين 350 مقعدا غير أن فوزه الرمزي أيقظ الأصوات القديمة من زمن الجنرال فرانكو ليرفع الحرج عن النقاش العلني بشأن المهاجرين والدولة القومية. وهذا بحد ذاته يعد مكسبا مهما في سياسة المراحل التي يتبعها الحزب.

لكن على الضفة المقابلة فإن هذا الزحف اليميني المتطرف يعد خطوة إلى الوراء للمنحى التصالحي الرسمي للدولة خلال العقد الأخير بشأن المسألة الموريسكية والنقاش الدائر حول "التصالح مع الذاكرة التاريخية"، وهو منحى بدأ يتخذ خطوات جدية لإقرار اعتذار رسمي للموريسكيين لاسيما مع إعلان الحكومة الإسبانية لاعتذار سابق عن طرد اليهود والإبادات التي ارتكبت بحق الهنود الحمر في المستعمرات القديمة.

كانت هناك خطوة جريئة في هذا الاتجاه عندما طرح الاشتراكيون في العام 2009 مشروع قانون للاعتذار بمناسبة مرور أربعمئة عام من صدور قانون الطرد النهائي من جميع أقاليم إسبانيا الكاثوليكية في عهد الملك فيليب الثالث عام 1609. ولكن مشروع القانون لم يتجاوز النقاش العام واحتفالية الذكرى في المؤتمرات العلمية والأكاديمية آنذاك ليبقى منسيا في الرفوف.

كما أن المؤتمر الذي نظمته "مؤسسة التميمي للبحث العلمي" بهذه المناسبة في تونس، ووجهت خلاله الدعوة إلى العاهل الإسباني الملك خوان كارلوس، أملا في أن يقدم اعتذار الدولة الإسبانية، أسوة بما فعله مع أحفاد اليهود السفارديم، انتهى بمجرد إيفاده من يقرأ عنه رسالة تقر بأن إسبانيا تغيرت لكنها لم تتضمن أي اعتذار.

في مطلق الأحوال فإن غياب الاعتذار الرسمي حتى اليوم لا يمكن أن يحجب المسألة الموريكسية التي تلطخ التاريخ الإسباني، بل إنها تزداد رسوخا مع تقدم بحوث المؤرخين في هذا المجال.

تشير دراسات حديثة في إسبانيا مثلا إلى أن حملات الطرد لم تنجح بشكل نهائي في استئصال الموريسكيين لأن أعدادا كبيرة من المسلمين نجحوا في تفادي محاكم التفتيش والتفوا على شروط البقاء لاسيما في القرى البعيدة النائية حيث أمكن لهم هناك أن يتوارثوا جيلا بعد جيل دينهم وعاداتهم الثقافية، وهو اتجاه يبدو أكثر موضوعية وقد برز بشكل خاص خارج إسبانيا مع المؤرخ البريطاني تريفور دادسون.

وهذه حقيقة لا يمكن أن ينكرها اليوم الإسبان وخاصة من اليمينيين وأنصار "الريكونكيستا"، لأنه مثلا وبمجرد التصديق على قانون الحرية الدينية بعد سقوط حكم فرانكو عام 1975 أشهر الآلاف من الإسبان ديانتهم الإسلامية الأصلية دون خوف أو وجل.

> يعود حزب «الفوكس» الذي بدأ أولى مفاجآته الانتخابية في إقليم الأندلس بالذات، ليرفع اليوم الشعارات القديمة ذاتها «للريكونكيستا»، والهدف استعادة إسبانيا من المهاجرين والمسلمين، وهي نغمة أصبحت منتشرة مثل الفقاع في وسط وغرب أوروبا

ومع ذلك وبرغم الانفتاح الديني مع بناء الحكم الديمقراطي فإنه ثمة ظاهرة ظلت متجذرة لدى النخبة السياسية والفكرية في إسبانيا، وهي أن المسألة الموريسكية أبقت على حالة دائمة من الانفصام الإسباني الذي يعلي من جهة من موروث الأندلسيين في العمارة والعلوم والعادات الثقافية لكنه يتناول بتحفظ كبير حملات التشريد والإبادة الجماعية ومسألة الاعتذار وحق العودة للأجيال الجديدة ورد الممتلكات لأصحابها.

لبنان مشكلة لبنانية

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

هذه سنة مهمّة في لبنان. إنّها سنة ذكرى مرور نصف قرن على بداية السقوط اللبناني وصولا إلى ما وصل إليه البلد من حال يرثى لها. ليس الهجوم الذي شنّه الأمين العام لـ"حزب الله" حسن نصرالله على المملكة العربية السعودية ودول الخليج قبل أيّام قليلة سوى تتويج آخر لما آل إليه الوضع اللبناني حيث سياسة غياب المنطق هي السائدة.

ليس معروفا ما الذي يمكن للبنان أن يجنيه من انضمامه إلى محور الممانعة الذي تقوده إيران باستثناء البؤس والفقر وجعل كلّ لبناني يبحث عن مكان خارج لبنان. هذا يشمل أبناء الطائفة الشيعية أيضا

ليس معروفا ما الذي يمكن للبنان أن يجنيه من انضمامه إلى محور الممانعة الذي تقوده إيران باستثناء البؤس والفقر وجعل كلّ لبناني يبحث عن مكان خارج لبنان لأبنائه. هذا يشمل أبناء الطائفة الشيعية أيضا حيث بدأ يظهر تململ واضح من عجز "حزب الله" عن صرف الرواتب التي كان يخصصها لعناصره وأفراد عائلاتهم وللمؤسسات التي كانت تروّج لأفكاره وتقدّم بعض الخدمات.

كلّ ما فعله الحزب، إلى يومنا هذا يصبّ في قيام اقتصاد ريعي ينمو على حساب الدولة اللبنانية ومؤسساتها وأبناء الطائفة في الوقت ذاته.

يستهدف مثل هذا الاقتصاد القضاء على الاقتصاد اللبناني. يستهدف عمليا إفقار لبنان وتحويله إلى بلد منبوذ عربيا ودوليا. في الواقع، ليس ما فعله وما زال يفعله "حزب الله" سوى نشر لثقافة الموت في بلد طُبع أبناؤه على ثقافة الحياة.

تكفي مقارنة لما كان عليه لبنان في الماضي، عندما كان يقصده الخليجيون، لتمضية عطلهم فيه ولبنان الحالي للتأكّد من أنّ لبنان ليس سوى لبنان آخر بعدما حولته إيران إلى "ساحة" لا أكثر. فمن لبنان تبثّ القناة التي أنشأها الحوثيون في اليمن. ومن لبنان تبث غير فضائية موجهة إلى هذه الدولة الخليجية العربية أو تلك وتبثّ سموم الترويج للانقسامات المذهبية. في المقابل، كانت هناك مساهمة خليجية فاعلة في كلّ وقت من أجل تحسين وضع البنية التحتية اللبنانية فضلا عن تنشيط السياحة وقطاع الخدمات في مجالات شتى.

لم يعد لبنان مشكلة عربية وخليجية فحسب، بل أصبح لبنان مشكلة لبنانية أيضا. هناك الأمين العام لـ"حزب الله"، وهو لواء في "الحرس الثوري" الإيراني، عناصره لبنانية، يهاجم السعودية ويحيي ذكرى مصطفى بدر الدين الذي يقف على رأس لائحة المتهمين باغتيال رفيق الحريري. ليس إحياء ذكرى مصطفى بدر الدين سوى دليل على أن "حزب الله" مصرّ على تحويل لبنان إلى تابع لإيران في وقت ليس للنظام القائم في هذا البلد منذ العام 1979 ما يصدّره سوى البؤس والخراب.

لا خيار آخر أمام لبنان سوى العودة إلى لغة المنطق والتعقّل بدل السقوط في فخّ المزايدات. لا يبدو أن مدة نصف قرن كانت كافية كي يتعلّم اللبنانيون شيئا عن بلدهم الذي كان مزدهرا في الماضي وأسباب هذا الازدهار. لعلّ أول ما يفترض بهم تعلّمه أن الذهنية التي أوصلت إلى اتفاق القاهرة ما زالت هي الذهنية السائدة. حاول لبنان، الذي تخلّى في العام 1969 عن جزء من سيادته للمنظمات الفلسطينية المسلّحة، التعايش مع الضغوط التي مورست عليه عربيا. ليس صحيحا أن جمال عبدالناصر الذي رعى اتفاق القاهرة الذي وقعه ياسر عرفات مع قائد الجيش اللبناني إميل بستاني، الطامح إلى رئاسة الجمهورية، تعلّم شيئا من هزيمة 1967. لو تعلّم ناصر القليل القليل من تلك الهزيمة، لكان أخذ موقف رجل الدولة الذي يقول صراحة إنّه يرفض تعريض لبنان لخطر الانهيار بسبب تشريع السلاح الفلسطيني. ما لبث هذا السلاح أن انتشر في كلّ الأراضي اللبنانية وصولا إلى حرب السنتين في 1975 و1976 ثمّ الاجتياح الإسرائيلي في 1982، وهو اجتياح أسّس لحلول السلاح الإيراني مكان السلاح الفلسطيني.

لا يزال الأمل مفقودا في الوصول إلى حدّ أدنى من لغة المنطق على الصعيد اللبناني ما دام هناك سلاح غير شرعي يفرض نفسه بقوة على القرار السياسي ويمنع أيّ سعي جدّي إلى استعادة الأمل بقيام دولة طبيعية. ليس الموقف المضحك – المبكي لعدد لا بأس به من المسؤولين اللبنانيين من مزارع شبعا سوى دليل على غياب الدولة التي تعي تماما أين مصلحتها. قصة مزارع شبعا هي قصة تجارة بتجارة. هناك من يعتبر أن المتاجرة بلبنان وبمزارع شبعا مفيد له. هذا ما فعله النظام السوري في الماضي وهذا ما تفعله إيران حاليا.

إذا وضعنا جانبا الزعيم الدرزي وليد جنبلاط الذي قال أخيرا الكلام الذي يجب قوله عن مزارع شبعا، ليس هناك ما يوحي بأنّ هناك من يسعى إلى التصدّي لمنطق اللامنطق. فالرئيس سعد الحريري يجد نفسه حاليا في وضع دقيق. هناك موازنة مطلوب تمريرها وهناك شروط معيّنة لا بدّ من توافرها من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه من نتائج مؤتمر "سيدر" الذي أقرّ مساعدات للبنان. الثابت أن حصول لبنان على مساعدات، هو في حاجة ماسة إليها، مرتبط إلى حدّ كبير بإصلاحات محددة ومشاركة بين القطاعين العام والخاص وقبل أي شيء آخر المصالحة مع المنطق.

الأكيد أن البداية لا تكون بمهاجمة المملكة العربية السعودية. لا منطق في ذلك، مثلما أن لا منطق في اعتبار مزارع شبعا لبنانية. نعم هناك أراض يملكها لبنانيون في مزارع شبعا. لكنّ هذه المزارع محتلة إسرائيليا منذ العام 1967 نظرا إلى أنّها كانت سورية وقتذاك. دخل السوريون إلى مزارع شبعا في منتصف خمسينات القرن الماضي بحجة مكافحة التهريب من جهة والتصدي لإسرائيل من جهة أخرى.

ينطبق على مزارع شبعا القرار 242 وليس القرار 425 الذي نفّذته إسرائيل في العام 2000 بشهادة مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. إذا كان لبنان جديا في استعادة مزارع شبعا، ليس أمامه سوى الطلب من النظام السوري توجيه رسالة إلى الأمم المتحدة في هذا الشأن. هذا هو الطريق السليم الواجب اتباعه ولا وجود لطريق آخر. ليس أمام لبنان حاليا سوى التصالح مع المنطق والاعتراف بأنّ مشكلته الأساسية تكمن في أنّه لا يزال يعيش في ظلّ اتفاق القاهرة. صحيح أن مجلس النواب ألغى هذا الاتفاق في عهد الرئيس أمين الجميّل، لكن الصحيح أيضا أنّ مفاعيل هذا الاتفاق ما زالت حيّة ترزق. لو لم يكن الأمر كذلك، لما كان ذلك الخطاب الأخير لحسن نصرالله عن القدرة على تحقيق انتصارات على إسرائيل في حين أن الانتصارات التي يستطيع "حزب الله" تحقيقها هي انتصارات على السوريين واللبنانيين.

لا يزال لبنان، للأسف، أسير منطق يعتقد أنّ مسلّحين فلسطينيين أقاموا قواعد في منطقة العرقوب التي سميّت "فتح لاند" في جنوب لبنان سيحرّرون فلسطين... كل فلسطين. كانت النتيجة تحرير لبنان من اللبنانيين. لا يزال المنطق الأعوج الذي ساد في 1969، لدى توقيع اتفاق القاهرة، سائدا في 2019... ولا يزال لبنان ضحية منطق اللامنطق!

روسيا تسوّي خلافاتها مع أنقرة بالتصعيد في إدلب

رانيا مصطفى

بدأت قوات النظام السوري، مدعومة بغطاء جوي روسي، حملة عسكرية عنيفة في إدلب، وُصفت بالمحدودة، كونها تطال مناطق في ريفي إدلب الجنوبي وحماة الشمالي، أي المناطق المشمولة باتفاق المنطقة منزوعة السلاح، الذي عقد في سبتمبر الماضي بين الرئيس الروسي فلاديمير بوتين والرئيس التركي رجب طيب أردوغان في سوتشي. وذلك وسط صمت تركي، ومخاوف أوروبية، وتحذيرات أميركية لروسيا من حصول كارثة إنسانية في إدلب، بعد تهجير قرابة 200 ألف مدني وقتل وجرح أكثر من 350، خلال ثلاثة أشهر من الحملة الأخيرة.

لا يزال حل ملف الجهادية معقّدا، خاصة على الطرف التركي المعني به؛ فطرد قرابة 15 ألفا من الأجانب المتشددين هو أكبر تلك التعقيدات، مع رفض دولهم استقبالهم، كما تفعل مع مقاتلي تنظيم داعش وعائلاتهم المحتجزة لدى قوات سوريا الديمقراطية. وتطويع تنظيم هيئة تحرير الشام أيضا من الملفات الشائكة، كونها مسيطرة على 90 بالمئة من المنطقة، وتشترط الإشراف على الدوريات الروسية – التركية المشتركة، الأمر المرفوض كليًا من روسيا.

لكن تركيا بدورها لم تقم بخطوات عملية في حلّ ملف الفصائل، وتطبيق اتفاق سوتشي حول إخلاء المنطقة العازلة من السلاح الثقيل والجهاديين؛ فهو ليس من الملفات الملحّة بالنسبة إليها، كما حال روسيا. وبالعكس، بعد عقد الاتفاق في سبتمبر الماضي، سمحت أنقرة لهيئة تحرير الشام بالسيطرة شبه الكاملة، مما عقّد الوضع، في خطوة منها لتشكيل ورقة ضغط على روسيا تستخدمها في ملفات أكثر أهمية بالنسبة إليها من إدلب؛ وهو ما تفعله اليوم بخصوص تل رفعت، لدفع موسكو إلى القبول بتسيير دوريات مشتركة فيها.

بقاءُ الجهاديين في المنطقة العازلة شكّل حجة لروسيا لفرض بنود الاتفاق بالقوة. لكن موسكو مقيّدة في حملتها هذه: بحدود المنطقة العازلة، وبرفض أميركي وأوروبي مساند للموقف التركي، وبتأمين حشد بري يقتصر على الفيلق الخامس وقوات النمر، لمواجهة أكثر من 30 ألف مقاتل من المعارضة، من المتوقع توحدها (المعارضة) ضد أي هجوم بري، خاصة مع تململ الحاضنة الشعبية للنظام بسبب سوء الوضع المعيشي، وعدم استعدادها لتقديم المزيد من الضحايا، ومصلحة الاحتلال الروسي. وكذلك رفضت إيران الطلب الروسي بمشاركة ميليشياتها، حيث لم تعد لطهران مكاسب في إدلب، بعد أن أقصتها روسيا عن مناطق الغاب وريف حماة، وسيقتصر دورها على المراقبة.

وبذلك اقتصرت الحملة، التي تزامنت مع عقد جلسة جديدة من مؤتمر أستانة، على الضربات الجوية، واستهدفت بشكل مكثف المدارس والمنشآت الصحية والمناطق السكنية، لتشكيل ضغط من الحاضنة الشعبية على الفصائل الرافضة لمشاركة روسيا في الدوريات المشتركة مع تركيا، تنفيذا لاتفاق سوتشي، بإخلاء المنطقة العازلة، وبعمق 15–20 كم، من السلاح، ومن الفصائل، وتفضّل روسيا خلوّها من السكان أيضا.

روسيا تريد منطقة ريف حماة الشمالي والشرقي والغربي وريف إدلب الجنوبي خالية من الفصائل غير المنضبطة، وغير الخاضعة لإمرة تركيا، لتأمين محيط قاعدة حميميم من استهدافات المعارضة المتكررة؛ وذلك استكمالا لما قامت به في ريف حماة الشرقي ومنطقة الغاب، في مناطق سيطرة النظام، بجعلها مناطق نفوذ خالصة لها، وخالية من التواجد الإيراني، حيث تقيم فيها معسكراتها، وقد طردت سكان قريتي بريديج والجرنية، لإقامة قاعدة عسكرية لها تدعم الخطوط الأمامية.

تجميع مقاتلي المعارضة في إدلب، ووجود متشددين أجانب، واحتوائها على قرابة 4 ملايين مدني بينهم نازحون، تجعلها منطقة لتسوية الصراعات وتشكيل ضغوط متبادلة بين الأطراف الفاعلة في الأزمة

وإضافة إلى هيئة تحرير الشام، هناك جيش العزة، العامل في إدلب، والمدعوم أميركيا، يعلن رفضه تسيير دوريات روسية– تركية في المنطقة العازلة، في موقف يبدو أنه إرباك أميركي إضافي لروسيا في تحقيق مكاسب ميدانية، وتعزيز مواقعها العسكرية.

هذا عدا الإرباك الأكبر بتراجع الولايات المتحدة عن الانسحاب الكلي من شرق الفرات، وتريد روسيا أن يستعيده النظام، للاستفادة من ثرواته، ومن الاستثمارات وعملية إعادة الإعمار.

وفوق ذلك أوشك الطرفان التركي والأميركي على التوصل إلى اتفاق بشأن المنطقة الآمنة شمالي شرقي سوريا، بعد لقاء خلوصي أكار، وزير الدفاع التركي مع جيمس جيفري، المبعوث الأميركي إلى سوريا، والذي من المتوقع الإعلان عنه فصوله بعد شهر، حيث يجري التوافق على العمق الذي ترغب تركيا في التوغل به. الأمر الذي يزعج روسيا ويحفزها على الضغط على تركيا لتحصيل مكاسب روسية شرقي الفرات.

الولايات المتحدة دعمت، من الخلف، اتفاق المنطقة منزوعة السلاح، ودعمت المشاركة الأوروبية في قمة إسطنبول الرباعية بين تركيا وروسيا وألمانيا وفرنسا، لتثبيت الاتفاق. وبالتالي بات الاتفاق دوليا، ما يعني التزام الطرفين الروسي والتركي به.

أما الفصائل الرافضة لتسيير دوريات روسية في المنطقة، أي هيئة تحرير الشام وجيش العزة، عدا حراس الدين والحزب التركستاني، وحتى الفصائل الموافقة والتابعة لتركيا، من الجيش الوطني والجبهة الوطنية، فكلها لا تأمَن الجانب الروسي، ولا تريد حصرها في منطقة ضيقة شمالا، لأن ذلك سيهدد تحصيناتها التي بنتها خلال أشهر.

كما أن المضي في تنفيذ البند المتعلق بتسيير دوريات روسية– تركية في المنطقة منزوعة السلاح، سيعني الانتقال إلى الخطوة اللاحقة، وهي فتح الطرق الدولية. فتح طريق دمشق– حلب لا يشكل خطرا كبيرا على الفصائل، بعد سيطرة الروس على شرقي السكة في 2016، بعد اتفاق أستانة 4؛ لكن الخطورة تكمن في فتح طريق اللاذقية حلب، فهو سيعني سيطرة روسيا على منطقة جسر الشغور، وبالتالي محاصرة مناطق المعارضة في جيب صغير يسهل اقتحامه.

يظلّ ملف إدلب الأكثر تعقيدا في سوريا؛ ورغم أنها (إدلب) لا تشكّل مطمعا كبيرا للأطراف الفاعلة، كونها لا تحوي ثروات نفطية، وليست ثقلا في ملف إعادة الإعمار، لكن تجميع مقاتلي المعارضة على اختلاف أجنداتهم، ووجود متشددين أجانب، واحتوائها على قرابة 4 مليون مدني بينهم نازحون من مختلف المناطق السورية التي سلمت للروس والنظام، كلها عوامل تجعلها منطقة لتسوية الصراعات وتشكيل ضغوط متبادلة بين الأطراف الفاعلة في الساحة السورية، لتحصيل مكاسب في ملفات أخرى، بحيث يبدو أن حسم مصير إدلب النهائي مرتبط بالوصول إلى تسوية سياسية نهائية، تحدّ من الصراعات الدولية والإقليمية على الأراضي السورية.

وحتى الوصول إلى تلك التسوية سيظل السوريون في إدلب يدفعون باهظا، ثمن رغبة الفصائل الجهادية وغيرها في فرض أجنداتها بالقوة، وثمن الطريق الوعر للوصول إلى تسويات دولية بشأن سوريا.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأحد 2019/05/05
السنة 41 العدد 11339

ارتباك السياسات الإيطالية نحو ليبيا: خسارة الموقف والموقع والمصالح

إيطاليا تمسك باليد المترعشة

بعثرت العملية العسكرية التي يقودها الجيش الليبي لاستعادة السيطرة على طرابلس أوراق إيطاليا، التي تجد نفسها تغرّد خارج السرب في دعمها لحكومة الوفاق الوطني برئاسة فائز السراج، وميليشيات طرابلس ومصراتة، في حين يحوز الجيش الوطني على الدعم العالمي والإقليمي.

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

يبدو الموقف الإيطالي مضطربا إزاء مستجدات الوضع في ليبيا. هناك انتقادات واضحة لحكومة جوزيبي كونتي بأنها فقدت البوصلة، ولم تستطع تحديد موقف واقعي بعد تورّطها السابق مع الميليشيات. ويرى أصحاب تلك الانتقادات أن دبلوماسية بلادهم لم تكن جاهزة لتقبّل الموقف الأميركي الذي يبدو داعما للجيش الليبي بقيادة المشير حفتر، ولا مواقف الدول الكبرى الأخرى مثل روسيا والصين وفرنسا، والقوى الإقليمية كالسعودية ومصر والإمارات، ولا حتى للمنظمات الدولية والإقليمية: مجلس الأمن العاجز عن اتخاذ قرار بوقف المعارك، والاتحاد الأوروبي والاتحاد الأفريقي والجامعة العربية، وجميعها يجعل من الصمت دعما غير معلن لعملية "طوفان الكرامة".

الاضطراب الإيطالي له وجهه السلبي الذي يحاول أن يعرقل بشكل من الأشكال تحرير طرابلس، فطيران الميليشيات التابعة لحكومة الوفاق لا يزال ينطلق من الكلية الجوية بمصراتة لقصف المدنيين في عدد من المناطق الداعمة للجيش الوطني. وهناك عشرات القتلى من المدنيين الذين سقطوا بسبب قصف جوي نفذته طائرات حربية في مناطق مثل ترهونة وغريان وهون والعزيزية وفي ضواحي طرابلس كقصر بن غشير وعين زارة وسوق الخميس وغيرها.

وبالسؤال عن السبب الكامن وراء عدم إقدام سلاح الجو التابع للقيادة العامة للجيش الليبي بالرد على طيران الميليشيات وقصف المهبط الذي تنطلق منه من الكلية الجوية بمصراتة، تؤكد المصادر العسكرية أن ما يحول دون ذلك هو وجود قوات إيطالية في المطار وحوله، وأن الإيطاليين ركزوا المستشفى الميداني داخل الكلية، الأمر الذي جعل طيران الميليشيات يستفيد منه حيث بات يتخذ من الإيطاليين دروعا يتخفى وراءها.

سلاح الجو التابع للقيادة العامة كان قد نجح في تحييد طيران الميليشيات في مطار معيتقة بطرابلس يوم 12 أبريل 2019، غير أن طيران مصراتة لا يزال يمثل خطرا على المدنيين، والأغلبية الساحقة من الليبيين ترى أن إبقاء إيطاليا على قواتها في مصراتة وخاصة في قاعدة الكلية الجوية يمثّل دعما للميليشيات الخارجة عن القانون والجماعات الإرهابية.

دعم إيطالي للميليشيات

كان الناطق باسم القوات المسلحة الليبية اللواء أحمد المسماري، طالب السلطات الإيطالية بإغلاق المستشفى العسكري الإيطالي في مدينة مصراتة، ومغادرة أربعمئة جندي إيطالي في أسرع وقت ممكن.

وقال المسماري، في تصريحات لصحيفة كورييري ديلا سيرا الإيطالية، إن هذا المستشفى الميداني الذي أنشئ إبان الحرب على داعش في مدينة سرت العام 2016، لم تعد له مهمة إنسانية في الوقت الحالي، وأنه لا جدوى من الإصرار على أنه مرفق طبي، وأن الجنود الإيطاليين يعملون لضمان محيطه الأمني، مضيفا أن هؤلاء الجنود يعملون كمدرّبين للميليشيات داخل قاعدة مصراتة حيث يقع المستشفى، وتقلع منها الطائرات التي تقصف القوات المسلحة.

ردّت هيئة الأركان العامة في روما على المسماري بأن الجيش الإيطالي "لا يشارك مطلقا" في الاشتباكات التي تجتاح ليبيا في هذه الفترة. وقالت إن المستشفى والجنود الإيطاليين "يعملون في وئام مع حدود المهمة التي قررتها الأمم المتحدة بمهام واضحة ذات طبيعة إنسانية بحتة وبدعم فني للصيانة".

باختصار، لا علاقة للميليشيات المحلية أو العصابات المسلحة، لكنّ رأي الليبيين يبدو واضحا كذلك: إذا أرادت إيطاليا ألا تتورط في الصراع فيجب عليها إعادة المستشفى والجنود إلى أراضيها، وهناك من يقولون في منطقة "الرجمة" مقر قيادة الجيش الليبي، "نشك في أن الطائرات الإيطالية دون طيار يمكن أن توفر بيانات لمخابرات فائز السراج والميليشيات التي تحارب تحت لواء حكومته".

> روما فقدت أملها في التطبيع مع الجيش بسبب قواتها في مصراتة، وضاع تحالفها مع السراج في زحمة المواقف الدولية المناهضة لميليشياته

صحيفة أليساندريا أوجي الإيطالية قالت إن "الجنود الإيطاليين في ليبيا يتعرضون للنيران. في الوقت الحالي من خلال ضربات الدعاية، ولكن في حالة الحرب دون ربع، لا يتطلب الأمر سوى القليل من التشنج للانتقال إلى الانتقام المسلح". أما صحيفة لا كوريرا دي لاسيرا، فأوضحت أنه "في أوقات الحرب، تصبح لغة الدعاية أكثر عدوانية بشكل طبيعي ولا يصنع السيناريو الليبي أي استثناءات، بل يؤكد بشكل كبير تلك القاعدة. تلعب قناة الجزيرة الفضائية القطرية دورا واضحا إلى جانب تحالف الميليشيات التي تقف إلى جانب فائز سراج وتشجب وصول الأسلحة وحتى الفرقاطة من بنغازي إلى محطة راس لانوف التي يسيطر عليها الجيش، في هذه الأثناء، يُظهر لنا المتحدث الرسمي باسم القيادة العامة للقوات المسلحة الليبية صورة حيث قام نصف ميليشيات مصراتة على الأقل بطباعة العلم الإيطالي على آلياتهم العسكرية مع كتابة حروف باللغة العربية على الباب".

الحقيقة أن تلك الصور التي استظهر بها المسماري أحدثت سجالا واسعا بين الليبيين، البعض يرى أن التاريخ يعيد نفسه، وكأن إيطاليا تحاول أن تسترجع تاريخها في بلادهم في بدايات القرن الماضي، عندما كانت تعتمد على بعض العملاء المحليين في اختراق المجتمع، واليوم هي متّهمة بدعم ميليشيات مارست منذ 2011 كل أشكال الجريمة في حق الشعب.

لذلك، تشعر روما بأنها في ورطة حقيقية، فهي قد راهنت على ميليشيات المنطقة الغربية وخاصة ميليشيات مصراتة وبعض ميليشيات زوارة والزاوية، حيث أقنعها القطريون بأن القوة الحقيقية في ليبيا هي تلك التي توجد في مدينة مصراتة، وأن عليها أن تراهن عليها مستقبلا.

جاء هذا الإقناع من خلفية ترجيح مشروع الانقسام بعد الانقلاب على نتائج انتخابات 2014 البرلمانية وحرب "فجر ليبيا"، ثم إن إيطاليا لديها حنين للشاطئ الرابع وفق أدبيات الاحتلال الفاشي للبلاد، ووفق مخلفات تاريخ يعود إلى أكثر من ألفي عام، وكذلك لديها مطامع في الثروة وبخاصة النفط والغاز، حتى أنه تم تصوير الخلاف مع فرنسا التي تبدو داعمة للجيش، على أنه صراع بين إيني الإيطالية وتوتال الفرنسية.

كذلك كانت روما تعتقد أن ميليشيات المنطقة الغربية يمكن أن تساعدها على ضبط الحدود البحرية، ومنع زحف المهاجرين غير الشرعيين من الضفة الجنوبية للمتوسط.

في الوقت الحالي، هناك حوالي 50 شركة إيطالية لها علاقات تجارية مع ليبيا، لما مجموعه أكثر من 60 ألف عامل معني بما في ذلك عمال الصناعات ذات الصلة وبلغ إجمالي قيمة الاستثمارات 11 مليارا في عام 2015، وشركة إيني، التي تمكنت إلى الآن من استخراج 320 ألف برميل من النفط يوميا في ليبيا، قررت مؤخرا وكإجراء وقائي، إجلاء الموظفين الإيطاليين الليبية.

مواقف متداخلة

حاول المحلل السياسي والعسكري الإيطالي لورينزو فيتا أن يفسّر طبيعة مواقف حكومته المتداخلة بالقول إن روما سعت أولا إلى أن تفعل شيئا مع دونالد ترامب للسيطرة على سير الانتقال السياسي في ليبيا. لكن رئيس الولايات المتحدة يخاطب المشير حفتر رأسا، بل ويعهد إليه بدور أكثر أهمية في القضاء على الفوضى في ليبيا. لكن يحدث تغيير جديد في المسار: يطلب جوزيبي كونتي المساعدة من فلاديمير بوتين، وبعد أن كان يتحدث عن عدوان حفتر على طرابلس، خرج ليقول إنه لا يدعم فائز السراج أو خليفة حفتر ولكن فقط يدعم الشعب الليبي. وأخيرا، يبحث عن منفذ لاستعادة دفء العلاقات مع الإمارات ومصر، وهو يدرك جيدا أن ذلك لن يتحقق بسهولة في ظل تحالفه القوي مع قطر.

ويقول فيتا "الفكرة باختصار هي أن إيطاليا لا تعرف بالضبط ما تريد فعله في ليبيا. وربما هذا هو الخطأ الحقيقي الكبير الذي ارتكبته روما. وبسبب سياستنا نجد أنفسنا مضطرين إلى تغيير رأينا مرة أخرى. ولكن مع خطر أن يكون وزننا أقلّ في ليبيا".

دعم روما المباشر للميليشيات

حاول فائز السراج ابتزاز الإيطاليين عندما استغل منابرهم الإعلامية ليحذر من أن الحرب في بلاده قد تدفع أكثر من 800 ألف مهاجر نحو السواحل الأوروبية. وقال لصحيفة لاريبوبليكا "لن يكون هناك فقط 800 ألف مهاجر جاهزون للرحيل، سيكون هناك ليبيون يفرون من هذه الحرب"، مضيفا "نواجه حربا عدوانية قد تصيب بعدوانها المتوسط برمته. على إيطاليا وأوروبا أن تكونا موحدتين وحازمتين للتصدي للحرب العدوانية التي يشنها حفتر".

كان هدف السراج هو الحصول على دعم روما المباشر للميليشيات التي تقاتل تحت إمرته، لكنه فشل في ذلك، والمقربون منه ينقلون عنه خيبة أمله في الأصدقاء الإيطاليين الذين يعرفون بدورهم أنه بات يتهمهم في مجالسه بأنهم غيّروا موقفهم منه. وتعترف روما عن استحياء بأنها لا تستطيع مواجهة الموقف الأميركي.

ثم إن موقف السراج جاء بعد خيبة أمل نائبه أحمد معيتيق الذي كان زار إيطاليا واجتمع برئيس حكومتها وكبار مسؤوليها حاملا معه سلة من الوعود، وكذلك بوزير الخارجية القطري الذي عبّر عن استعداد بلاده لدفع تكاليف أي دور إيطالي محتمل في دعم ميليشيات الوفاق، لكن ما حدث أن معيتيق عاد بخفّي محمد بن عبدالرحمن آل ثاني، والوعد الوحيد الذي حصل عليه من كونتي هو الإبقاء على المستشفى الميداني في مصراتة والقوة العاملة فيه.

تدرك الحكومة الإيطالية من خلال تقارير استخباراتها الموجودة على الميدان أن الجيش سينتصر في كل الحالات، وأن الميليشيات في طريقها إلى الانهيار، والأخطر أن حكومة السراج تعتمد في مواجهتها للجيش على جماعات إرهابية قد تلجأ في أي وقت إلى ركوب البحر للفرار من ساحات الفناء، لتكون جزر إيطاليا وجهتها، أما المشير حفتر، فهناك إجماع من وسائل الإعلام الإيطالية على أنه الرجل القوي الذي لا يبدو مهتما بشكل خاص بإعادة بناء علاقات قوية مع روما، خصوصا إذا استمرت الحكومة الإيطالية في الإبقاء على حضورها في مصراتة كدرع تتخفى وراءه الطائرات الميليشياوية التي تنفذ يوميا غارات على المناطق المؤيدة للقوات المسلحة.

تونس، غلطة الشاطر في ليبيا

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

عجبا. ما هو الدافع الوطني القوي القاهر الذي جعل تونس الصغيرة الجميلة الهادئة العاقلة المتأنية تضع بيضها الليبي كلّه في سلة الحكومة الإيطالية الباحثة عن مجد ضائع في ليبيا وفي منطقة البحر المتوسّط والعالم؟

ليس مفهوما ولا متوقعا أن تعلن اتفاقها مع رئيس وزراء إيطاليا، جوزيبي كونتي، على الانحياز لفائز السراج المحاصر بالميليشيات داخل طرابلس، وبخليفة حفتر من خارجها، وأن تفصح عن عدائها للجيش الليبي القادم لتحرير السراج والعاصمة، معا، من تخلف الإخوان المسلمين وفسادهم وإرهابهم، ومن أموال القطريين وسلاح العثمانيين اللاعبين في الوقت الضائع، كما يبدو، وكما يتأكد يوما بعد يوم.

لو فشل المشير خليفة حفتر في تحقيق سيطرته على العاصمة وما جاورها، واستمر القتل والحرق والهدم وسفك الدماء إلى ما لا نهاية، بفعل النجدات الدولية والإقليمية المتدفقة على الطرفين المتقاتلين حول طرابلس، وتحولت ليبيا إلى سوريا ثانية، أو إلى يمن آخر؟، ماذا سيستفيد الشعب التونسي؟

ماذا سيجني المواطن التونسي حين تستمر الحرب، ويعجز المواطن الليبي عن السفر إلى تونس للسياحة والاستجمام والاستثمار وشراء المنازل والفنادق والقصور؟

وإذا كانت حكومة إيطاليا تتصرف في ليبيا بعصبيّتها القومية المتوارثة المعروفة، ومن أجل حماية علاقتها المهزوزة مع الميليشيات، والمهدّدة بالجيش الليبي الزاحف نحو العاصمة طرابلس، ونكاية بمصالح الفرنسيين المتقدمة في مناطق المحررة من هيمنة الميليشيات، فما بال التوانسة المعروفين ببعد النظر والعقلانية والعد للعشرة عند الملمات والشدائد يزجّون بأنفسهم ومصالحهم الوطنية الكثيرة في حرب لا يَعرف نهاياتها إلا الراسخون في علم التدخلات الدولية وفي لعبة الأمم ومعارك سماسرة المصالح المنافقين؟

ترى لماذا لم يقفوا على التل، محايدين، لا مع الميليشيات التي قد تدور عليها الدائرة فتُغلبت ويتمزق شملها ويتوقف نهبها لثروات الشعب الليبي وتهريبها إلى تركيا وتونس وإيطاليا وغيرها، ولا مع الجيش الليبي الذي قد يفشل في اقتحام العاصمة، طرابلس، فيبقى الحال على حاله، لا غالب ولا مغلوب، ويظلون على مسافة واحدة من هؤلاء وأولئك، وغير مخاصمين لأحد من الطرفين؟

ثم، أليس في تحرير الوطن الليبي من عصابات الإسلام السياسي المتطرف مصلحة مؤكدة لتونس، خصوصا إذا وفى المشير حفتر بوعوده وحقق المصالحة الوطنية الشاملة، وسمح بإجراء انتخابات، وأطلق حركة إعادة إعمار الوطن المهدّم المخرّب المحتاج إلى كل شيء، من لقمة الخبز، إلى العمارة الشاهقة، والجسر الباهر، والشارع الأنيق، والمطار الجميل، والجامعة المزدهرة، والمستشفى المتقدم الحديث؟

والسؤال الصعب الآخر هو لمصلحة مَن تنحاز الحكومة التونسية إلى الجبهة المعادية للشعب الليبي والعقلانية والرحمة والاعتدال والإنسانية، و(المجاهدة)، بمالها وسلاحها وأموالها، من أجل بقاء الفوضى والاقتتال وخراب البيوت؟

فما الذي يجمع تونس المتحرّرة من الخرافة والتطرف والعنف الديني مع تركيا الإخوانية، وقطر المحتضنة لقادة الإرهاب الإسلامي، وإيران الرافضة بقوة لوضع الإخوان المسلمين على قائمة الإرهاب؟

ولمصلحة من تراهن الحكومة التونسية على خيول الإخوان المسلمين الخسرانة المنهكة المحاصرة المطلوبة للعدالة الدولية، والملاحقة، أمنيا وقانونيا واقتصاديا، وحتى النهاية؟

وماذا تكسب تونس، حكومة وشعبا، لو استمرت الفوضى في جارتها ووجد الدواعش والقاعديون، بمعاونة الإخوان المسلمين، مأوى ومرتعا لتفريخ الإرهابيين وتصديرهم إلى دول الجوار؟

إن الظاهر المخفي هو أن حركة النهضة في تونس، باعتبارها الشقيقة الكبرى للإخوان المسلمين، هي القابلة التي ولدت الاتفاق الأخير مع رئيس الوزراء الإيطالي، بذريعة "فتح المجال أمام 'حل سريع" لإنهاء الحرب الليبية، وتجنّب التصعيد، وضمان وحدة ليبيا وأمن شعبها واستقراره".

> ما الذي يجمع تونس المتحررة من الخرافة والتطرف والعنف الديني مع تركيا الإخوانية، وقطر المحتضنة لقادة الإرهاب الإسلامي، وإيران الرافضة بقوة لوضع الإخوان المسلمين على قائمة الإرهاب؟

والسؤال الواجب طرحه هنا هو، أين كانت النهضة والحكومة الإيطالية في السنوات العجاف الماضية من اضطراب أمن الشعب الليبي، وضياع استقراره، وخراب دياره، ونهب ثرواته، على أيدي المسلحين المتشددين الرافضين المعرقلين لأي اتفاق سلام حقيقي بين المتقاتلين، رغم التقائهم مرات عديدة، كان آخرَها في باليرمو، وهو لقاء لم يُنتِج سوى المزيد من الانقسام والتعنّت والعناد؟

الحكومة الإيطالية لو كانت حريصة حقا على السلم الليبي وعلى "حل سريع" لإنهاء الحرب الليبية لنفضت يدها من أيدي المعرقلين الوحيدين للمصالحة، لا حبا بسواد عيون أحدٍ من الليبيين، ولكن سعيا لتحقيق عودة لها جديدة ومتوازنة ومثمرة مع الشعب الليبي الذي قد ينسى تاريخها الدامي البغيض في بلاده، وقد يضع يده بيدها من جديد.

وأغلب الظن أن الشعب الليبي المتطلع إلى الحرية والانعتاق والخلاص من حالة الاحتراب لا يعتب كثيرا على إيطاليا التي تعرف انتهازيتها ونوازعها الاستعمارية الاحتلالية التاريخية التي لا تنسى. ولكن المؤكد أن في كل بيت ليبي، في شرق ليبيا وغربها، جنوبها وشمالها، مواطنا واحدا أو أكثر يعتب على أشقائه التوانسة الذين يعلمون أو لا يعلمون بأنهم في تأييدهم لمحبة الإيطاليين المغشوشة والمسمومة للسلم الليبي إنما يعملون على إنقاذ الميليشيات الخارجة على السلم والأمن والقانون، وحماية عصاباتها من السقوط، وهو الذي لن يتحقق.

أجهزة كشف الكذب تكذب أكثر من البشر

هل يمكن للذكاء الاصطناعي جعل العالم مكانا أفضل

تمثل التهديدات الأمنية معضلة كبيرة لمعظم دول العالم. ولم يعد الناس يشعرون بالاطمئنان والراحة نتيجة تصاعد وتمدد الهجمات الإرهابية التي جعلت الرعب يستوطن نفوس البشر أينما كانوا، غير أن رواد الذكاء الاصطناعي يعملون على قدم وساق للتصدي للخارجين عن القانون وجعل العالم مكانا أفضل للجميع.

محمد اليعقوبي

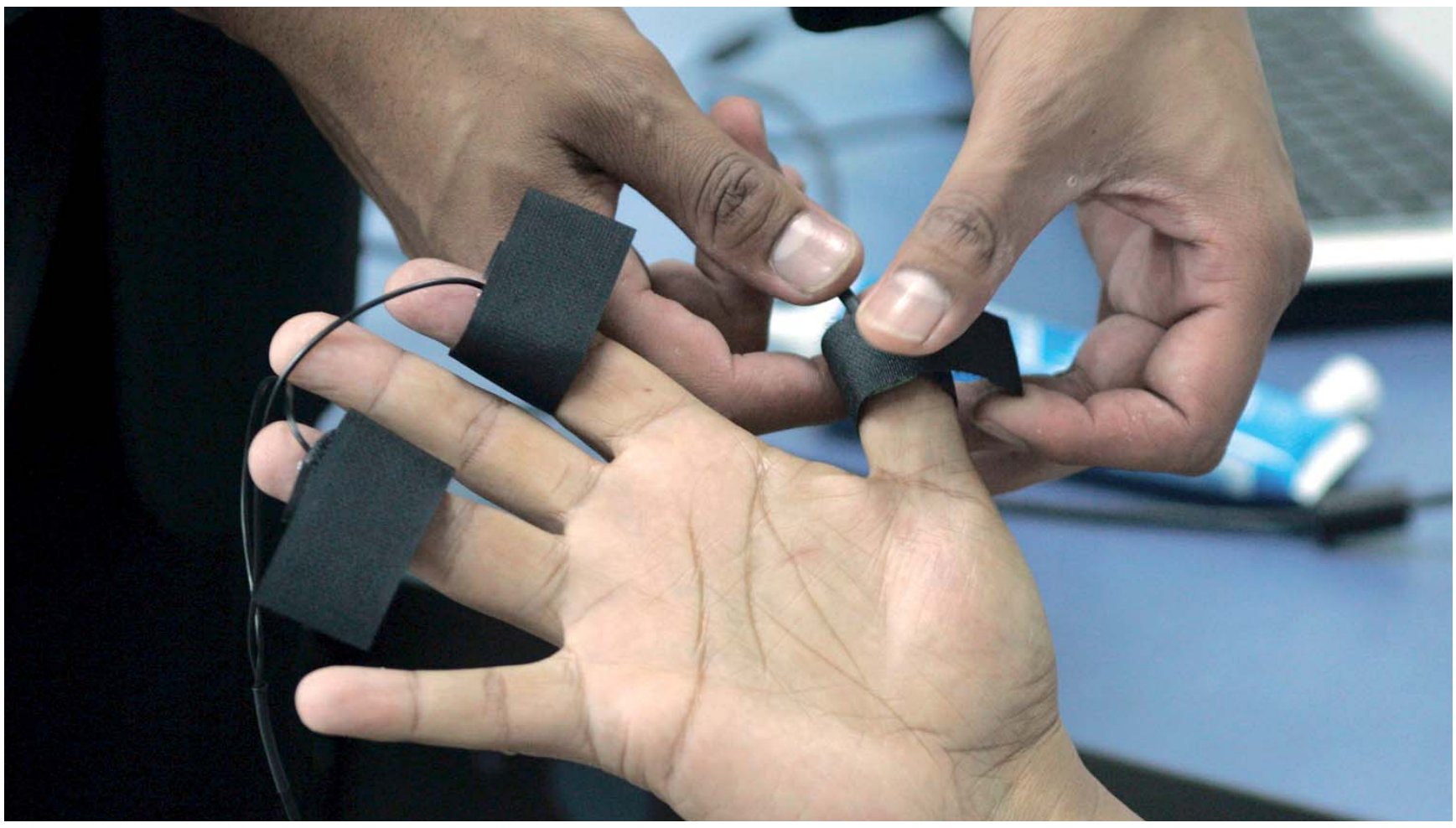

الآلة لا تعرف الكذب الأبيض

كشفت التفجيرات التي شهدتها أنحاء متفرقة من العالم، عن تنامي خطر الهجمات الإرهابية. وبات هذا الخطر المتزايد، يمثل تحديا كبيرا أمام أجهزة الأمن، إذ يصعب عليها في غالب الأحيان التنبؤ بالهجمات. كما تتزايد الضغوط الواقعة على كاهلها، لكي يتسنى لها اتخاذ القرارات الصائبة، بشأن الاحتمالات المتعلقة بإمكانية وقوع هجمات داخل دور العبادة ومحطات وسائل النقل العمومي والمطارات وفي المحلات العمومية والطرقات.

من بين الحلول التي ارتأت إليها بعض حكومات العالم، هي توفير التمويل لرواد الذكاء الاصطناعي لتطوير وسائل تعتمد على تقنيات الذكاء الاصطناعي لتحليل أفكار الناس ومزاجهم بهدف الكشف عن نواياهم.

ويسود تفاؤل كبير بين رواد الذكاء الاصطناعي بشأن فعالية دور الخوارزميات الذكية التي ستحل محل الضباط المكلفين بعمليات التفتيش الأمنية، حيث سيكون بمقدورها النظر في جوازات سفر الركاب والتقاط صور شخصية لهم، كما سيكون بوسعها أيضا الولوج إلى أرشيفهم الاجتماعي وأنشطتهم على الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي، للتأكد من هويتهم، وإن كانوا لا يشكلون أي خطر أو تهديد.

ويؤكد الخبراء أن هذه الأنظمة ستكون أكثر نجاعة من أجهزة كشف الكذب المعروفة بالبوليغراف التي يتم استخدامها في دوائر الشرطة والتحقيق.

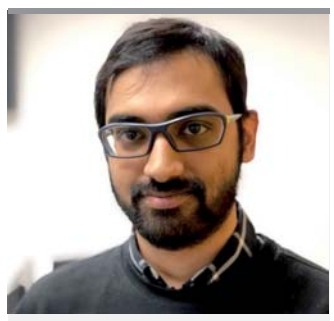

بهارات سينغ

الكذب هو الكذب بالنسبة للآلة. ومن هنا سيقدم الذكاء الاصطناعي للمحاكم خدمات جليلة في كشف محترفي الكذب والخديعة

وتستعمل أجهزة البوليغراف لقياس معدل نبضات القلب وضغط الدم ومعدل العرق والتنفس ومن خلال مقارنة تلك المعدلات الأربعة، يمكن للخبراء أن يعرفوا ما إذا كان الخاضع للبوليغراف يكذب أم لا.

واخترع جون أوجست لارسون البوليغراف عام 1921. واستخدمها المحققون ورجال الشرطة والقضاة منذ ذلك الحين، ولكن مصداقيتها لا تزال إلى اليوم موضع خلاف عند علماء النفس ومحل اعتراض عند الفقهاء والقضاة.

وأصدرت الأكاديمية الوطنية للعلوم في الولايات المتحدة تقريرا رسميا عام 2001 بعدم اعتماد هذا الجهاز كمصدر موثوق فيه.

نسبة الخطأ

يقول المعارضون لاستخدام البوليغراف إن نسبة الخطأ في نتائجه أكبر من أن يتم الاعتماد عليها في قضايا مصيرية. ويشدد خبراء الجاسوسية على أن الجواسيس المخضرمين قد تلقوا تدريبات فعالة في كيفية التحكم في المتغيرات الفسيولوجية، أو إنه يمكن أن يقنع الخاضع للجهاز نفسه خلال الأسئلة المعيارية، وهي تلك المصممة لكي يقول الحقيقة، إنه يكذب فيعطيهم بذلك خطا أدنى من التردد يمكن أن يناور من خلاله.

وتوافق محاكم عدة دول على ذلك الرأي ولا تعتمد نتيجة البوليغراف كسند قانوني، ولكن الأجهزة الأمنية التنفيذية في نفس تلك الدول تستخدمه كمؤشر على صدق متهم أو كذبه بشأن موضوع ما. وبالنسبة للمشتبه فيه العادي، يكون التلويح باستخدام جهاز كشف الكذب فعّالا في جره للاعتراف أو أن يتوتر جدا بحيث يتضارب كلامه فيمكن للمحقق استدراجه للاعتراف.

ولكن تلك السمعة التي حصل عليها البوليغراف جاءت من أفلام السينما ومسلسلات التلفزيون. ويقول أعضاء من المركز القومي للبحوث الأميركي إن أفضل ما وصل إليه العلم في أجهزة البوليغراف، لا يضاهي تلك الفكرة الأسطورية التي اخترعها التلفزيون، في حين دافعت جمعية "البوليغراف" الأميركية، عن مفهوم كشف الكذب مشددة على أنه استخدم في كافة ثقافات العالم لقرون وقرون.

ومن الاختبارات التي عرفت في بعض الحضارات القديمة أن يعطى المشتبه فيه حفنة من الأرز المبلول ليضعها في فمه، وإذا سال لعابه وابتلع أو بصق الأرز فهو يكذب.

وتركز فكرة البوليغراف إذن على وضع المتهم في حالة نفسية تقرب من التوتر، حتى يمكن استخلاص الحقيقة منه، أما أنظمة كشف الكذب الحديثة المعتمدة على الذكاء الاصطناعي، والتي ستحل مستقبلا مكان جهاز البوليغراف في جلسات المحاكم وبالمطارات، فسيتم "تدريبها" على التعرف على تعابير الوجوه وترددات الأصوات وتفسيرها، تماما مثلما يمتلك البشر القدرة على تمييز تلك التعابير والترددات الصوتية.

تعمل شركة أميركية رائدة في مجال التكنولوجيا، سبق لها التعاون مع سلطات الحدود والجمارك في الولايات المتحدة، عقب هجمات الحادي عشر من سبتمبر عام 2001، على تطوير إحدى هذه المنظومات، الهادفة إلى تحديد هوية المسافرين الخطرين، قبل وقت طويل من توجههم جوا إلى الولايات المتحدة.

ولدى الشركة نظام لتقييم التهديدات والمخاطر يحمل اسم "لاين سايت"، يجمع البيانات الخاصة بالمسافرين من وكالات حكومية أميركية مختلفة، وكذلك من مصادر أخرى، ليصدر تقييما للمخاطر المرتبطة بكل منهم، بناء على حسابات رياضية.وجرى توسيع نطاق هذا البرنامج وتعزيز إمكانياته حتى يشمل أنواعا أخرى من المسافرين والبضائع التي يمكن أن تكون موضع اهتمام المسؤولين عن أمن الحدود.

والعام الماضي، تمكن باحثون في علوم الحاسوب من جامعة ميريلاند بالولايات المتحدة، من تطوير محرك "دير"، المعتمد على نظام الذكاء الاصطناعي بهدف كشف محاولات الكذب والخداع في قاعات المحاكم من دون التدخل البشري.

وقام الباحثون بتدريب الذكاء الاصطناعي على ملاحظة تعابير الوجه البشرية الدقيقة كتقطيب الحاجبين وبروز الشفتين وتصنيفها، وكذلك تحليل ترددات الصوت، من أجل الكشف عن الأنماط التي تدعم صدق الشخص أو كذبه، ثم اختبروا ذلك على مجموعة من التسجيلات لبعض مقاطع فيديو لممثلين لمعرفة مدى صدقهم أو كذبهم.

وبيّنت النتائج التي توصل إليها الباحثون أن أداء "دير" في الكشف عن الكذب أفضل في المتوسط من أداء البشر.

الكذب ألوان

قال بهارات سينغ، أحد الباحثين المشاركين في تطوير محرك "دير"، "لقد لاحظنا أن أداء نظام الذكاء الاصطناعي كان أفضل كثيرا في توقع الخداع من أداء الأشخاص العاديين".

وأضاف "الكذب هو الكذب بالنسبة للآلة التي لا تعرف له ألوانا، ولا تعترف بما يعتبره البشر كذبا أبيض. ومن هنا سيقدم (دير) للمحاكم خدمات جليلة في كشف محترفي الكذب والخديعة".

وأوضح "هناك تطبيقات عديدة قادرة على كشف الكذب تستطيع مدنا بنتائج موثوقة، لكن تطبيق (دير) يختلف عنها في عدم اعتماده على التدخل البشري عند استخدامه، إضافة إلى سهولة تطبيقه في المحاكم، وإمكانية استخدامه في مجالات أخرى خاصة ألعاب الفيديو عبر الإنترنت".

أما راجا شاتيلا، رئيس اللجنة التنفيذية في المبادرة العالمية المعنية بأخلاقيات الأنظمة المستقلة والذكية، التابعة لمعهد مهندسي الكهرباء والإلكترونيات، فدعا إلى استخدام "دير" بحرص، منبها إلى ضرورة عدم الاعتماد عليه كليا في تحديد مصائر الناس، بل يجب الأخذ في عين الاعتبار حدود قدراته وسياق استخداماته، حتى تتحقق الغاية القصوى منه، وينجح في مساعدة (القاضي) على اتخاذ القرار الصائب.

وشدد شاتيلا على أن الطباع والسلوك تختلف من شخص إلى آخر، وكذلك على احتمالية وجود تحيز ناتج عن نوعية البيانات التي درب الذكاء الاصطناعي عليها.

ويرى البعض من الخبراء أن هذا الأمر أشبه بالأساطير، ويتساءلون إن كان في مقدور أنظمة الذكاء الاصطناعي بالفعل قراءة عقول وخلجات الناس على مختلف أطيافهم؟ معتبرين الفكرة برمتها ما هي إلا "كذبة كبيرة".

ونبهت روث مورغان، خبيرة الطب الشرعي بجامعة كوليدج لندن، إلى أنه لن يكون من السهل التثبت من استنتاجات الذكاء الاصطناعي، إما لأنه ملك خاص لشركات بعينها، قد لا ترغب في إفشاء أسرارها، أو لأن الجهاز معقد إلى حد يستحيل معه إثبات استنتاجاته، وهذا قد يعوق استخدام هذه التقنيات على نطاق واسع.

ولا تزال هناك عدة تساؤلات حول مدى دقة الأنظمة المبنية على الذكاء الاصطناعي، فرغم أنها أثبتت أنها أسرع من الطرق التقليدية في الكشف عن الحقائق في بعض الأحيان، وأكثر دقة من البشر في أحيان أخرى، لكنها ستواجه اختبارا فعليا عند استخدامها في القضايا الحقيقية، إذ سيكون على الأجهزة الأمنية إثبات مدى مطابقتها للمعايير القانونية والأخلاقية قبل الإشادة بفوائدها في مجال التحقيقات الجنائية.

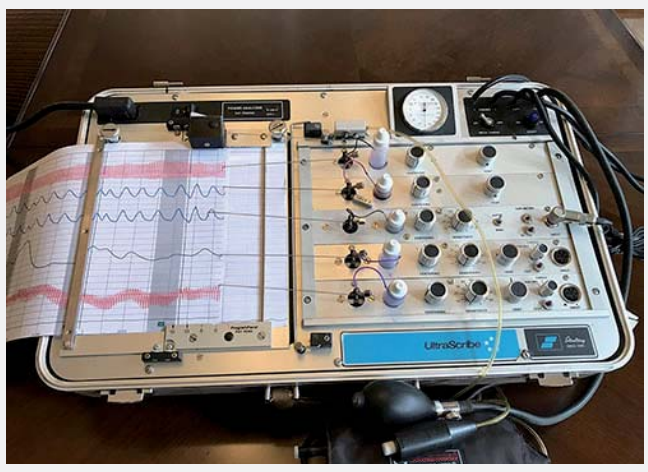

شهرة جهاز كشف الكذب جاءت من الأفلام والمسلسلات. ويقول أعضاء من المركز القومي للبحوث الأميركي إن أفضل ما وصل إليه العلم في أجهزة البوليغراف لا يضاهي تلك الفكرة الأسطورية التي اخترعها التلفزيون

ملاحقة الإرهابيين

يبدو أن الاعتماد على أنظمة الذكاء الاصطناعي سيؤدي إلى التصدي بفعالية أكبر للأساليب المتطورة التي يستخدمها الإرهابيون لتنفيذ هجماتهم، والخارجون عن القانون للإفلات من قبضة العدالة، إلا أنها لا يمكن أن تحل محل الخبرات البشرية في هذا الشأن، لأنه ليس بوسع الآلات مهما بلغت درجة تقدمها، أن تحاكي قوة الإحساس والقصد في الدماغ البشري.

ولحسن الحظ يتمتع البشر بمرونة كبيرة، تجعلهم قادرين على تطبيق استراتيجية "التفكير في العكس ، بمعنى آخر يتبنون وجهة النظر المخالفة لتوقعاتهم، والتي تدفعهم للبحث عن الأدلة البديلة التي تتعارض مع مواقفهم الحدسية الأولى، وهذه الاستراتيجية ليس من السهل على تقنيات الذكاء الاصطناعي اكتسابها، فهي "تدرب" على التعرف على أنماط أو سلوكيات بعينها اعتمادا على مجموعات البيانات المخزنة، يمكن أن تكون مليئة بالتحيزات، بما يجعل الوهم والحقيقة يلتبسان في غالب الأحيان.

العرب
الأحد 2019/05/05
السنة 41 العدد 11339

بطل مشروع «ماك» الذي تنسجه الأيدي الخفية

فرحات مهني

زعيم انفصالي يتربص بأمازيغ الجزائر

صابر بليدي
كاتب جزائري

يصرّ زعيم حركة استقلال القبائل فرحات مهني الذي يصفه البعض بـ"الانفصالي البربري"، على تقديم خدماته المجانية للسلطة، بمشروع سياسي مرفوض شعبيًا حتى داخل القلاع الخلفية للأمازيغ في منطقة القبائل. وهو ما يكون قد ضمن له الحماية من المتابعات والعقاب، رغم أن الأمر يتعلّق بالسيادة والوحدة الوطنيتين، فالرجل محصّن من المساءلة، بينما يتابع من علّق على منشور في الفيسبوك أو وضع له إشارة إعجاب.

عاد مهني إذاً بقوة في ذروة الحراك الشعبي المتصاعد بالجزائر، ليتحوّل إلى إحدى الأوراق المكشوفة في إدارة موازين القوة داخل البلاد، رغم إجماع المراقبين على أن مشروعه انتحاري، يقوض الأمازيغ في رقعة جغرافية غير قابلة للحياة، وأنه لم يكن ليحظى بهذا الزخم، لولا آليات الغلق التي أخرت تعرية الرجل والمشروع معا، أمام البربر أولا والجزائريين جميعا.

> فرحات مهني يسدي خدماته الجليلة للسلطة كما اعتاد دوما، لتخويف الشارع من أي مبادرة للتحرر من طغيانها، ولا يختلف مشروع حركة انفصال القبائل، عن تنظيم داعش وقبله القاعدة، التي ما انفك النظام يوظفها كفزّاعة لإثارة المخاوف، أو شمّاعة يعلّق عليها قراراته وأجنداته الجاثمة على صدور الشعب منذ عقود

فيما يقبع العشرات من المدوّنين خلف السجون، لمنشورات أو تعاليق وضعوها في شبكات التواصل الاجتماعي، لإدانة ممارسات السلطة، أو معارضة سياساتها، يتمتع مهني بكامل حريته في تنقلاته وتصريحاته. ومن الصعب استيعاب الإقرار بسجن الشاب غرمول الحاج، من محافظة معسكر بغرب البلاد، لأنه رفع لافتة منذ أشهر رفض فيها الولاية الخامسة لبوتفليقة، بينما يسمح لمهني، بإلقاء محاضرة بواسطة الفيديو من فرنسا في جامعة تيزي وزو.

ويوحي عنوانا العملَيْن إلى فرق شاسع بين طرح الرجلين، إلا أن المعاملة الأمنية والقضائية تكيل بمكيالَيْن في الجزائر، فالأول الذي سجن بسبب رأي معارض للسلطة، ثبت بمرور الأيام أنه يقع في صلب مطالب الحراك الشعبي، بينما الثاني قدّم محاضرة بعنوان "الاحتلال الجزائري للقبائل"، ومع ذلك لا أحد يتحرك لا في الحكومة ولا في السلطة العسكرية الحساسة جدا لخطاب السيادة والأمن الوطني.

ويكاد الجزائريون يجمعون على أن وهم دولة القبائل التي يطالب بها مهني، يقدّم خدمة مجانية للسلطة الخفية وإلا كان مصيره أبشع من مصير الكثير من المعارضين، وأن سياسة الغلق الممارسة عليه، صنعت منه ماردا كرتونيا يتحلّل بقطرات مطر، أو يطارد بالنعال والبيض في تيزي وزو نفسها، لو وضع وجها لوجه أمام سكان المنطقة أو عموم الشعب في ربوع البلاد.

أصالة العنصر الأمازيغي

لقد ظل مهني يُسدي خدماته الجليلة للسلطة، لتخويف الشارع من أي مبادرة للتحرر من طغيان السلطة، ولا يختلف مشروع حركة انفصال القبائل، عن تنظيم داعش وقبله القاعدة، التي ما انفك النظام يوظفها كفزّاعة لإثارة المخاوف، أو شمّاعة يعلّق عليها قراراته وأجنداته الجاثمة على صدور الشعب منذ عقود. وتكفي المتابع لحظات قليلة فقط، ليحكم على جمود أفكار المشروع الانفصالي لمهني، فالرجل الحالم بدولة قبائلية متحرّرة من الاستعمار الجزائري، يتجاوز كل الحقائق العقلية والمنطقية، ويصنع لها ذرائع لا تستند إلى أي مسوغ تاريخي أو سياسي ولا حتى جغرافي واقتصادي.

رغم أصالة العنصر الأمازيغي في المنطقة، قياسا ببقية الأعراق الأخرى، مهما اختلفت المقاربات التنظيرية في أصوله، وتوزعه في كل ربوع البلاد، وربوع منطقة شمال أفريقيا، يريد له مهني، دولة في ثلاث محافظات تشكل منطقة القبائل حاليا، وهي تيزي وزو وبجاية والبويرة. ودون أن يقدّم استشرافا لمستقبل وتبعات المشروع الانفصالي وإمكانيات تجسيده على الأرض، يجد الأمازيغ أنفسهم محشورين في رقعة لا تشكل حتى واحد بالمئة من عموم البلاد، من غير أن يطرح منظّر المشروع حلولا لوضع المقيمين والمولودين خارج منطقة القبائل، ولا للأواصر المتجذّرة بين الإثنيات المكوّنة للمجتمع الجزائري الحالي، ولا للمقومات الاقتصادية والثروات التي تكفل للدولة الحلم إعالة شعبها وخدمته.

دويلة مشوهة

وباستثناء شريط ساحلي بنحو 200 كيلومتر يريح مشروع مهني، فإن حدوده البرية ستضعه في زجاجة، فكل حدوده البرية يقتسمها مع "المستعمر"، وكل نشاطه الاقتصادي والتجاري سيرتبط معه، الأمر الذي يحكم على دولة القبائل المنشودة بالموت الحتمي في أحسن الأحوال، قبل أن يصطدم مشروعها برفض أمازيغ القبائل وشتّى ربوع البلاد، ويضع فرحات مهني، في خانة الأدوات الخادمة لقوى خارجية وداخلية.

وكانت الحركة الثقافية البربرية في ثمانينات القرن الماضي، قد دفعت بالعديد من رموز النضال الثقافي واللغوي في المنطقة إلى الواجهة، ومن بينهم فرحات مهني، الذي أخذ نهجا متطرّفا وحتى انتحاريًا، بعدما شذّ على رفاق الدرب الذين يتمسكون بالوحدة الوطنية، ويضعونها في خانة الخطوط الحمراء.

أما اليوم فلا يتوانى مهني عن إظهار عدائه لكل ما هو جزائري ويعتبره استعمارا لبلاده، مقابل استعداده للتعاون مع أي قوة أو كيان يُعينه على تحقيق حلمه الانفصالي وتفكيك وحدة البلاد، وتجرأ في سنوات ماضية على زيارة تل أبيب، وتعاطف مع المسؤولين الإسرائيليين نكاية في الجزائر والجزائريين الذين يدعمون الشعب الفلسطيني.

وفي إطار مشروعه التقسيمي، دعا خلال الصائفة الماضية، بالموازاة مع انفجار فضيحة الكوكايين، دعا مهني، إلى تشكيل فرق من الميليشيات المسلّحة في المنطقة، للدفاع عن السكان مما أسماه بـ"غطرسة الأجهزة الأمنية للاستعمار الجزائري"، وأظهرت صور تداولتها بعض المدوّنات بزّات وأسلحة، إلا أنه لم يظهر أي أثر لتلك المجموعات، بسبب فشل الرجل في تعبئة الشارع القبائلي لمشروعه.

وكان قد أعلن في وقت سابق عن ميلاد حكومة دولته في المنفى منذ سنوات، لكنه فشل في افتكاك اعتراف أو تعاطف أي دولة أو قوة بما فيها تلك المعروفة بعدائها للجزائر، وحتى الأكاديمية البربرية أو المؤتمر العالمي للأمازيغ، لم يوليان أهمية للمشروع كونه يقزم البعد الثقافي واللغوي الأمازيغي في حدود جغرافية ضيقة.

فشل شعبي

يؤكد قرار السماح لمهني، بإلقاء محاضرة الاحتلال الجزائري للقبائل على طلبة جامعة تيزي وزو في بحر هذا الأسبوع، في الحين التي تمنع فيه وزارة التعليم العالي فتح المدرجات أمام ناشطين وأساتذة جامعيين، على غرار سليم بن خدة، الذي تحمل جامعة الجزائر المركزية اسم والده "بن يوسف بن خدة"، ومصطفى بوشاشي، بأن السلطة بصدد حبك مناورة عبر إذكاء صراعات ثقافية وأيديولوجية لتوجيه اهتمام الرأي العام من الحراك الشعبي إلى المسائل الهامشية.

ويجزم الكثير من المعارضين الجزائريين بأن مشروع "الماك" وهو الاختصار اللاتيني لمشروع فرحات مهني، هو أداة من الأدوات التي توظفها السلطة الخفية "الاستخبارات"، في التلاعب وتوجيه الرأي العام، وأنه يؤدي دوره في تخويف الجزائريين من أي مقاومة سلمية للنظام السياسي القائم.

إلا أن الردّ جاء سريعا من سكان مدينة تيزي وزو، الذين خرجوا في مظاهرات شعبية للتنديد مجددا بمشروع مهني، وبدسائس السلطة التي تريد إشعال فتنة عنصرية، مطالبين طرد أنصار المشروع، والتعبير عن تمسّكهم بوحدة وهوية البلاد، والانضواء تحت لواء الحراك الشعبي الضامن للتنوع والاختلاف تحت سقف الجزائر، ورفض أي محاولة للتفرقة بين أفراد الشعب.

● الرد الشعبي الغاضب والرافض للانفصال عن الجزائر يأتي سريعا من سكان مدينة تيزي وزو، الذين خرجوا في مظاهرات حاشدة للتنديد مجددا بمشروع فرحات مهني وبدسائس السلطة التي تريد إشعال فتنة عنصرية للهرب من الاستحقاق الديمقراطي.

إن دخول منظّر المشروع الانفصالي، في عزلة شعبية بمنطقة القبائل، يؤكد هشاشة المخطط، وقد بات مهني الذي يحيط نفسه ببعض العشرات من أنصاره، بعيدا عن المناضلين الكبار للهوية والثقافة الأمازيغية خاصة في منطقة القبائل، ووجد نفسه يغرّد خارج الأطر النضالية والسياسية التي انخرط فيها، كالحركة الثقافية البربرية وحزب التجمّع من أجل الثقافة والديمقراطية المعارض. أما نجل الزعيم التاريخي حسين آيت أحمد، فكان قد أبلغ مهني، رسالة قوية حين منعه من إلقاء كلمة بمناسبة الترحم على جثمان الفقيد لما وافته المنية العام 2015، ورفض حتى مصافحته أمام الملأ، وفوق ذلك وشح يوغرطة آيت أحمد، الحافلة التي كانت تقلّ وفدا من المعزّين الأجانب في جنازة والده بالراية الوطنية، حينما حاول أنصار مهني تزيينها برايات الحركة الانفصالية.

ورغم تشبّثه بقميص المناضل والمطرب القبائلي المعارض للسلطة معطوب الوناس، كرسالة سياسية ومشروع أيديولوجي، إلا أن الانتقادات التي وجهتها له مليكة معطوب، حول توظيف رصيد ونضال شقيقها من أجل القضية الأمازيغية للترويج لمشروعه الانفصالي، عرّى مهني وزاد من عزلته الشعبية.

وقالت مليكة معطوب إن "على مهني التوقف عن الحديث باسم الأموات، وأن شقيقي لم يكن أبدا انفصاليًا، ولم يكن فقط قبائليا، بل كان جزائريًا إلى حد أظافره"، في إشارة لاستغلاله ذاكرة المجتمع القبائلي ورمزية شقيقها الراحل في خدمة أغراض ضيقة تضرّ بالأمازيغ أنفسهم وبالوحدة الوطنية.

وكان ناشطون سياسيون، كرئيس الاتحاد الديمقراطي الاجتماعي كريم طابو، وحزب حركة الشباب من أجل التغيير رشيد نكاز، قد رافعوا من أجل رفع الحصار المضروب على مهني، من أجل كشف حقيقته أمام الرأي العام، وأمام سكان منطقة القبائل تحديدا. وقال طابو إن "الحريات هي التي تكشف حقيقة الجميع، وأن فرحات مهني استفاد من الغلق والتضييق، وأن الأفكار تضرب بالأفكار وليس بالقمع، ومن حق الرجل الترويج لتصوراته والشعب الجزائري هو الذي يحكم على الجميع في أجواء الديمقراطية والحريات".

● مهني لا يتردد في إظهار عدائه لكل ما هو جزائري ويعتبره استعمارا لبلاده، مقابل استعداده للتعاون مع أي قوة أو كيان يُعينه على تحقيق حلمه الانفصالي وتفكيك وحدة البلاد.

عن طريق التجريد يأسر الواقع

عبدالمجيد البكري
المقيم في جنة حروفه

فاروق يوسف
كاتب عراقي

"مجنون الحرف" سميته ما إن رأيت المئات من لوحاته قبل سنوات في نزل صدربعل بالحمامات بتونس. غزارته في الإنتاج تضعه في مصاف قلة من الفنانين العرب الذين يشعر المرء أنهم لا يقومون بشيء سوى أن يرسموا. الرسم حياتهم كلها. غير أن قدرته على أن يستخرج نتائج جمالية مختلفة من موضوع واحد تضعه في موقع متميز بين تلك القلة. ما من شيء سوى الحرف في لوحاته التي رأيتها. غير أنه الشيء الذي يغير من مظهره في كل مرة يُرسم فيها.

رنين حروفه البصري

عبدالمجيد البكري يجدد في طريقة نظره إلى الحرف ليجعل منه شيئا يقع في كل مرة خارج مظهره التقليدي. فإضافة إلى أنه يستفيد من طاقة الحرف العربي على الحركة بما يجعل موسيقاه الشكلية تتجدد في كل مرة يظهر فيها فإنه يلجأ في أحيان كثيرة إلى تقطيعه وإعادة تركيبه، يطيله ويقصره كما لو أنه جملة، يمكن اختزالها وتكثيفها أو التمتع في النظر إليها بما يسمح لها بالاستلقاء والتمدد.

البكري يجدد في طريقة نظره إلى الحرف ليجعل منه شيئا يقع في كل مرة خارج مظهره التقليدي، مستفيدا من طاقة الحرف العربي على الحركة بما يجعل موسيقاه الشكلية تتجدد في كل مرة يظهر فيها

استلهام الحرف العربي جماليا لعبته. غير أنها ليست لعبة شكلية.

يشعر المرء وهو ينظر إلى لوحات البكري أن هناك طاقة تعبيرية خفية تكمن وراء التقاطعات والتداخلات التي تصنعها الحروف وهي تتنقل بخفة على سطح اللوحة لتخلف نوعا من التصادم الذي يصنع رنينا تتلقاه العين بفرح. ذلك ما يمكن أن أطلق عليه مجازا تسمية "الرنين البصري".

هناك صخب حميمي لا يتبدد حين يأسر العين. إنه صخب كائنات لا تشهر عن وجودها إلا عن طريق أصواتها. فالعالم بالنسبة لهذا الرسام يختزل نفسه في أصواته التي يغلب عليها الصمت الشكلي. ذلك لأنها تقيم في الحروف التي تمثل بنيتها الشكلية. اللغة لا تقيم هناك. غير أنها مضطرة للقيام بذلك من أجل أن تُكتب ليس إلا.

الخطاط والرسام وما بينهما

البكري يكتب حروفه. إنه مضطر للقيام بذلك. غير أن لغته الفنية هي أبعد من محاولة الكتابة. فهو يبصر فيما تعيش حروفه حالة من العمى وهو يفكر في مصير حروفه التي تسقط في هذيانها. كل لوحة منه هي عبارة عن هذيان بصري يدور في فلك حلم الحروف في أن تتحرر من أصواتها.

وسط الحروفيين العرب يشكل البكري حالة خاصة. فهو خطاط، غير أنه يعصي الشروط التي تجعل منه خطاطا بالكامل. وهو رسام غير أنه لا يرسم إلا مستعينا بالحروف، وهو ما يجعل منه رساما ناقصا إذا ما اعتمدنا المفهوم التقليدي للرسم. يمكنني القول إن توزعه بين الخط والرسم يذكر بحالة الرسام التونسي نجا المهداوي غير أن المهداوي يقترب من الخط العربي أكثر منه. في بعض الأحيان يحاول البكري أن يصنع من الحروف أشكالا تُذكر بالواقع عن طريق الإيحاء بوجود أشكال، هي في حقيقتها مجرد أوهام بصرية على طريقة الـ"أوب آرت".

رأيت له رسوما تشخيصية تعود إلى السنوات الأخيرة. تلك الرسوم من وجهة نظري لا تمثله ولكن لا يحق لي أن أنكرها.

ولد البكري في قابس بتونس عام 1942. لم يتعلم الرسم مدرسيا غير أنه انهمك فيه في سن مبكرة. عام 2012 أقام معرضا استعاديا في قصر خيرالدين بالعاصمة تونس كان عبارة عن احتفال مزدوج. بلوغه السبعين من عمره ومرور خمسين سنة على ممارسته الرسم في العام 1962.

من نيويورك إلى بكين انتقل البكري بأعماله عبر أكثر من خمسين سنة من الجهد الخلاق الذي حاول البعض أن يأسره في قائمة محاولات تأثيث اللوحة المعاصرة بعناصر تراثية أو مستلهمة من التراث، ولكن ذلك الأمر بالنسبة للبكري لم يكن أساسيا في تجربته، على الأقل في المرحلة التي اطلعت على نتائجها وهي المرحلة الحروفية.

لقد تعامل الفنان التونسي مع الحرف باعتباره جزءا من مشهد حياة معاصرة يعيشها وهو ابتعد بذلك عما حسبه الآخرون ذخيرة تراثية. لم يكن تراث الخط العربي يعنيه في شيء. لقد وجه عنايته إلى الحرف وحده. كلامه وصمته. هدأته وصخبه. عقله وجنونه. جدواه وعبثيته. نظر إلى الحرف بعيني تلميذ موسيقى. وكما أتوقع فإن البكري تعلم من الموسيقى أكثر مما تعلم الرسم. هناك في لوحاته إيقاع لا يدركه سوى الموسيقيين.

أنا على يقين من أن الخطاطين يغبطونه بسبب حساسيته الفريدة من نوعها في مواجهة الحروف ومحاولة تطويعها خارج سياق النص المباشر. سيغفر له الخطاطون إنه رجل يلعب بطريقته الخاصة لأنه من وجهة نظرهم ليس خطاطا وسيحيطه الرسامون باهتمامهم لأنه يهب الرسم متعا هي ليست من أصله وسيحرصون على النظر إليه بحذر، بغية انتظار الفرصة التي تتيح لهم استبعاده من حلبتهم.

"الحلم والمقاومة" كان ذلك هو عنوان معرضه الاستعادي. وهو عنوان يلخص تجربته مع العالم الخارجي.

المقاومة عن طريق الفن

الحالم لا يزال يقاوم. البكري يقاوم قدره حروفيا. كانت فكرته عن الرسم موقع اختلاف. لا تزال حتى اللحظة كذلك. لا يحتاج المرء إلى أن يدافع عن نفسه حين يتعلق الأمر بالرسم. فكرة أن تكون رسومه مغرية بالنسبة للأوروبيين لم تحظ باهتمامه. سيقول لك "إنه فعل كل ذلك ليكون فنانا عربيا" ذلك هو حلمه، وهو الحلم الذي قاوم من أجله.

ولكن علينا أن نتعرف على المقاومة عن طريق الفن كما فهمها الفنان البكري. فهي مقاومة من طراز خاص. ثمة ما يجعله قريبا من فناني المنمنمات. ربما ستهلك مساعيه للإبلاغ عن تجربته الفنية لو وصف فنه بأنه مجرد تزويق. صفحات زخرفية يمكن أن تُلحق بأي كتاب. هذا ما نظنه غير أن البكري يلذ له أن يوصف فنه كذلك. يلذ له أحيانا أن يكون فنه وصفيا. فتأخذ الحروف في تشظيها شكل زهرة أو آنية أو شمس أو غيمة أو جرة فخار. عن طريق التجريد يمكنه أن يأسر الواقع من غير أن يرسمه.

الكائن الجمالي الغريب

يرسم أحيانا وحدات صغيرة من خلال خطوط ملونة لتقع تلك الوحدات كما لو أنها علامات على سطح اللوحة، غير أنها لا تشير إلى شيء معين. إنها علامات يقترحها الخط أثناء نزهته لتشكل عالما يُرى من بعد بطريقة يستدرج سحرها المتلقي إلى أن يقترب منها رغبة منه في التعرف عليها. حينها يكتشف أنه سقط في الفخ الذي نصبه الرسام. فلا شيء هناك سوى ذلك الإيقاع الخطي الذي صنع منه الرسام متاهة لونية. لن يهلك مجنون الحرف إذا لم يستنفذ قدرته على اللعب على حبال الحرف.

البكري فنان واسع الحيلة. له صنعة الحرفي التي تنجد حين يجف النبع وله خيال الفنان الذي يضرب ضربة واحدة، تكون بمثابة بشارة لفتح طريق جديدة. في الحالين فإن البكري هو صانع لوحات لا يمكن أن يخونها الإتقان. "لقد شبه لهم" يمكنه أن يقول معلقا على من يحصرونه في منطقة الخط. وهو عن طريق تلك اللعبة لا ينكر صلته بالخط العربي بقدر ما يسعى إلى إقناع الآخرين بأن هناك أشكالا لتلك الصلة لم يتعرف عليها الآخرون بعد. وهي الأشكال التي تقترحها تجربته. ويشك الكثيرون في أن أحباره ستقاوم الزمن. غير أن فكرته عن الزمن تجعله على يقين من أنه فعل الشيء الصواب حين قرر أن يحرر الحرف من فصوله الأربعة ليجده منفيا كما لو أنه كائن غريب يقيم في إيقاعه الموسيقي من غير أن يحتمي بدلالة أو معنى.

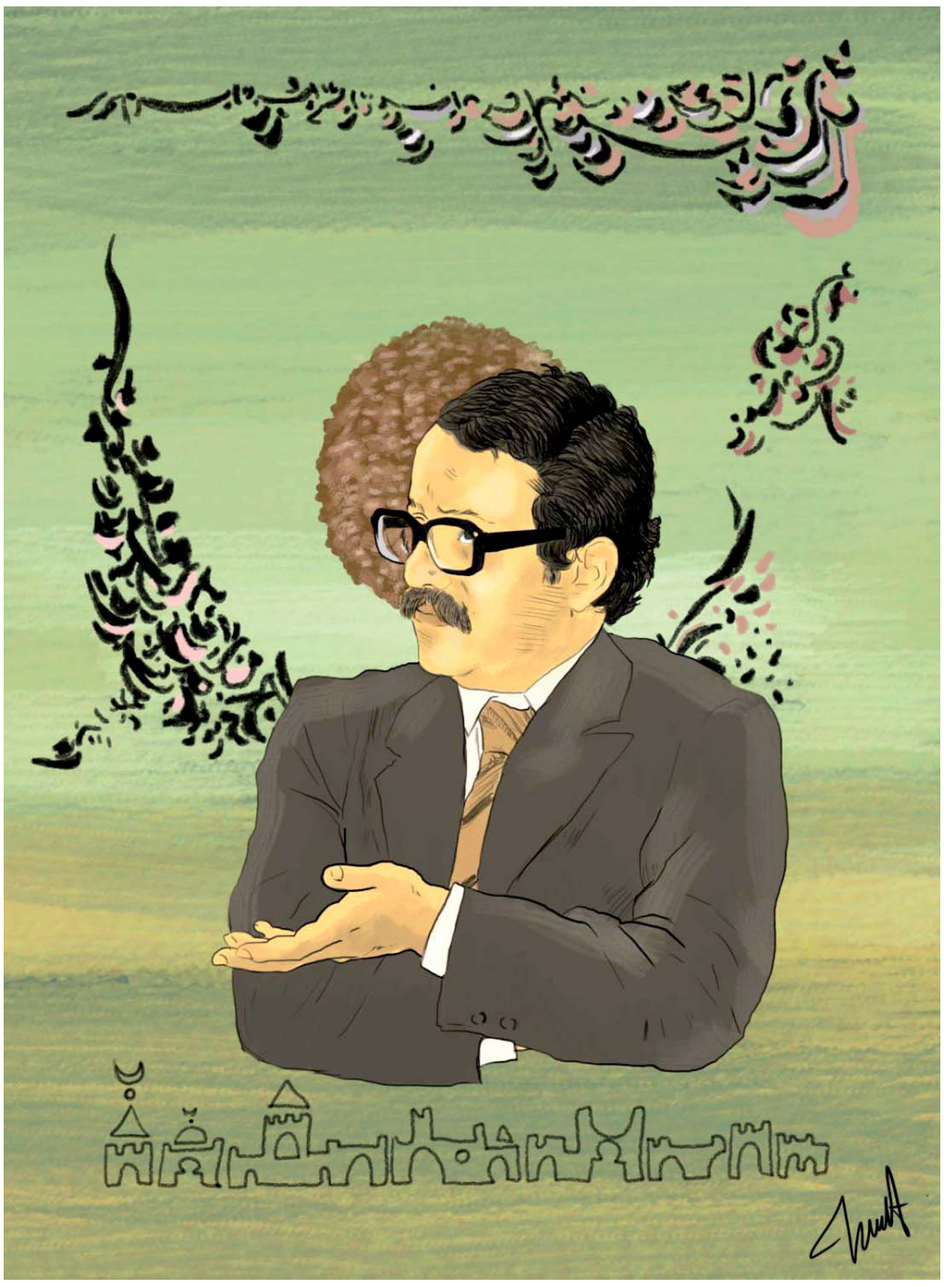

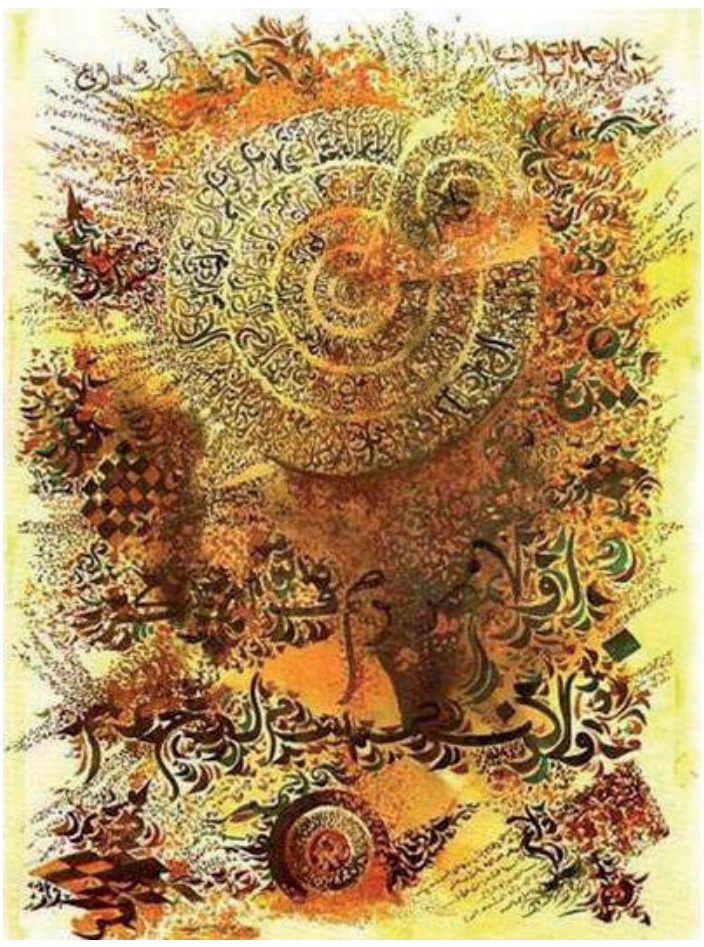

العرب الثقافي
الأحد 2019/05/05
السنة 41 العدد 11339

قوة الشباب وأيقونات الفكر

فرانز فانون ليس مجرد لوحة في شارع ما بعد الاستعمار

نوري الجراح
شاعر سوري

عرفت الجزائر عبر ثلاث رحلات؛ الأولى كانت زيارة حرّة قمت بها خلال العشرية الدامية في التسعينات، واستمرت شهرا ويوما واحدا، تجولت خلالها في عدد من المحافظات الواقعة ما بين وسط الجزائر وأقصى الشرق منها على الحدود مع تونس من بوابتها قالة، في ظل ظروف أمنية مريعة، وكان ثمرتها غير المخطط لها، كتاب يعتبر اليوم الوثيقة العربية اليتيمة التي وضعت من الداخل الجزائري، ولكونه، أساسا، صاغ صورة ميدانية للعلاقة بين الثقافة والموت في تلك الحقبة السوداء.

خلال تلك الرحلة قمت بإلقاء محاضرات حول الشعر، ونُظّمت لي أماس شعرية في محافظات عدة، ولقاءات مع محبي الشعر، بعيدا عن مؤسسات السلطة ورعايتها، بجهود شعراء وكتاب شباب احتفوا بي كمشرقي يزورهم في غمرة سنوات الدم، عندما لم يعد يصل إلى الجزائر إلا طائر اللقلق في الربيع.

> **ارتبط اسم فرانز فانون عندي بكتابه «معذبو الأرض»، قرأته في صباي الأول، وشكلت قراءة المفكر الفلسطيني الراحل إدوارد سعيد لفانون حافزا لي في الثمانينات لإعادة قراءته بوعي أشمل، وعمقت المغزى الفكري لهذه الشخصية**

حمل الكتاب، الذي صدر في مطلع الألفية الثالثة، عنوانا هو "الفردوس الدامي" اشتق من حقيقتين؛ الأولى ما كانت تشهده الجزائر من نزف بشري أليم، والثانية ما تتمتع به تلك البلاد التي تفوق مساحتها خمس مرات مساحة فرنسا، من جمال طبيعي مذهل.

***

الزيارة الثانية جاءت في منتصف العقد الأول من القرن الحالي واستمرت 10 أيام حافلة باللقاءات مع شخصيات من الوسطين الثقافي والأكاديمي الجزائري ممن هم معنيون بأدب الرحلة بحثا وتحقيقا، وذلك تحضيرا لعقد ندوة كبرى في أدب الرحلة ستستقطب إليها لاحقا نخبة من الأكاديميين والكتاب في الجزائر والعالم العربي، وستنتج بالنسبة لي معرفة أكبر بالشمال الأفريقي، على المستوى الثقافي الذي ظل غائبا عن أذهان أهل المشرق، لاعتبارات يردها أهل المغرب العربي إلى ما يسمونه بـ"المركزية المشارقية". وفي ذلك الكثير من الصواب.

بدا لي الفرق كبيرا بين زمني الزيارتين، فشتان بين الزمنين في الوقائع والأحوال؛ في الرحلة الأولى كان الأفق مقفلا واليأس عميما والألم يتجول في الشوارع ويقيم في البيوت. وفي الرحلة الثانية، على رغم المصاعب الكثيرة التي كانت لا تزال تطبع حياة السواد الأعظم من الجزائريين، فإن رفّات الأمل بتجاوز المحنة السوداء التي حلّت بالجزائر كانت تغمر صدور الناس.

لا أكتب هذه الكلمة، اليوم، لأصف الفرق بين زمنين انقضيا معا، ولكن لاستعادة طيف من الصور والتداعيات التي أيقظها فيّ مروري في شارع فرانز فانون في المدينة الأكثر جمالا على شاطئ المتوسط. اسمه الذي أغبطني وجوده على اللوحة في أول الشارع ذي العمارة الكولونيالية الفرنسية، عربون وفاء من ثورة المليون شهيد للطبيب المارتينيكي المساند للثورة بالفكر والعمل في أرض المعركة.

***

ارتبط اسم فرانز فانون عندي بكتابه "معذبو الأرض"، قرأته في صباي الأول، وشكلت قراءة المفكر الفلسطيني الراحل إدوارد سعيد لفانون حافزا لي في الثمانينات لإعادة قراءته بوعي أشمل، وعمقت المغزى الفكري لهذه الشخصية، ومكانة نصوصه كأمثلة ثرية في حقل دراسات ما بعد الاستعمار. وموضوعة "الآخر".

على أن الأمر بالنسبة لي لم يكن مسلما به، فما معنى أن تسمي شارعا باسم أيقونة فكرية مكافحة ضد الاستعمار، ثم تسلب أهل الشارع حقهم في أن يتنعموا بالحياة الحرة الكريمة وتسومهم العذاب اليومي في ظل حكم شمولي يرفع يافطات الاشتراكية، ويجعل من المواطنين الأحرار طابورا من الأسرى وجموعا من المعذبين.

ردتني هذه التداعيات والتأملات إلى جملة مهمة لفانون تتعلق بخطورة الاستقلال الناقص، استعادها إدوارد سعيد في حوار لي معه دار في أواسط التسعينات وظهر لاحقا في كتاب لي وكتاب آخر نشره ناقد أميركي، سأنقلها هنا مع تعليقات وإشارات من المفكر الفلسطيني الأميركي: لدى قراءتك النصوص الأخيرة لفانون في كتابه "المعذبون في الأرض" تجده يعترف صراحة بأنه لا يملك أفكارا خاصة حول الظواهر التي بدأت تفرزها فترة ما بعد الاحتلال. وكان يرى أنه لا يكفي أن تتحرر الجزائر من الفرنسيين، وإنما يلزمنا ولادة تفكير مختلف لتأسيس مجتمع جديد بعد زوال الاحتلال. والجملة الوحيدة التي قالها فانون في هذا السياق هي ما معناه "لو لم يحصل تغيير في الوعي الاجتماعي، فإن ذلك يعني أن كل العمل الثوري السابق من عنف وإرهاب على سبيل التحرير، لن يكون له أي معنى حقيقي".

لكن إدوارد سعيد يعتقد أن "فانون لم يفهم، أبدا، بعمق المجتمع الإسلامي العربي الذي تنتمي الجزائر إلى فضائه الثقافي". ويرى سعيد أن "فانون يمزج في تحليله بين التفكير الأوروبي (عبر مؤثرات ماركسية ولوكاتشية ووجودية وفرويدية)، والوضع الأفريقي". وفي اعتقاده أن الثائر المارتينيكي "لم ينجح كثيرا في ذلك، لكن أهمية فانون ليست، فقط، في مسألة الاستعمار والتحرر، وإنما في التحليل الدقيق لـ'الآخر'".

***

هذه التداعيات والخواطر يستدعيها العقل في محاولة لربط ما يجري اليوم بسياقه التاريخي، لإنتاج المعنى الكامل من دلالات التظاهر والاعتصام للشباب الجزائري المطالب بالاستقلال الثاني، في طرقات عرفتها وسلكتها مرارا من شارع ديدوش مراد إلى جامعة بن عكنون، ومن منطقة القصبة القديمة إلى نصب الشهيد، ومن ساحة الأول من أيار إلى قصر المرادية، ومن الشارع الذي يحمل اسم فرانز فانون إلى مبنى الأرشيف الوطني الذي يحمل اسمه أيضا، وذلك في ظل مناخين لحقبتين مختلفتين من زمن متصل، لم يبرح الجزائريون يحاولون خلاله الخلاص من نير "النظام الوطني" التي انقلب على حلم الدولة المستقلة ذات الطابع الديمقراطي، مؤسسا لشمولية عسكرية بددت حلم الاستقلال، ورهنت البلاد إلى مراوحة تاريخية للتطور المجتمعي على كل صعيد، أدت إلى انتشار التفسخ والفساد والجريمة، وفي الخلاصة موات تاريخي لمجتمع حي أغلبيته الساحقة من الشباب.

***

ها أنا في الجزائر مجددا، أعيش مع الجزائريين، ولكن عبر شاشة التلفزيون هذه المرة، لحظة تاريخية فارقة، وعيناي تتجولان في الشوارع والأزقة والساحات نفسها التي بلغتها بقدمي، وتتداعى إلى نفسي الآن الخواطر والاستعادات جراء حركة شخص يصل إلى الجزائر للمرة الأولى ليكتشف بنفسه الجواب عن السؤال المخاتل الذي تردد يومها كثيرا في الإعلام الغربي: (من يقتل من؟) ليصوب من ثم، بنفسه، السؤال، فيصبح: (من الذي يقتل؟) فالضحية معروفة، إنها الجزائريون، ولكن من هم القتلة؟

شخص يسير في شارع المدينة العربية الأكثر سطوعا بتاريخها الكفاحي، الجزائر، بينما هو يخزن في ذاكرته صورة للوحة تحمل اسم فرانز فانون، وتلك العبارة العظيمة "لو لم يحصل تغيير في الوعي الاجتماعي، فإن ذلك يعني أن كل العمل الثوري السابق من عنف وإرهاب على سبيل التحرير، لن يكون له أي معنى حقيقي".

ها قد وصل الجزائريون إلى جوهر هذه العبارة. إنهم يكملون المهمة، إنهم يصنعون التاريخ؛ تاريخ المعنى.

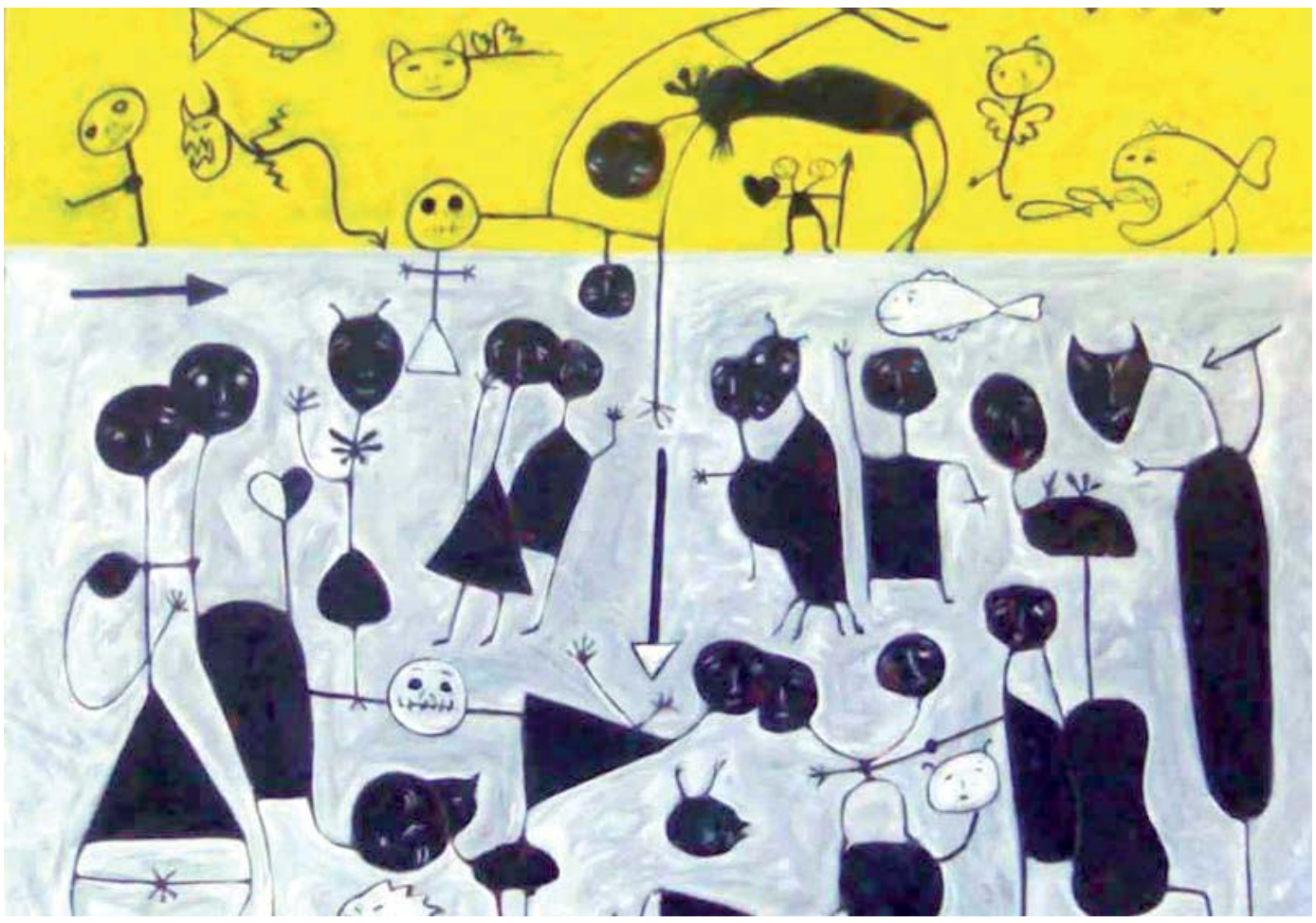

لوحة مجدي ظواهري

في أسباب غياب المعارك الثقافية

حسونة المصباحي
كاتب تونسي

كشف السجال الذي دار مؤخرا حول تسريبات جائزة "البوكر" التي ترعاها الإمارات العربية المتحدة عن تقلص، وربما غياب المعارك الجادة في حياتنا الثقافية راهنا، ليتصدر المشهد ما هو عارض، وسطحي، وعقيم، ومسيء للثقافة في معناها الأصيل والعميق.

ولو نحن تمعّنا في وضع الثقافة العربية خلال النصف الأول منذ مطلع القرن العشرين وحتى عقد الستينات منه، لتبيّنّ لنا أن المعارك التي اندلعت بين مفكرين ومثقفين وكتاب وشعراء حول العديد من القضايا الجوهرية، هي التي مهدت لظهور تيارات واتجاهات لعبت دورا أساسيا في تحريك السواكن، وإذابة جليد الجمود والركود، وبعث الروح في ثقافتنا العربية لكي تكون مواكبة للعصر، وعاكسة لتطوراته السريعة في جميع المستويات.

فحال عودته من فرنسا في العشرينات من القرن الماضي، شن طه حسين معارك حامية ضد المتمسكين بالماضي، والمتشبثين به، رافضين كل شكل من أشكال التجديد سواء في اللغة، أو في أساليب التفكير. ومتأثرا بعقلانية الفيلسوف الفرنسي ديكارت، طرح في كتابه الشهير "في الشعر الجاهلي" ما كان قد سماه بـ"التجديد العقلي" ليتخذ منه منهجا قاعدته الأساسية تجرد الباحث من كل ما كان يعلمه من قبل حول أي موضوع يتناوله بالدرس والتمحيص.

ومعنى هذا أن طه حسين تجرأ على رفض المسلمات واليقينيات، ليعيد النظر في كل ما كان سائدا في التفكير العربي حتى ذلك الحين. وعكس شيوخ الأزهر الذين كانوا "يقدسون" كل ما هو قديم، انصرف هو إلى دراسة آثار الشعراء قبل الإسلام وبعده، بطريقة تعتمد أساسا على أساليب النقد الحديث التي كانت رائجة في الغرب آنذاك. ورغم أنه فصل عن عمله في الجامعة مرتين بسبب مواقفه الجريئة المناهضة لكل أشكال التحجر والتزمت، ظل طه حسين حريصا على شن المعارك ولا هدف له سوى بعث ثقافة عربية تكون مواكبة للعصر في حاضره ومستقبله. وبتأثير منه، ظهر في مصر، وفي بلدان عربية أخرى، مثقفون ونقاد وكتاب انتصروا لأفكاره، خاضوا مثله معارك دفاعا عن حرية الرأي والتفكير، مُعيدين للثقافة العربية رونقها سواء في النقد، أو في القصة والرواية، أو في غير ذلك من أساليب التعبير. وفي أواخر الأربعينات من القرن الماضي، شهد الشعر العربي معارك حامية بين التقليديين المتمسكين بالأوزان الخليلية، ودعاة الشعر الحر المتأثرين بموجات الشعر الحديث في الغرب. حدث ذلك بعد أن نشرت الشاعرة العراقية نازك الملائكة قصيدتها الشهيرة "الكوليرا".

وما لبثت تلك القصيدة أن أثارت ردود فعل كثيرة في جل البلدان العربية، ممهدة لظهور ما أصبح يسمى بـ"الشعر الحر". وفي ظرف سنوات قليلة، تمكن رموز هذا اللون الجديد من الشعر أمثال بدر شاكر السياب، وبلند الحيدري، وعبدالوهاب البياتي، وأحمد عبدالمعطي حجازي، وصلاح عبدالصبور، وغيرهم من فرض وجودهم في المشهد الشعري العربي.

وكانت المعركة بين التقليديين ودعاة الشعر الحر لا تزال مشتعلة في المنابر، وعلى أعمدة الصحف والمجلات، عندما أطلق يوسف الخال العائد للتوّ من الولايات المتحدة الأميركية مجلة "شعر"، مُعلنا من خلالها عن ميلاد لون جديد سماه "قصيدة النثر".

ورغم المعارضة الشديدة التي لاقتها من مختلف التيارات، بما في ذلك التجديدية منها، فإن هذه القصيدة تمكنت من أن تفرض نفسها خصوصا وأن رموزها أثبتوا من خلال السجالات والمعارك أنهم يمتلكون ثقافة عميقة، وأنهم مُتجذّرون في روح الثقافة العربية، وليسوا "غرباء" عنها كما يزعم خصومهم.

لوحة إدوارد شهده

وشهد المسرح العربي هو أيضا جدلا طويلا وحادا بين المتمسكين بالفصحى ودعاة الدارجة. وفي النهاية، كان الانتصار لدعاة اللغة التي يتداولها الناس في مختلف جوانب حياتهم اليومية. وبذلك، لم يعد كتاب القصة والرواية يترددون في استعمال هذه اللغة في الحوارات. وهذا ما فعله كتاب كبار أمثال الطيب صالح، ويوسف ادريس، والبشير خريف على سبيل المثال لا الحصر...

انطلاقا من نهاية الخمسينات من القرن الماضي، بدأت المعارك الثقافية الجادة تشهد تراجعا ملموسا. وظني أن ذلك يعود إلى أن الأنظمة التي جاءت بها حركات الاستقلال الوطنية، أو تلك التي استولت على السلطة بالدبابات والمدافع كانت تَستعْدي كل من يتجرأ على رفض أو انتقاد سياستها. لذلك دأبت طوال فترات حكمها على شن حملات قمع رهيبة ضد النخبة المثقفة، زاجّة برموزها في السجون، أو مجبرة إياهم على الفرار إلى المنافي. ومع بروز الحركات الأصولية المتطرفة في السبعينات، لم تعد الرقابة على النخب المثقفة سياسية فقط، بل باتت دينية.

كل هذه العوامل التي تراكمت على مرّ العقود، ولّدت فئات من المثقفين والمفكرين والكتاب والشعراء الذين يخشون خوض المعارك من أجل الدفاع عن القضايا الهامة والخطيرة التي تواجهها الثقافة العربية على مستويات متعددة ومختلفة. فقد خيّر البعض من المثقفين والمفكرين عدم الخوض في كل ما يتعلق بـ"المقدس" خشية أن يتعرضوا للقتل مثلما كان حال من جاهروا برفضهم لأطروحات الحركات الأصولية. آخرون استكانوا للأنظمة الشمولية الحاكمة فما عادت لهم الجرأة لطرح ما يمكن أن يزعج هذه الأنظمة، أو يثير سخطها وغضبها. وهناك مثقفون وكتاب ومفكرون وشعراء أصبحوا منشغلين بأوضاعهم ومصالحهم الخاصة. لذا هم يفرضون على أنفسهم رقابة خاصة، مُتَجَنّبين إثارة قضايا قد تحرمهم من جائزة مرموقة، أو من منصب رفيع، أو حتى من حضور ندوة أو مهرجان. فما يعنيهم أولا وأخيرا هو إرضاء الجميع بمن في ذلك من لا يتفقون معهم في التفكير والرأي. يتساوى في ذلك الذين يقيمون في بلدانهم الأصلية، أو أولئك الذين يعيشون في المنافي...

لهذه الأسباب كلها، أصبحت المعارك حول الجوائز وحول المصالح؛ الامتيازات المادية وما يدور في فلكها تشغل النخب المثقفة أكثر مما تشغلهم قضايا هامة وخطيرة مثل حرية التعبير، ومحاربة أجهزة الرقابة بجميع أشكالها، والتصدي للعنف والتزمت الفكري والعقائدي، وتوفير الوسائل المادية والمعنوية لحماية حقوق الكتاب، وتعميق النقد الجاد والموضوعي لمقاومة الظواهر السلبية التي تهدد الثقافة العربية راهنا، والمتمثلة بالخصوص في تفاقم الرداءة والسطحية والافتعال في الكتابة كما في التفكير...

الروائي يتفوّق على المؤرخ

الكاتب الجزائري عزالدين جلاوجي: الكتابة هي الخلاص للفرد والجماعة

رحلةٌ ثريّة في حدائق الإبداع خاضها الكاتب الجزائري عزالدين جلاوجي على مدى ما يقرب من ربع قرن، تنقّل خلالها ما بين فنون الكتابة من قصة ومسرح ورواية فضلا عن الكتابات النقديّة، وفي خضم رحلته، كان المُجتمع الجزائري بما شهده من تحولات شاغله الأساسيّ انطلاقا من إيمان قويّ بدور الفن في مجابهة القبح. "العرب" حاورت الكاتب حول أبرز المحطات في مسيرته الإبداعية والنقدية.

حنان عقيل
كاتبة مصرية

يمثل المجتمع الجزائري بتحولاته الكبرى شاغلا رئيسيا لدى عزالدين جلاوجي، فمن خلال روايتي "حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر" و"الحب ليلا في حضرة الأعور الدجال" اهتم برصد تلك التحولات، ويُبين الكاتب أن العمليْن جاءا في إطار مشروع ضخم أراده في سداسية، ترصد التحولات الكبرى التي حدثت في المجتمع الجزائري منذ 1830 إلى يومنا هذا، وقد أنجز جزئين في 1200 صفحة ويأمل أن يُكمل ما تبقى من أجزاء، ولأن الرواية هي الحياة على حد قول أندريه جيد فكتابة الرواية التاريخية هي إعادة تخييل الحياة الماضية، لتكون الحادثة التاريخية جزءا ضئيلا منها فقط قد لا تعنينا بالأساس، لأننا نكون ملزمين بتاريخ الحياة ككل الاجتماعي والنفسي والثقافي والفكري، وبقدر ما يكون الهدف كتابة تاريخ المجتمع فنيا وجماليا ليبوح لنا بأسراره كون الرواية التاريخية تتفوق على التاريخ ذاته.

يرى جلاوجي أن كاتب الرواية التاريخية يتفوق على المؤرخ، فكتابة الرواية التاريخية تتجه نحو المستقبل ولا يعنيها الماضي إلا في علاقته بالمستقبل، إضافة إلى أن التاريخ الجزائري زاخر جدا طالما أهمله الفن عموما كالمسرح والسرد والفن التشكيلي والسينما، والعودة إلى هذا التاريخ ضرورة فنية جمالية وضرورة وطنية قومية، واللمسة الفنية التي يملكها الأديب بسحر الكلمة وسحر البناء هي ما يجعل النص مغريا ومشوقا.

مسرح اللحظة

المسردية أو مسرح اللحظة مصطلح جديد أسس له جلاوجي عبر عدد من الكتابات التي لاقت احتفاء نقديا واسعا.. يشير الكاتب إلى أن دافعه الأساس لذلك التأسيس هو الرغبة في التجريب وتجاوز السائد والمألوف، ثم ما عاناه النص المسرحي من طعنات، النص الذي يكتبه الأدباء، على مستوى الخشبة، والذي يعتبر دوما عنصرا ثانويا لصالح الخطابات الأخرى، خطاب المخرج، وخطاب الممثل، وخطاب السينوغراف، بل قد يصل الأمر ببعضهم إلى اعتباره أدبا ولا علاقة للأدب بعالم الركح/الفرجة، وعلى مستوى التلقي القرائي لم يعتبر أدبا وإنما اعتبر نصا كتب للخشبة لا للمسرح، ومع هذا التطارد صار النص يتيما، قد يعرض على الخشبة المرة والمرات مُزَاحَما بخطابات مختلفة تغرقه وتبتلعه ثم يُرمى به في دهاليز النسيان.

يتابع جلاوجي: ثبت لي ذلك من خلال النصوص التي كتبتها، ففي الوقت الذي شهدت فيه رواياتي إقبالا كبيرا قراءة ونقدا ظل الإقبال على نصوصي المسرحية شحيحا، والأمر ذاته بالنسبة لعموم نصوص المسرح حتى التي كتبها كبار الأدباء، لا نرى إقبالا على اقتناء النص المسرحي وقراءته ونقده، إننا نسأل المئات من الطلبة في الجامعات ماذا قرأوا من نصوص لشكسبير وبريخت وإبسن والحكيم وونوس وبرشيد والمسعدي والمدني، ونفاجأ بالتصحر، رغم أنهم يعرفون كل هؤلاء.

هذا بالنسبة للمسردية والمسردية القصيرة جدا، وقد قمت فيهما بهدم الشكل التقليدي لهندسة النص المسرحي وإعادة بعث بشكل جديد فيه عبقرية السرد وإكسيره دون أن أخدش كبرياء المسرح ودون اغتيال روحه، بل إن المتلقي قراءة لا يرى نفسه بصريا على الأقل إلا أنه في مواجهة نص سردي، رغم أنه نص مسرحي في جوهره، يمكن أن نأخذ بيده أو يأخذ بأيدينا إلى الركح، مع ملاحظة أني أضفت مصطلح مسرح اللحظة لمصطلح مسردية قصيرة جدا، ورفعت له شعار "مسرح اللحظة، مسرح الإنسان أينما كان وكيفما كان" كونها نصوصا مكثفة لغة وشخصيات وسينوغرافيا يمكن أن تقدم في دقائق داخل الأسرة أو الحي أو القطار والطائرة تعرض لفكرة جوهرية عميقة، تفتح باب الأسئلة باستفزازنا دون أن تقدم إجابة.

النقد والإبداع

كان ولوج جلاوجي إلى عالم الكتابة الإبداعية عبر القصة القصيرة وتحديدا مجموعة "لمن تهتف الحناجر؟".. يقول الكاتب: لا أعرف بالضبط ما الذي دفعني آنذاك إلى عالم القصة بالذات دون الرواية، وهل كنت واعيا بذلك أم لا، ربما لم يكن سوى أنها متاحة للنشر عبر الصحف ولم نكن نحن أبناء الداخل/العمق على معرفة بعالم النشر والطباعة، لكن ما أؤكده أنها بما تملك من خصائص التكثيف تدريب شاق لنا، إن من يحسن السباحة في الفجاج والمنعرجات الجبلية الضيقة يقينا يحسن السباحة في الشواطئ الهادئة، وقد كتبت إلى جوار القصة الشعر والمسرح، وكان كل ذلك خزانا أخذ بيدي لكتابة الرواية، ورغم تجاوزي لتجاربي الأولى مازلت أنظر إليها بتقدير كبير، إن التجريب هو أن تتجاوز تجارب سابقة عليك، ولكن أيضا هو أن تتجاوز تجاربك السابقة، لتقدم دوما إضافة لغيرك ولنفسك.

اهتم جلاوجي بالكتابة للطفل في منجزه الإبداعي، إذ صدرت له أربعون مسرحية وست قصص، حظيت باهتمام النقد في الجزائر خاصة المسرح منها، ويعتقد الكاتب بأن ما قدمناه في ثقافة الطفل في العالم العربي عموما مازال دون الحاجة ودون المستوى، ربما يعود ذلك لصغر عمر التجربة في الوطن العربي، أو لاعتقادنا أن أدب الطفل مواعظ وإرشادات، أو لاستسهال ذلك فتصدى له كل من هب ودب، أو لضعف المستوى والتكوين، ومن ثم فهناك حاجة إلى إعادة النظر في الموضوع، وإلى استحداث مراكز بحث ومتابعة تهتم بذلك.

تتوازى مع التجربة الإبداعية لجلاوجي تجربة نقدية ثريّة، ويؤمن الكاتب بأن المبدع ابن ما يقرأ وابن تجاربه ورحلاته وعلاقاته وتأملاته، والاشتغال الأكاديمي قراءة وتدريسا وتأليفا له انعكاس كبير على نص المبدع، وهو انعكاس ذو شقين، بقدر ما يكون قيدا يكون منارة، وعلى المبدع الحق أن يجمع بين الأمرين معا، يحافظ على لمسته الإبداعية التخييلية حرة مرفرفة مدهشة، ويرشّدها في الآن ذاته بما امتلك من معرفة ووعي لا أن يسقط أسير ذلك، إن الكتابة اليوم لم تعد تعتمد الموهبة فحسب، بل صارت صناعة ومعرفة وثقافة.

مستويات التلقي

يكتب جلاوجي لقراء افتراضيين، ومن ثم فاحتراما لهم يتوجب على الكاتب أن يرقى بنصه ما استطاع، ويحقق فيه شرطين أساسيين في نظره؛ الجانب الجمالي الفني للارتقاء بروح المتلقي ومشاعره وأحاسيسه وأخيلته، والجانب المعرفي، مما يحتم القراءة الدائمة والبحث الدؤوب والنحت العميق، فعلى المبدع أن يكون عميقا راقيا لأن القارئ اليوم صار كذلك عميقا راقيا مثقفا عارفا يتلمس النص الراقي العارف، وأي استهتار بالمتلقي سيدفع ثمنه النص إهمالا وإقصاء، غير أن المشكلة التي تعترض المبدع هي كيف يجمع إليه كل خيوط اللعبة فيتمكن من إقناع كل مستويات التلقي، كيف للنص أن يتلقاه القراء على اختلاف مستوياتهم ثم يجد فيه كل منهم ضالته، ويقينا هذا لا يتأتى إلا للنصوص الكبيرة. ويرى جلاوجي أنه ليست مهمة المبدع كسر الطابوهات، وخاصة ما اصطلح عليه الثلاثي المحرم، المبدع مهمته أن يقدم نصا شهيا مغريا راقيا مدهشا عارفا محققا مستفزا، ثم إذا اقتضى الفن والسياق أن يفعل ذلك في الطابوهات فلا مانع ما لم يقصد إليه قصدا بغية تحقيق الالتفات والانتشار، وبالعودة إلى النصوص العالمية الخالدة في كل الحضارات لم يكن هذا همها الأساس، يمكن أن تكسر الطابو بحركة أو بلباس أو بخطبة أو مقالة، وقد لا يكون هؤلاء مبدعين، تشتغل كثير من النصوص على ذلك إرضاء لجهات ما بغية الانتشار أو الجوائز أو بغية أن يحصلوا على شهادة التفرد والتميز، فكانت كتاباتهم مجرد بيانات سياسية، أو مشاهد إيروتيكية، أو خطابات تمردية.

المطلوب الارتقاء بذائقة القارئ

ويستطرد: لا يمكن في تصوري أن يخلو المبدع من رقابة يمارسها على ذاته، شرط أن تكون نابعة من قناعاته، لا من دكتاتورية حاكم أو مجتمع أو رجل دين، بل أتصور أن أكبر رقيب هو الفن في حد ذاته ليظل مشرئبا لقيم الخير والحب والجمال، نائيا عن الأحقاد والسفاسف والقيود، وهو ما اشتغلت عليه في نصوصي الروائية والمسرحية والقصصية، لأني أردتها أن تكون صوت الإنسان في كل تجلياته ووضعياته، أردتها صرخة في وجه الظلم والانحطاط والطبقية والعنصرية، أردتها بلسما للجراح والكلوم والأحزان.

الارتقاء بالإنسان

يشير الكاتب إلى أنه مشغول في كل أعماله بالإنسان، لأنه مقتنع تماما أن الآداب من أهم وسائل الارتقاء بهذا الكائن، ولذا فنصوصه تشتغل على شقين شق الفن وشق الرؤية، كيف نقدم ما يرتقي بالإنسان في ذوقه وفكره، كيف يمكن للآداب أن تحقق ثلاثية الخير والحب والجمال، ودون هذه في تصوره لا معنى للإنسان، ولا معنى للأدب والفنون، وفي ظل ما يعانيه الإنسان الآن من انتكاسات حيث تفشت العنصرية والعصبية والحروب والفتن، يجب على الفنون والأدب منها بخاصة أن تقول كلمتها، فهي خلاصنا مما ينتظر البشرية، الكتابة هي الخلاص على المستوى الفردي والمستوى الجمعي.

يرى جلاوجي أنه لا يمكن للأدب والفنون عموما أن تنطلق من غير الواقع، ثم هي بعد ذلك يجب أن ترتقي عليه، وتظل تحلق ما استطاعت لها عبقرية الإبداع، فالكتابة ليست مجرد تهويمات وخزعبلات لا تستقر على ساحل من فكر ورؤية وفلسفة، بل يجب أن يكون مدارها الرقي بالإنسان والحياة، وليس ثمة تناطح بين العالمين كما هو متجل في كثير من الفلسفات حتى تعددت بها السبل، حيث قفزت الواقعية من الواقعية النقدية حتى الواقعية الجديدة والواقعية النقدية المعاصرة، والواقعية السحرية، والأمر ذاته بالنسبة للمثالية منذ أفلاطون إلى يومنا هذا، وإنما هو هذا التلاحم والتناغم الذي تتكامل فيه الواقعية والمثالية وتتعانقان، وهو ما يجب أن تنهض عليه آدابنا ونحن نبحث عن مشروع يمثلنا.

العرب
الأحد 2019/05/05
السنة 41 العدد 11339

تراث التكفير

رشيد الخيون وكتاب يستجلي العقاب الديني بالقتل

لوحة هيثم شكور

يدعو الباحث العراقي رشيد الخيون في كتابه "العقاب والغلوّ في الفقه والتراث الإسلامي" إلى إعمال العقل في عدد من المسائل التي يتمّ توظيف الدين فيها من قبل الإسلاميين بطريقة تخدم غايات بعينها، بحيث يكون الدين وسيلة ومطية للتنكيل بالمخالفين لهم، أو المختلفين بآرائهم ورؤاهم عنهم.

هيثم حسين
كاتب سوري

يركّز الخيون في عمله البحثيّ المهمّ على دور العقل في الشريعة والقانون، ويدين التكفير الذي مورس على مفكّرين ومتنوّرين أعربوا عن آراء أثارت حفيظة السلطات؛ الدينية أو السياسية المتقنعة بأقنعة الدين، ودفعت إلى الانتقام من أصحابها ومعاقبتهم بطرق وأساليب لا تتناسب وروح العصر.

يورد صاحب كتاب "لا إسلام بلا مذاهب وطروس أُخَرُ من تراث الإسلام" حكايات من التاريخ؛ القديم والمعاصر، يبرز من خلالها الجرائم المقترفة بحقّ الفكر والتنوير في العالم الإسلامي من قبل السلطات التي وجدت في الغلوّ والتطرّف أسواراً تبقي الجهل متفشياً في ثنايا المجتمعات التي كانت تحكمها، لأنّ من شأن الجهل والتجهيل أن يحافظا على استمرارها وإطالة أمد حكمها.

يمهّد الباحث الخيون لكتابه "العقاب والغلوّ في الفقه والتراث الإسلامي" بمقولة لسفيان الثوري يقول فيها "إنّما العلم عندنا الرخصة من ثقة، فأمّا التشدّد فيحسنه كلّ أحد"، وذلك بعد مفتاح الولوج لعالم بحثه الثري المفعم بالحكم والعبر.

حدود الله!

يقسّم الخيّون كتابه (الصادر عن مركز المسبار، دبي 2018) إلى بابين يحتوي كلّ منهما على أربعة فصول؛ الباب الأول العقاب، وفيه: عقاب المرتد، عقاب السابّ والمستهزئ، عقاب الزناة رجماً، عقاب الساحر. أما الباب الثاني الغلوّ والتطرّف، ففيه بالإضافة إلى الغلوّ والتطرّف، لعنة التطرّف الديني والمذهبي، مع غير المسلمين، والتنوير المحظور. ويشتمل الباب الأول على عقاب الجنايات الأربع؛ الردة والسب والزنى والسحر، والباب الثاني الكراهية، أي الغلوّ والتطرف، وكيف أن تطبيق الحدود ليس ببعيد عن الغلوّ والتطرف.

يلفت إلى أن كتابه لا يختص بالعقوبات الجنائية، ولا يبحث في القصاص كعقوبة قانونية-شرعية-دينية، تقع على القاتل. ولا يبحث في عقوبة الإعدام التي تمارس في بعض الدول، إنما يبحث في شأن عقوبة القتل وبخصوص أربعة أسباب: الردة والسبّ والزنى والسحر، وكيف يعامل مقترفوها معاملة الكافر.

يشير إلى أنّ قوانين العديد من الدول العربية والإسلامية وشرائعها، وما تبنته الجامعة العربية، حوت عقوبة القتل للمرتد والسابّ والزاني، ذكراً كان أو أنثى، مع أن هذه الأحكام لا وجود لها بين الحدود التي جاءت في القرآن الكريم، إنما ثبّتها الفقهاء بأعذار وحجج مختلفة، وبينها أخذت من السنة، ويجد أنه تبعاً لذلك اختلف الفقهاء فيها، ومنهم من وضع التوبة مخرجاً منها، وبخاصة الردة والسبّ والسحر، لهذا جاءت قوانين العقوبات لعدد من الدول الإسلامية والعربية خالية من هذه الحدود، واستعاضت عنها بعقوبات أخرى كالسجن والإبعاد.

ينوّه إلى أن ما يجمع الحدود أو العقوبات على الجنايات الأربع بالقتل، أن العقوبة لم ترد في القرآن، مثلما أتى عقاب السارق والسارقة والزاني والزانية غير المحصنين بالجلد. أي ليس في القرآن من حد بالقتل غير القصاص. ويؤكد على أن الحكم بالقتل على المرتدّ العقائدي لا وجود له في القرآن، وكذلك ما يخص الذات الإلهية أو النبوية، ويضيف إليها عند فقهاء الشيعة الإمامية ذوات الأئمة الاثني عشر والسيدة فاطمة الزهراء، ويضيف فقهاء السنة السيدة عائشة والصحابة، إنما هي اجتهادات الفقهاء، وما نقله الرواة من أحاديث وحوادث على أنها "حدود الله" غدت منفّرة لا تتناسب مع روح العصر، وإن سنّت في وقتها فتتعلق بالحاكم ومركزيته في الإمبراطورية، وواقع أن المسلمين يعيشون في الوقت الراهن في عصر الدولة الوطنية.

يذكر الخيون أنّ باب الغلوّ والكراهية جاء عاكساً صورة الغلوّ في التراث والفقه الإسلاميين، والذي يعد من أبرز معوقات التنوير والتسامح الاجتماعي، الديني والمذهبي. وينوّه كذلك أن مادة كتابه جاءت وصفية لما حدث عبر التاريخ حتى يومنا هذا، وأنّ التغيير لكل ظاهرة يحتاج إلى رصدها تاريخياً، لمعرفة مدى عمق النصوص التي شيّدت عليها ثقافة التطرف، وهي غير معزولة عن الأحكام العرفية التي تجاوزت آيات القرآن نفسها، عبر تفسيرها وتأويلها، وصياغة الأحكام المتشددة وفقها.

يجيب الباحث عن السؤال المفترض الذي يمكن أن يطرح عليه عن دافع تصنيف كتابه، واختيار موضوعه بالذات، بأنه من ناحية الغلوّ والتطرف فإن الأمر وصل إلى مستويات خطيرة، وذلك بعد أن تدرج من آراء وأفكار إلى حمل السلاح والمطالبة بالسلطة، إلى ظهور جماعات فاق عنفها وقسوتها التصور، مع انسحاب التنوير ودعاته من الساحة وانكماش دورهم، ووقوع التعليم في أكثر من دولة ومجتمع بيد تلك الجماعات أو تحت تأثيرها، وكيف أن العديد من الأنظمة قامت بحملات إيمانية كي تأخذ دور تلك الجماعات، فأسلمت تعليمها ومجتمعها بقوة السلطة.

> **يلفت الخيون إلى أن أخطر ما يؤثّر في الثقافة ويمنع حرية الفكر بسلاح الدين هو قتل المرتد، فمئات من الضحايا عبر التاريخ، قطعت رقابهم بالسيف، مع أنه ليس في القرآن حدّ على المرتدّ العقائدي، والآيات التي ورد فيها موقف من المرتد واضحة**

وبالحديث عن خطورة العقوبات في الثقافة والمجتمع، يلفت الخيون إلى أن أخطر ما يؤثّر في الثقافة ويمنع حرية الفكر بسلاح الدين هو قتل المرتد، فمئات من الضحايا عبر التاريخ، قطعت رقابهم بالسيف، مع أنه ليس في القرآن حدّ على المرتدّ العقائدي، والآيات التي ورد فيها موقف من المرتد واضحة.

مرتدّو العصر الحديث

يجد الخيّون أن من ينطبق عليهم توصيف الارتداد قد كثروا في العصر الحديث، وصار كل صاحب فكرة قابلة للتأويل تؤول على أنها ردة عن الدين، وتناول قضايا ومحاكمات عدد من المفكرين المطاردين والمقتولين بسبب ديني، وتراه يركّز على محاكمات مثقفين ومفكرين في العصر الحديث كقضية الميرزا محمد الإخباري (قتل 1816) والإيراني أحمد كسروي (قتل 1946) والشيخ محمد محمود طه السوداني (قتل 1985) وقضية صادق جلال العظم، وفرج فودة، وحمود العودي وغيرهم من شخصيات تعرّضت للاضطهاد والتكفير.

يعالج الباحث اختلاط الدين بالسياسة في القضايا التي يتناولها، وكيف صار رجل الدين أو الحاكم متحدّثاً باسم الله، ومدافعاً عنه، وأن السلطة سرعان ما تتبنى موقف رجل الدين، لتحمي نفسها وتطمع بتأييده، وإن كان الضحية بريئاً. ويقول بأنّ غلبة الماضي على الحاضر صارت سمة لثقافة المنطقة، وما الأحكام والعقوبات التي يتطرق إليها إلا من نتاج الماضي، يريد لها دعاتها البقاء صالحة لكل زمان ومكان، مثلها في ذلك مثل شعار "الإسلام هو الحل" من دون وعي بما يحيط المنطقة من تقدم مذهل، ما زال سكانها يلعبون دور المستهلك، سلباً لا إيجاباً، ويؤكد على أهمية استخدام الوسائل المتطورة في التطور بدلاً من زيادة التخلف والتراجع عاماً بعد آخر.

يعيد طرح السؤال الذي طرحه شكيب أرسلان "لماذا تأخر المسلمون وتقدّم غيرهم؟" والذي قدّم من خلاله بكائية على الماضي، متجاهلاً السياق الزمني للأحداث، ويلفت إلى أن أوروبا لم تتقدم إلا بعد أن فصلت المعاملات عن العبادات، وأصبح "الدين لله والوطن للجميع"، وذلك دفع الثورة الصناعية إلى الانطلاق وأخذ الغرب السبق، ولم يعد الدين في أوروبا مجال خوف وفزع، ولم يتحقق إلا بتضحيات عظيمة، ويؤكد أن القتلى في أوروبا من أجل الحرية والتنوير فاقوا ضحايا المسلمين بالتكفير والردة، وفاقوا القتلى من المهرطقين والسحرة.

كما يتحدث عن جمال الدين الأفغاني ويضع أفكاره التي نادى بها تحت مجهر المقاربة والمساءلة والمعاصرة، حيث تمّ تقديمه على أنّه رائد الإصلاح والتنوير والتقدّم وبيده مفتاح الحل، وأنّه كان يبحث عن الخلافة الإسلامية، ليس لنفسه إنّما أرادها إمبراطورية للمسلمين، في زمن انتهت ضرورة وجود الإمبراطوريات وجاء عصر الدولة الوطنية. ويشير إلى أن المفاجئ هو ردّ الأفغاني الركيك والساذج على نظرية داروين، الذي يُفهم منه أنّه لم يخرج من عباءة الكهنوت والنظرة الساذجة للعلم.

يستهل حديثه عن عقاب المرتد بالإشارة إلى أنه إذا كانت قصة "ماعز بن مالك" والمرأة الغامدية في الغالب، وراء سنّ عقوبة الرجم على الزناة المحصنين، ولا وجود لها في القرآن، فإن هناك أكثر من قصة وحدث قادا إلى فرض حدّ القتل على المرتد عن الإسلام، وهو حدّ أيضاً لا وجود له في القرآن، لكن وفق حوادث جاءت في التاريخ الإسلامي والحديث النبوي، ومنها ثلاث حوادث، حرب اليمامة (11/ 12 هـ) وما عرف بحرب أو حروب الردّة، وقصة الجماعة التي أكرمها النبي ثم أفسدت بقتل الراعي وسرقة الإبل، وما يتعلق بخبر معاملة علي بن أبي طالب مع مرتدين، وفيها نجد حديث مَن بدّل دينه فاقتلوه، ويلفت إلى أن الحوادث الثلاث تتعلق بما عرف بالحرابة، الأولى فيها منع المال- الزكاة، والثانية فساد في الأرض، والثالثة: تبدو ارتداداً جماعياً. ويؤكد أنه ليس هناك ما يتعلق باختلاف الرأي أو الرجوع عن اقتناع. ويشير إلى أن هذا من جانب إذا كانت قضية تبديل القناعة والردة عن الدين غير الحربية، فلماذا لم تذكر عقوبة أو حدّ عليها في القرآن، وقد ذكر حدّ السرقة والزنى؟

يعبر صاحب "الأديان والمذاهب بالعراق ماضيها وحاضرها" عن ظنه أن ما جعل الفقهاء يسنون حدّ القتل على المرتد، الفرد أو الجماعة، هو مركزية السلطة، فلو أنه يكون هناك تساهل في الردة فهذا يمسّ هيبة الخليفة وسلطانه، لذا جعلت هذه العقوبة على الرؤوس، وراح بها الكثيرون، ليس فقط من المرتدين بل يؤخذ بها كل صاحب فكر مغاير، وإن كان في إطار الإيمان والإسلام.

تكفير من دون تفكير

يوجه الخيون سهام النقد للجامعة العربية التي يقول بأنها ومن خلال إدارتها العامة للشؤون القانونية قد تبنت رسمياً عقاب الموت للردة، بعد عقوبتي الزنى والسبّ. ويستنكر زعم الجامعة العربية تطبيق الشريعة الإسلامية بحذافيرها مع أن قضايا العقوبات لا تخصها، بقدر ما تخصها القضايا والمواقف السياسية. ويرى أن الجامعة العربية أعطت شرعية استثنائية للعقوبات.

لوحة هبة العكد

التجريدي المتمرد ورسام مدينته وسليل المعلقات

رحلة في عوالم ثلاثة رسامين سعوديين

لوحة لطه الصبان

المملكة العربية السعودية بلد شاسع المساحة، عريق في التاريخ. لذلك فقد كانت تجربة الحداثة الفنية فيه قائمة على تنوع في الرؤى والأفكار والأساليب بما يعكس صورة التنوع الثقافي القائم. وإذا ما كان الفضل في بدايات الرسم الحديث في السعودية يعود إلى تجربة الفنان عبدالحليم الرضوي الغنية بما حفلت به من مراجعات شكلية للبيئة المحلية فإن تجارب فناني الجيل اللاحق انتقلت بالرسم إلى مستوى، مزج الفنانون من خلاله الإخلاص للبيئة بالأساليب والتقنيات التي طرحتها تجربة الحداثة في العالم. هنا نقدم تجارب ثلاثة رسامين هم عبدالله الشيخ وطه الصبان وعبدالله حماس. هذه التجارب لا تمثل المشهد الفني كله ولا تختزله، غير أنها تقدم فكرة عن غنى التلاقي بين ما هو أصيل وما هو معاصر.

فاروق يوسف
كاتب عراقي

عبدالله الشيخ بين هجاء الواقع ورثائه

الموسيقى، الإنسان، العمارة ومن حولها شبح الحرب. كيف يتمكن الرسام من ضبط إيقاع توتّره الروحي لينال في خضمّ ذلك النزاع حصته من جمال مهدد بالزوال؟

سؤال صعب يمكن لرسام وصل بفنه إلى حافات التجريد مثل عبدالله الشيخ أن يجيب عليه. سعة خبرته بالمواد وتمرده على النظريات المحلية المتاحة ومهارته في الاستسلام لخياله وكفاءة يده التي شغفت بالتقنيات الحديثة، كلها عناصر أهلته لأن يقف أمام العصف بقوة دفاعه عن الجمال.

المتمرد بعصا المايسترو

أخذ الشيخ من المحترف الفني العراقي الشيء الكثير، غير أنه تحرر منه حين أنصت إلى الهمس الذي ينزلق على أعشاب الصحراء حاملا إلى الأفق نداءات خفية وحين تمكن من استيعاب تجارب الفنانين العالميين الذين تأثر بهم وألهمته رسومهم وفي مقدمتهم الأميركيان روبرت راوشنبرغ وجاسبر جونز.

لم يستسلم لنداء البيئة التي هو ابنها بقدر ما حاول أن يطوّعها لنداء حلمه الداخلي. لم يسع إلى التشبه بها بالرغم من إعجابه بمفرداتها بل سعى إلى أن يظهرها كما لو أنها جزء من صنيعه الفني.

الحيلة ذاتها سيمارسها مع الإنسان. الظل الذي يظهر شبحيا في عدد من أعماله كما لو أنه على أهبة الاستعداد للمغادرة. بالنسبة إلى الشيخ فإن أثر الإنسان هو بمثابة خلاصة وجود.

تحيط فكرة الأثر المكان والإنسان بما تنطوي عليه من خيال تصويري، هو في حقيقته أشبه باستعادة حلمية لأحداث يمتزج من خلالها الواقعي بالوهمي ليصنعا تاريخا مجاورا. غير أن الموسيقى هي شيء آخر. كان تأثير الموسيقى حاسما في حياته.

عبدالله الشيخ هو من أكثر الفنانين العرب الذين تعلموا كيف يمكن أن تنتج المعادلات الرياضية جمالا، لا يخضع لما هو متداول من وصفات جاهزة. كل ضربة إيقاع هي بالنسبة إليه إيذانا بولادة أثر خالد. وهو ما جعله ينظر إلى الصنيع الفني باعتباره جزءا من ملحمة البقاء. لديه ما يكفي من الأسباب لكي يمشي في أثر جده السومري جلجامش.

عبدالله الشيخ هو الرائد الحقيقي للحداثة الفنية في المملكة العربية السعودية، غير أنه لا يعتد كثيرا بذلك اللقب. تلك مسألة لا تدخل في حساباته وهو الذي لا يرغب في أن ينافس أحداً.

كنت سعيدا بلقائه ذات مرة. لكن أين ومتى جرى ذلك اللقاء الذي لا يزال ينفث هواءه في ذاكرتي فهو ما لا أتذكره. سرّني يومها أنه لا يزال ممسكا بعصا المايسترو وهو يتوقع أن الموسيقى ستنبعث من حولنا في أيّ لحظة.

متعة الساحر في شغبه

ولد عبدالله الشيخ عام 1936 في بلدة الزبير بمدينة البصرة، جنوب العراق. أنهى دراسة الرسم في معهد الفنون الجميلة ببغداد عام 1959.

لوحة لعبدالله حماس

طه الصبان الذي أنتج رسوما تليق بمكة

لوحة لطه الصبان

أن ترسم مدينة ذلك ما يمكن أن يفعله أيّ رسام. ولكن حين تكون "مكة" المقدسة هي تلك المدينة فذلك اختبار عسير. ذلك لأن المرء يكون فيها منظورا إليه من قبل قوى لامرئية يسعى إلى اقتناص فرصة النظر إليها.

سيكون الرسام في حاجة إلى أن يرسم روح المكان ليراه. ذلك المكان الذي يشفّ عن احتمالات بصرية عديدة غير مباشرة، ما يعني استسلام الحواس لحدس، هو بوصلتها في سفر يغص بالمفاجآت. ذلك ما يمكن أن يفعله المقدس الذي لا يملك المرء سوى الاستسلام لمشيئته.

يتسلق دروب مدينته

أدرك طه الصبان، ابن مكة ورسامها منذ صباه، أن تعلقه بالمدينة التي ولد فيها سيتحكم بمستقبله رساما لا يكتفي برسم ما يراه بل يتخطى تلك المهمة التقليدية إلى ما يملأ كيانه برعشة الوجود. ذلك الخيط الوهمي الذي يرتجف قلقا كلما أقبل على الرسم كما لو أنه يؤدي صلاته الأخيرة.

لا يكفي أن يكون المرء ابن المكان ليراه على حقيقته. سيكون على الصبان أن ينصت إلى الأصوات التي كان يسمعها منذ طفولته لا ليتسلق إيقاعها.

في رسومه تصعد الإيقاعات عموديا كما الأدعية. حدث لم يكن غريبا عليه. لكنه من خلال الرسم يهبه طابعا تصويريا.

تنتقل المدينة من شكلها الأفقي لتأخذ شكلا عموديا يتماهى مع خيال زائريها.

يتسلق الصبان دروب مدينته بدلا من أن يمشي فيها.

يرينا الرسام تفاصيل رحلته إلى الأعلى كما لو أنه يصف سعادة ليست مكتملة. "مكة ليست هناك ولكنها هنا" يسمع الرسام الصوت فلا يلتفت. إنه يعرف أن المكان الذي يسكنه لن يكون بعيدا عن خيال يديه.

يعرف الصبان أنه يرسم ما لا يُرسم. لقد وهبه القدر مدينة لا تُرسم. فهي تقيم خلف هالات قداستها. إنها تنعم بذلك المزيج من الأصوات والروائح والمشاهد الذي في إمكانه أن يخفي كونا من المرئيات من غير أن يترك له أثرا.

سيندم لأنه لم يكن تجريديا منذ البداية.

غير أن الصبان رسم حياة عاشها بوله عاشق. كان حجازيا بطريقة تكشف عن عمق صلته بالأشكال المعمارية التي تحيط به، ولكنّ نغما يتسلل من رسومه لا بد أن يعيدنا إلى الإيقاع الشخصي الذي يذكر بعالمه.

عبدالله حماس الجنوبي الذي لا يكف عن الرسم

في وقت متأخر سيكون عليه أن يكتشف أن كل ما فعله في حياته إنما هو محاولة لمعرفة موقعه من الجغرافيا.

ولأن الرسم لم يكن وسيلته بل غاية لم يكن يرغب في أن يهتدي إلى وصفتها السحرية الكاملة فقد ظل يرسم كما لو أنه ينشئ متاهة يقيم فيها الناس الذين عرفهم والأمكنة التي عاش فيها والأدعية التي ضربه هواؤها والمسافات التي عبرها تاركاً أجزاء من عاطفته عليها إشارات في طريق العودة.

أخيرا اكتشف أن قدره الجغرافي يلاحقه فاستسلم لـ"جنوبي" الذي يقيم في داخله وهو الذي كان يلهم يديه صورا لعمالقة مسكونين بالشعر.

حكايات الناس المسافرين

عبدالله حماس هو الجنوبي الذي طبع الرسم الحديث في المملكة العربية السعودية بشيء رفيع ومتعال من الشغف المجنون بالمساحات المفتوحة. لا تنتهي لوحته حتى تسلمه إلى لوحة أخرى تكون مكمّلة لها من غير أن تخفف من حركته التي تسرع به إلى لوحة أخرى.

عدّاء مسافات طويلة والرسم أرض السباق التي لا تكف عن إلهام قدميه الرغبة في المضي إلى الأقاصي. يرسم روحا متعطشة إلى الرسم الذي يهب الأشياء خيالا ليس فيها. المعادلة معكوسة لدى حماس. فبدلا من أن يستفزه خيال الأشياء نجده يستعين بالرسم ليكسب تلك الأشياء خيالا. وهو عن طريق تلك المحاولة يضم الأشياء إلى عالمه. يعلن أنه عن طريق الرسم يمكنه أن يؤلف عالما هو مزيج من أزمنة اخترقها وأمكنة عاش فيها.

أهذا ما يُسمّى الحنين الذي يسعى حماس إلى أن يخلص له ويتخلص منه في الوقت نفسه؟

يرسم حماس حكايات الناس المسافرين وهو إذ يرسم معرضا كاملا على قطعة قماش واحدة يتجاوز طولها الثلاثين مترا فلأنه يريد أن يسترسل من غير أن تعكّر صفو سفره فكرة المساحة التقليدية للّوحة الواحدة. حدث ذلك في بينالي القاهرة عام 1995. يومها طلب من إدارة البينالي أن توزع لفافته على هيأة لوحات من أجل تيسير مسألة العرض.

عبد الله حماس هو الرسام العربي الوحيد الذي يشعر المرء حين يرى أعماله أنه على سفر. وهنا يعود ضمير الغائب على الرسام والمتلقّي معا.

مع عبدالله حماس سيكون علينا لاحقا أن نتحدث عن ريفيرا أو سيكيروس العربي.

يرسم ما يراه وما يتذكره

ولد عبدالله حماس بن سلطان العسيري عام 1953 في قرية "آل عاصم" القريبة من مدينة أبها جنوب المملكة العربية السعودية. انتقل بعد ذلك إلى تبوك مع والده الذي كان يعمل عسكريا. عام 1970 انتقل إلى الرياض للدراسة في معهد التربية الفنية. عمل بعدها مدرسا للتربية الفنية في أبها وجدة لمدة 37 سنة. أقام أول معرض شخصي عام 1974 في الرياض.

لوحة لعبدالله الشيخ

العرب
الأحد 2019/05/05
السنة 41 العدد 11339

أسطورة الكبش الضائع

«بيلماون» المغربية كوميديا مسرحية عن حكاية شعبية مغربية

عمل مسرحي عربي يستلهم المسرح الإغريقي

فيصل عبدالحسن
كاتب عراقي

تحوَّلت أسطورة بيلماون المغربية من تقديم فرقة فيزاج بمسرح محمد الخامس بالرباط مؤخرا إلى عمل مسرحي حمل الكثير من ثيمات مسرح الصورة.

بنى الكاتب أحداث مسرحيته الكوميدية على حكاية ضياع كبش زعيم القبيلة المعروف بين القبائل باسم "إيزغر"، وبحث القبائل عنه، فالكبش الذي ينحدر من سلالة أصيلة عُرفت بين الجميع بخصوبتها، وقدرة ذكورها على إنجاب أجيال من الخراف السمينة يصير هدفا للجميع، فهو المنجد الوحيد، الذي سيعيد ما فقدته القبائل من الماشية.

رمزية الزعامة

تدور أحداث المسرحية بعد موجة جفاف تصيب الأراضي التي ترعى فيها المواشي، مما يؤدي إلى هلاك الخراف القادرة على إخصاب الإناث التي ينجو عدد قليل منها أيضا بسبب الكارثة. ومن دون أن توضح المسرحية سبب امتناع صاحب الكبش "أماون" وهو في الوقت نفسه زعيم جميع القبائل المتضررة بسبب الجفاف من إعارة كبشه لإخصاب نعاجهم، بالرغم من توسل أفراد القبائل به.

ويعود ذلك إلى رمزية الزعامة لدى القبائل، التي تعني أيضا امتلاك العدد الأكبر من الماشية، التي تدعم سلطة الزعيم فيها، وفكرة الذكر الأصيل، الذي يعيد تعمير ما خربته الكوارث. وهي إشارة ضمنية إلى قدسية كبش الزعيم "إيزغر" للتفريق بين ما يمتلكه الزعيم وما يمتلكه أفراد القبائل المنضوية تحت زعامته. وقدسية الكبش في الثقافة المغربية القديمة من المسلمات الأنثروبولوجية المعروفة بل أن أسطورة "بيلماون" ـ بوجلود ـ تقوم على فكرتها.

يناشد "أماون" ساحرة القبيلة "هرمة" أن تجد له الكبش الذي فقده بشكل غامض، لكنها بالرغم من معرفتها ما يدور في بيوت القبيلة من أحاديث لم تستطع أن تعرف من خان الزعيم وسرق كبشه، لذلك تقترح عليه أن تلقي عليه الطلسم السحري الذي يحوّله إلى كبش، ليسأل النعاج عن كبشه "إيزغر" ويعرف من خانه من القبائل بهذا الفعل القبيح.

اختفاء كبش الزعيم "أماون" بظروف غامضة هو الحدث الدرامي الذي نقل المشاهدين من متابعة ما قدم في الحلقة المغربية عند تمثيل الأسطورة في الشارع لإمتاع الناس بفرجة فلكلورية، هزلية مؤقتة ينتهي تأثيرها بانتهاء العرض إلى أسطورة مختلفة عن المألوف التراثي، تثير العديد من الأسئلة حول جدوى الزعامة، وما المطلوب من الزعيم الحقيقي اتجاه قبيلته وقت الشدائد والنكبات؟

اعتمدت المسرحية بصورة رئيسية على حكاية ممتعة بالتراث الفلكلوري تناقلتها الأجيال المغربية جيلا بعد جيل، هي أسطورة "بوجلود" وعلى تقديم شخوصها بالملابس، والهيئات، كما جاءت تفصيلاتها في الحكاية، وصاحبتها سينوغرافيا وموسيقى تراثية.

الأسطورة التي جاء منها النص المسرحي ذكرتنا بما كان يُقدم على المسرح اليوناني القديم، وباختلاف القيم بين المجتمع اليوناني، الذي اهتم بالأعمال البطولية وصراع الأبطال، ومساندة الآلهة للبعض دون الآخر كما يعتقدون. وقد عرضت الكثير من الأساطير اليونانية على المسرح اليوناني، باستخدام الراوي الأعمى "تريسياس والجوقات المصاحبة، كـ"أوديب ملكا" لسوفوكليس، و"أوريستيا" و"بروميثيوس في الأغلال" لأسخيلوس، و"ايليكترا" ليوربيدس، وغيرها من المسرحيات.

وبين المجتمع المغربي القديم، الذي كان مجتمعا قبليا متصالحا، ومتضامنا إلا في ما ندر. وجميع مساعي قبائله تصبُّ في خانة تأمين الحياة لأفراد كل قبيلة، من خلال توفير أسباب الحياة، مما تنتجه الأرض، وما يمتلكون من حيوانات.

وقد عكست محكياتهم الأسطورية البعد الرمزي والمقدس في ما عاشوه، من خلال حكايات خيالية، كـ"عيشة قنديشة" التي تمثل الخوف من القوى الخارقة والسحر، و"بابا عيشور" التي تمثل روح الحكمة والمحبة والتعاون بين الناس من خلال شخصية بابا عيشور، و"أمي نفري" التي تحكي عن مغارة مسحورة، يحرسها وحش تقدم له كل سنة فتاة ضحية، ليمنع شره عن الأحياء، و"بوجلود" التي تناولتها المسرحية، وغيرها من الأساطير.

أسطورة بوجلود

"بيلماون" أسطورة هرأتها محكيات "الحلاليقية"ـ رواة الحلقات ـ بالمغرب قبل أن تتحول إلى الركح، فقد تناولت الأسطورة كفلكلور يتحدث عن المقدس لدى المغاربة قبل الأديان التوحيدية. فهي لم تناقش ما تتناوله محكيات "الحلاليقية" التي تحكي عن شاب صنع ثوبا من جلود الخراف، وتنكر بقناع له وجه كبش. وظهر لأمه في الظلام، فأرعبها بعد أن ضربها بقائمة كبش يمسكها بيده، فدعت عليه أن يبقى بشكله الجديد، فأصابته لعنة الدعاء، فنبتت على جلده هيأته التنكرية الحيوانية.

فلم يستطع البقاء في القرية بسبب شكله الجديد، فأخذ يعمد إلى الاختفاء في إحدى المغارات نهارا، وعندما يحل الليل يعود إلى القرية، ليلتقي بأصحابه ويحصل على الطعام من خلال طرقه على أبواب أهل القرية، طالبا منهم ما يحتاجه من قوت، مقابل أن يصافحهم بقائمته الحيوانيّة لينالوا بركته، لما للكبش من تمثلات قدسيّة في اعتقادات أهل المغرب السابقين.

المسرحية أخذت من الأسطورة المتناقلة عبر الأجيال الأزياء التنكرية بجلود الخراف، والأقنعة والموسيقى الشعبية المصاحبة، والأمثال الدارجة التي قيلت باللهجة الدارجة المغربية والأمازيغية والعربية، كدليل على تلاقح الحضارات في المغرب "الأمازيغي والعربي والأفريقي".

إن القالب التمثيلي الذي قدمت به المسرحية أعاد للأذهان ما كان يدور من فرجة في الشوارع والأسواق في مناسبة "بوجلود" السنوية في العديد من المدن المغربية من بينها، فاس، الرباط، الدار البيضاء، إنزكان وغيرها.

وبالرغم من اختلاف الرسالتين، الأولى مثلت الحادثة الأسطورية، التي أريد بها التبرك بما وهبوا من ماشية وخيرات، وبين ما يعرض في الاحتفالات الحرة بهذه المناسبة، وغايتها المتعة الخالصة، بإحياء تراث فلكلوري قديم وإمتاع الجمهور بمشاهد كوميدية وموسيقى شعبية يصاحبها الرقص، الذي يعود إلى أصول رقصة غناوة وجذورها الأفريقية القديمة.

والرسالة الثانية تمثلت بأحداث بوجلود التي يعاد تمثيلها كل سنة في العديد من المدن المغربية، فتستعيد الأجيال الجديدة المخيال الشعبي القديم عن شخوص الأسطورة، بأشكالهم التنكرية، وقناعاتهم التي سبقت الأديان من أن هناك قوة غيبية تحرك المصائر وتوزع الأرزاق، وأن عليها أن ترضي هذه القوة بما تقدمه من رقص وغناء وأمثال شعبية عن الصدق والمحبة والتعاون بين البشر. مسرحية "بيلماون" قدمت كوميديا شعبية مغربية وحملت رسالة مختلفة لأسطورة "بوجلود".

إن القالب التمثيلي الذي قدمت به المسرحية أعاد للأذهان ما كان يدور من فرجة في الشوارع والأسواق في مناسبة «بوجلود» السنوية في العديد من المدن المغربية من بينها، فاس، الرباط، الدار البيضاء، إنزكان وغيرها

مشهدان من المسرحية التي درجت على محكيات فن الحلقة في المغرب

العرب
الأحد 2019/05/05
السنة 41 العدد 11339

فيلم «لورو» وتصفية الحساب مع بيرلسكوني

صورة كاريكاتورية للرجل الذي أضاع هيبة النظام السياسي الإيطالي

أمير العمري
ناقد سينمائي مصري

في هذا المقال نتوقف أمام فيلم "لورو" أحد أفلام المخرج الإيطالي المرموق باولو سورنتينو صاحب التحفة الفنية الكبرى "الجمال العظيم"، والذي يقدّم فيه صورة تفصيلية داخلية مشوبة بالسخرية لشخصية رئيس الوزراء الإيطالي الأسبق سيلفيو بيرلسكوني.

ينتمي المخرج الإيطالي باولو سورنتينو مع زميله ماتيو غاروني، إلى الجيل الأحدث في السينما الإيطالية، الجيل الذي ورث الواقعية الجديدة، ولكنه تأثر أيضا بسينما الساحر الكبير فيلليني.

ويمكن اعتبار فيلم سورنتينو الجديد "لورو" 2019 (Loro) ومعناها "هم" والعنوان الفرعي للفيلم "سيلفيو والآخرون"، استمرارا لنهجه السابق في فيلم "الديفو" (2010) الذي كان يتناول شخصية رئيس الوزراء الإيطالي الأسبق ماريو أندريوتي، ولكن الخلاف الأساسي بين الفيلمين يكمن في الاختلاف الكبير بين أندريوتي وبيرلسكوني. فالفيلم الجديد يبدو أقرب ما يكون إلى بورتريه شديد السخرية حد الكاريكاتورية أحيانا، وكثيرا ما يجنح رغم بعض التعاطف أحيانا مع بطله، إلى استخدام المجاز والاستعارات التي تقارب بين التدهور الأخلاقي والولع الشخصي الخاص لدى بيرلسكوني بعالم الجنس (في الفيلم كثير من المشاهد التي تصور حفلات الجنس الجماعي وتعاطي المخدرات والعري والإغواء.. الخ) وبين انهيار الدولة الإيطالية نفسها وسقوطها بين أيدي أشخاص لا يهمهم سوى ما يحققونه من مكاسب شخصية كما يفعل بيرلسكوني، مستغلا سلطته ونفوذه السياسي وذراعه الإعلامية الضخمة وتوظيفها لخدمة مآربه، مع حظر كل ما يمكن أن يوجه النقد لسياساته بل وشخصه من قنواته التلفزيونية.

> يظهر بيرلسكوني في معظم المشاهد من زوايا تصوير منخفضة لإبراز قوته وشخصيته المهيمنة بكاريزمته المعروفة، وهو يلقي بالنكات المبتذلة التي تضحك المنافقين من حوله

أخرج سورنتينو "لورو" مستوحيا "الساتيريكون" الروماني أو الرواية التي تمتلئ بالإشارات الإيروتيكية والأشعار وصور التدهور والفجور في مزيج ساخر كوميدي، ولاشك أنه كان متأثرا بـ"ساتيريكون فيلليني" الذي استخدام الساتيريكون الروماني لتصوير تدهور وانهيار الإمبراطورية الرومانية بأسلوبه الخاص.

وقد صوّر العمل في فيلمين منفصلين عرضا على جزئين في إيطاليا، ثم ضمهما معا مستبعدا نحو 50 دقيقة، والنتيجة هي النسخة المتداولة عالميا التي تقع في 150 دقيقة. ويحرص سورنتينو على أن ينص في بداية الفيلم على أن "الفيلم الذي ستشاهدونه هو تصوير حر لمؤلفيه، وأي تشابه مع شخصيات حقيقية هو محض مصادفة".

سورنتينو وشريكه في كتابة السيناريو أومبرتو كونتاريللو (شاركه أيضا كتابة سيناريو "الجمال العظيم" و"البابا الصغير") لا ينفيان أن فيلمهما يصور بيرلسكوني، لكنهما يوضحان أن هناك شخصيات أخرى مختلقة، أولها وربما أهمها، شخصية "سيرجيو مورا".

رمز الخروف

حتى الدقيقة الأربعين من الفيلم لا يظهر بيرلسكوني لكن الإشارات والأحاديث كلها تتجه إليه. ويبدأ الفيلم بمشهد سريالي لفيلا بيرلسكوني الواقعة في جزيرة سردينيا، أو قصره الكبير المنيف. يتسلل خروف من تلك التي تمرح في حدائق القصر، إلى القاعة الرئيسية، يتوقف عند المدخل، يتطلع إلى شاشة تلفزيون عملاقة تعرض برامج التسلية والإعلانات التجارية والواضح أنها من شبكة بيرلسكوني التلفزيونية. يرتفع صوت جهاز التكييف. تهبط درجة الحرارة. يرتجف الخروف ويتسمر في مكانه.. يمأمئ وكأنه يشكو ويحتج وفجأة يسقط على الأرض ميتا. كان الخروف دائما رمزا بارزا في روما القديمة. وكان معادلا لإله يدعى "فونوس" هو رمز الفحولة الجنسية. والمعنى الكامن الذي ربما يقصده سورنتينو هو موت الفحولة، ومع ذلك يستمر بطله (بيرلسكوني) في البحث عن المتعة الجنسية.

إلا أن بيرلسكوني لا يزال يتطلع للعودة الى السلطة. ولا يزال يأتي إليه كبار السياسيين الراغبين في الفوز والوصول للسلطة. وأحداث الفيلم، تدور في الفترة ما بين 2006 و2008 أي بعد خروج بيرلسكوني وتطلعه للعودة مجددا، وهو ما سيحدث في 2009 للمرة الأخيرة، قبل أن يرغم على الاستقالة بعد إدانته بالتهرب الضرائبي.

بعد مشهد الخروف ينتقل الفيلم إلى "سيرجيو" وهو رجل أعمال وقواد أنيق وجذاب، يتطلع لدخول عالم السياسة، لذلك فهو يرغب في الوصول إلى الرجل الذي لا يراوده شك في أنه سينجح في العودة مجددا إلى السلطة. لذلك يستأجر منزلا قرب قصر بيرلسكوني في سردينيا، يحشد فيه نحو ثلاثين فتاة ممن يتمتعن بأجساد ممشوقة مثيرة، ويغرقهن في بحر من المخدرات، ويقيم لهن الحفلات الراقصة حول حمام السباحة، يتجردن خلالها تقريبا من ثيابهن، والغرض: لفت أنظار بيرلسكوني إلى اللحم الأنثوي المثير. وينجح أخيرا في ما يرمي إليه.

صورة بيرلسكوني في الفيلم قريبة من صورة زعيم مافيا لكن نقطة ضعفه هي النساء والجنس. والحياة التي يحياها مع صحبته، هي بالمعنى المباشر "الحياة الحلوة" عنوان اسم فيلليني الذي يتردد على لسان سيرجيو في الفيلم، والمقصود حياة اللهو والترف والمتع الحسية.

قدرات البائع الشاطر

وجه بيرلسكوني حسب تعبيرات بطل سورنتينو المفضل، الممثل توني سيرفيللو، يتجهم أحيانا، ويقسو أحيانا أخرى، لكن الابتسامة لا تفارقه معظم الوقت، دون أن نعرف ما إذا كانت تنم عن طيبة ووداعة، أم عن خبث ونذالة وعما يضمره من شر، فهذه المشاعر المتضاربة أصيلة في تكوين بيرلسكوني. أما أهم صفاته التي يذكره بها شريكه في "البيزنس" أنه "بائع شاطر"، يعرف كيف يبيع الأحلام، ولا بد أن يتمكن من إقناع 6 من أعضاء البرلمان في الانضمام إلى كتلته الحزبية لضمان النجاح، ولكن يتعيّن عليه أن يقدّم لهم مقابلا ماديا ولا يكتفي بالأحلام الكاذبة.

وفي واحد من أفضل مشاهد الفيلم من حيث تصميم الحركة والأداء والحوار، يقرر بيرلسكوني التأكد من أنه لا يزال قادرا على "بيع الوهم" كما اعتاد أن يفعل باعتباره تاجر عقارات في الأساس (ألا يذكرنا هذا بتاجر عقارات آخر يجلس في البيت الأبيض الآن؟). وهو يلتقط رقم هاتف على نحو عشوائي من دليل الهاتف، ويتصل في منتصف الليل بصاحبة الرقم، يتقمّص دور مندوب مبيعات لشقق سكنية في روما، يعرض ببراعة وتشويق كل المزايا، وبعد أن كانت السيدة تتشكك في نواياه، تصدقه ثم تتشبّث بالفكرة وتُبدي استعدادها للشراء حتى لو كان الثمن مرتفعا فيمكنها بيع شقة تمتلكها أمها.

وفي المشهد الذي يدور مع حفيده في حدائق القصر، يستنكر الطفل أن يدوس جده على فضلات حيوان كانت موجودة على الأرض، لكن بيرلسكوني يصرّ على أنه لم يدهسها بقدمه، لكن الحفيد يصرّ أيضا صحة ما شاهده بعينيه، فيروي له بيرلسكوني أن إسحاق نيوتن قال إن "السطح الخارجي للأشياء يخدع الأغبياء فقط"، ثم يشرح له فكرة خداع البصر، إلى أن يقتنع الصبي، فيعلّق بيرلسكوني: أهم شيء أنك صدقت الكذبة!

أول ظهور لبيرلسكوني في الفيلم يأتي في مشهد غريب فنراه مرتديا ملابس النساء، يسدل قناعا فوق وجهه، ويتجه عبر السلالم إلى زوجته فيرونيكا، يريد أن يقدم لها التحية في عيد ميلادها، لكنها تُبدي نفورا واستهجانا من سلوكه الغريب، وعندما يكشف عن وجهه نراه ملطخا بالأصباغ. وهو يتحرك دائما مع مساعده "باولو سبانولو" الذي تصفه فيرونيكا بأنه الشريك الثالث معهما "فسيلفيو لا يحب أن يكون ضمن اثنين"!

الجشع للسلطة هو دافع الشخصية

أزمة الزواج

بينما يختفي سيرجيو تقريبا من الجزء الثاني من الفيلم في ما يمكن اعتباره خللا واضحا في البناء نتيجة الاختصار الذي تم في المونتاج، يبرز كثيرا دور فيرونيكا التي تعرب عن استيائها من زوجها وشعورها بالسأم ورفض خياناته المنتظمة لها وما تصفه بأنه غش وخداع للناخبين الايطاليين، وتدين تكالبه على تحقيق الثروات، وتفاهة قنواته التلفزيونية (التي لم تقدم برنامجا ثقافيا واحدا) وأنه لولا مساعدة بتينو كراكسي له لما حقق نجاحا سياسيا، ثم كيف أنه رشح فتيات (عاهرات) للبرلمان الأوروبي. وتصارحه برغبتها في الطلاق.

فيرونيكا في الفيلم مثقفة وفنانة تجيد أعمال النحت لكن بيرلسكوني لا يعيرها اهتماما ويقلل من شأنها، ويصرّ على أنه لولا "ثروته لما كانت تتمتع بهذا المستوى من العيش" ويتحداها أن تشرح له لماذا لم تتخلّ عنه مبكرا طالما هو منفر وسيء. وهو سؤال لا تجيب هي عنه. والمعروف أن فيرونيكا، الزوجة الثانية لبيرلسكوني، أنجبت له ثلاثة أبناء، وفي 2012 حصلت بالفعل على الطلاق وحكم القضاء بأن يدفع لها بيرلسكوني 48 مليون دولا سنويا كتعويض.

يتميز "لورو" بصورته الناعمة، وحركة الكاميرا الطويلة، التي تشيع أجواء حلم تتقاطع مع الكوابيس. وربما يحتوى الفيلم على أكبر كمّ عرفه فيلم إيطالي من الفتيات المثيرات بأجسادهن شبه العارية في مشاهد الرقص والاستعراض والغناء (بيرلسكوني نفسه يغني في أكثر من مشهد) ويستمع الى الشعر كما يلقي الكلمات الشعرية المبتذلة العادة (من تقاليد الساتيريكون أيضا)، إلا أن هذا الاتجاه ينحرف بالفيلم ويجعله يبدو مثل "الإعلانات الاستهلاكية" أو الأغاني المصورة "الفيديو كليب"، خاصة أن الحبكة لا تتطور، ويختفي كثير من الشخصيات الثانوية، وتبدو تفاصيل كثيرة غامضة على المتفرج الذي لا يعرف الكثير عن كواليس السياسة الإيطالية.

يبدو تأثر سورنتينو بأسلوب فيلليني في كثرة استخدامه لقطات "الكلوز أب" القريبة للوجوه المختلفة، مع الكثير من "الانتقالات المفاجئة" jump cuts غير المبررة والتي لا تتسق مع سياق المشهد، لكن هذه اللقطات لا تحاكي لقطات فيلليني في كونها لا تستعرض غرابة الوجوه والشخصيات والنساء السمينات والتشوهات الظاهرية في الوجوه بفعل المكياج المبالغ فيه، والقبح الذي كان يجد فيه فيلليني جمالا، لكن لا شك أن هناك احتفاء كبيرا بالمكان، بالديكورات الباذخة، والصور القريبة من عالم الأحلام والكوابيس.

> «لورو» ليس أفضل أفلام سورنتينو رغم أنه لا يزال يحمل طابعه وأسلوبه. ولكنه رغم أي ملاحظة سلبية، يظل عملا جديرا بالمشاهدة، على الأقل، للاستمتاع بالأداء البديع لبطله توني سيرفيللو المتألق دائما

أوهام للبيع

هناك مثلا مشهد احتفالي صاخب تتساقط في نهايته كمية ضخمة من الحبوب المخدرة الملونة من السماء على المحتفلين، ومشهد آخر تنفجر فيه شاحنة قمامة فتلقي بمحتوياتها فوق رؤوس الطبقة العابثة الماجنة. ويسخر الفيلم من بيرلسكوني الذي يزور منطقة الزلزال الذي وقع في لاكيلا عام 2009 وأدى إلى مقتل 300 شخص وتشريد 70 ألفا من سكان المدينة الذين انهارت منازلهم، وهو الحدث الذي استغلّه بيرلسكوني دعائيًا كما صوّرته المخرجة الإيطالية البارعة سابينا غوزانتي في فيلمها التسجيل البديع "دراكيلا: إيطاليا تهتز" (2010) من أجل استعادة شعبيته المتراجعة. وقد تعهّد بيرلسكوني وقتها بتوفير مسكن لكل أسرة بحلول الخريف، وقال إن كل شقة ستكون مفروشة بالكامل وفيها "كعكة كبيرة وزجاجة شمبانيا في الثلاجة"، لكن سورنتينو يجعله يكتفي بإرسال "طاقم أسنان بديل" لسيدة مسنة فقدت طاقمها خلال الزلزال!

بيرلسكوني كما يصوّره سورنتينو، محتال، نصاب، زير نساء متهالك يحب الفتيات الصغيرات، عجوز متصابي، يستغل نفوذه السياسي لخدمة إمبراطوريته المالية وشركاته المتعددة، لا يتورّع عن استخدام العنف والتلويح به ضد خصومه، لكنه أيضا ضحية خصوم سياسيين شرسين يتربصون له ويسعون إلى تدمير سمعته، ومجموعة من القضاة يتحينون الفرصة لدمغه بالفساد وحبسه، وزوجة تتمرد عليه بعد كل ما وفّره لها من مظاهر الثراء.

يظهر بيرلسكوني في معظم المشاهد من زوايا تصوير منخفضة لإبراز قوته وشخصيته المهيمنة بكاريزمته المعروفة، وهو يلقي بالنكات المبتذلة التي تضحك المنافقين من حوله، يمسك الميكروفون فجأة ويغني ويفرض أن يستمع إليه الجميع، تتطلع إليه النساء بإعجاب كبير. وعلى الرغم من ذلك يعاني فيلم "لورو" من السقوط في نفس ما ينتقده، أي جعل المتفرج ينبهر بالعالم الملوّن الزائف الذي ينتقده.

"لورو" ليس أفضل أفلام سورنتينو رغم أنه لا يزال يحمل طابعه وأسلوبه. ولكنه رغم أي ملاحظة سلبية، يظل عملا جديرا بالمشاهدة، على الأقل، للاستمتاع بالأداء البديع لبطله توني سيرفيللو المتألق دائما.

أداء بديع لدور بيرلسكوني من دون تقمص

العرب
الأحد 2019/05/05
السنة 41 العدد 11339

سوق السفر العربي يجمع الهيئات السياحية من العالم

دول عربية تتنافس على استقطاب السائح العربي في شهر الصيام

البعض يفضّل قضاء شهر رمضان في البيت مع العائلة في أجواء تقليدية، إلا أن البعض الآخر صار يفضل قضاء شهر الصيام في عطلة بعيدا عن ضغوط العمل والحياة اليومية، سياح شهر رمضان ازداد عددهم حتى أن الهيئات السياحية ووكالات الأسفار صارت تسعى إلى اجتذابهم من خلال الحديث عن عادات وتقاليد رمضانية مختلفة، لذلك استغلت بعض الدول معرض "سوق السفر العربي" في دبي، للترويج للسياحة الحلال واستقطاب السائح الخليجي على وجه الخصوص.

مثال مصغر للعمارة المغربية

دبي - انتهت في دبي فعاليات معرض "سوق السفر العربي 2019" الأربعاء غرة مايو، الذي يعدّ الحدث الأضخم في صناعة السفر والسياحة في منطقة الشرق الأوسط بحضور أبرز المتخصّصين والخبراء في صناعة الضيافة والسفر والسياحة، إضافة إلى حضور عدد كبير من الصحافيين من الدول العربية والأجنبية، حيث تشارك نحو 150 دولة و65 جناحا وأكثر من 100 عارض جديد يشاركون للمرة الأولى في هذا الحدث.

وسبق المعرض حلول شهر رمضان الذي صار في السنوات الأخيرة شهر عطلة، خاصة بالنسبة للعائلات العربية عموما والخليجية التي تشتغل فيها الزوجة، فيكون شهر الصيام مناسبة لترتاح من عناء العمل والمطبخ، لذلك سعت هيئات السياحة ووكالات السفر العربية إلى استقطاب السائح الخليجي عبر برامج تحفيزية وعروض ترويجية وتوفير معايير السياحة الحلال.

وحرصت دبي على أن تكون الدورة السادسة والعشرون من المعرض مختلفة شكلا وموضوعا، حيث طرحت مفهوما جديدا لقطاع السياحة والسفر مسبوغا بأحدث الإبداعات التقنية التي توصل إليها العالم.

رمضانك عندنا

ترجع المنافسة الشديدة على السياح الخليجيين إلى زيادة اتفاقهم مقارنة ببقية الدول، ويأتي السائح الإماراتي في المرتبة الأولى، إذ ينفق في رحلته ما يعادل أربعة أو خمسة أضعاف المستوى العالمي.

وقدّم الجناح المصري تحت عنوان "رمضانك عندنا" نبذة عن الأجواء الرمضانية في مصر احتفالا بالشهر الكريم، وذلك في إطار خطة الوزارة للترويج لمصر في السوق العربية.

وكان الإقبال واضحا على حملة "رمضانك عندنا" التي تستهدف تشجيع السياح الخليجيين والعرب على قضاء عطلهم في أجواء رمضانية بمناطق الموسكي والحسين والسيدة زينب وليلي القاهرة القديمة، بجانب السهرات الرمضانية التي تتسابق الفنادق في إقامتها متضمنة الحفلات المميزة للإفطار والسحور، وسط أجواء فنية تتناسب مع طبيعة الشهر.

وأكدت وزيرة السياحة المصرية رانيا المشاط على أن التقارب العربي يفتح آفاقا رحبة للتعاون بين الدول العربية، بسبب انعكاساته الإيجابية في تحفيز حركة السياحة البينية بين الدول العربية وبعضها لبعض.

وأضافت المشاط أن مصر تعتبر مقصدا هاما للسائح العربي لأسباب كثيرة من أهمها قرب المسافة ووحدة اللغة والعادات والتقاليد، لافتة إلى أن السائح العربي يشعر في مصر وكأنه في وطنه الثاني، وهو نفس شعور المصريين تجاه أشقائهم العرب.

وتضمّن الجناح المصري شاشات عرض لإلقاء الضوء على المدن والمحافظات السياحية المصرية المختلفة، من خلال تخصيص مواد ترويجية عن كل مدينة سياحية على حدة.

كما تم تخصيص تجربة معايشة تفاعلية تمكن الزائرين من خلالها من رؤية المناظر الطبيعية لأعماق البحر الأحمر، وباستخدام نظارات ثلاثية الأبعاد.

كما تم تخصيص جزء خاص بالمتحف الكبير به "هولوغرام" للقناع الذهبي للملك توت عنخ آمون، وشاشة تعرض مواد مصوّرة للمتحف.

وشهد الجناح المغربي على مدى أربعة أيام توافدا مهما من طرف المهنيين المشاركين في المعرض والذين يمثلون مختلف بلدان العالم، كما شهد إقبالا من طرف الزوّار من أجل استكشاف العروض المتاحة في السوق المغربية في المجال السياحي.

وفاز الجناح المغربي، بجائزة "أفضل جناح" لتصميمه المثالي المميّز على شكل "رياض" مغربي. وقال مدير المكتب المغربي للسياحة لمنطقة الشرق الأوسط في أبوظبي، محمد صادق شاكر، إن تتويج الجناح المغربي بهذه الجائزة من أصل 365 جناحا مشاركا في المعرض من الشرق الأوسط وآسيا، يأتي تقديرا لفن المعمار المغربي الذي يتميّز بزخرفته الهندسية اللافتة.

وأوضح أنه من أجل تشجيع السياحة العائلية العربية، علينا مواصلة التعريف بالمؤهلات المغربية السياحية، حيث أشار إلى أن نسبة السياح الخليجيين الوافدين إلى المغرب تزداد سنويا بمعدل يقارب 10 بالمئة.

وعلى الرغم من أن قطاع السياحة في المغرب لا يتوفر على منتج خاص بالسياحة الحلال، فإنّ عددا من الفنادق المصنفة باتت تقدّم عروضا خاصة بالأسر المسلمة، سواء الأجنبية أو المغربية، وتوفر أكلا ملائما للشريعة الإسلامية ومسابح عائلية خاصة.

وذكر في وقت سابق أن بلاده نفذت حملة دعائية للترويج للسياحة في المغرب، لضمان وصول ما تتميز به المغرب من مقوّمات سياحية لكافة السياح الخليجيين، ووجود المميزات الكثيرة مثل الخطوط المباشرة من دول الخليج، معربا عن تقديره وحبّه بـ"الزاف" للسياح من السعودية ودول الخليج.

وشهدت مدينة مراكش توافد عدد كبير من السياح الخليجيين وعلى الخصوص من السعودية و الكويت، وعرفت الفنادق المصنّفة إقبالا كثيفا خصوصا خلال شهر شعبان.

ومن الأسباب التي تشجع السياح الخليجيين على القدوم إلى المغرب، الاستمتاع بروعة بعض المدن، كالدار البيضاء ومراكش، التي تجذب بأزقتها وأسواقها الشعبية خلال شهر رمضان فرصة استثنائيّة للتسوق، في ظلّ أجواء مميزة ومناسبة في السهرات الرمضانية.

وتعتبر الأطباق الشهية التي يتميز بها المطبخ المغربي مثالية لمائدة الإفطار خلال شهر رمضان على غرار طبق الطاجين، مع الإشارة إلى الشاي المغربي وألذّ الحلويات الخاصة بهذا البلد.

وشهد جناح لبنان معرض سوق السفر العربي مشاركة 40 شركة لبنانيّة من فنادق، وشركات سياحة وسفر ومنظمي رحلات.

وعقد وزير السياحة أواديس كيدانيان منذ افتتاح المعرض سلسلة لقاءات مع عدد كبير من الشخصيات السياحية، كما قام بزيارة إلى جناح المملكة العربية السعودية حيث التقى رئيس الهيئة العامة للسياحة أحمد بن عقيل الخطيب.

وبحث كيدانيان والخطيب في سبل التعاون في المجال السياحي بين البلدين والتطورات السياحية، نتيجة رفع حظر سفر الرعايا السعوديين إلى لبنان.

وأشار إلى أن "لبنان يرتكز عمله السياحي على السائح العربي والخليجي ومازال، ونحن اليوم نعمل على توسيع هذا السوق".

سوريا تسجل حضورها

تشارك سوريا لأول مرة في المعرض بجناح يضم موفدين من وزارة السياحة وعددا من الجهات العاملة في القطاع السياحي، بالإضافة إلى عدد من شركات وفنادق القطاع الخاص.

وأوضح رئيس الوفد السوري غياث الفراح، أن "المشاركة السورية تكتسب أهميتها كونها تدل على بدء تعافي قطاع السياحة، بالتزامن مع مرحلة إعادة الإعمار في مختلف المجالات"، لافتا إلى أن الحضور السوري "شكّل نوعا من المفاجأة السارّة لجميع زوّار المعرض والمغتربين السوريين في الإمارات".

وأشار الفراح، إلى أهمية الاستثمار والفرص الاستثمارية المتاحة في سوريا بعد عودة الأمن والأمان إلى مختلف المناطق والمواقع السياحية والطبيعية، بفضل انتصارات الجيش السوري.

من جهته، شدد رئيس اتحاد غرف السياحة السورية، محمد خضور المشارك في المعرض، على أن "الحدث يشكل فرصة للمشاركين السوريين لدعوة الفعاليات الاقتصادية ورجال الأعمال والسياح إلى زيارة البلاد".

ويعدّ معرض "سوق السفر العربي"، حدثا عالميا رائدا في صناعة السفر في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، حيث شهد مشاركة الدول الآسيوية التي تركز في إستراتيجيتها على السياحة الحلال التي تستهوي العائلات الخليجية خاصة في رمضان، وركّزت الدول الأوروبية منها سويسرا وألمانيا وروسيا على مجموعة واسعة من خيارات الإقامة، والمزارات السياحية، وتقنيات السفر، والخطوط الرئيسية لشركات الطيران.

مدن بأجواء رمضانية مميزة

دبي مدينة عصرية بروح عربية

برغم أنها صارت مدينة عصرية بكل المقاييس العالمية، لم تفقد روح التمسك بالفنون الإسلامية وأصالة الضيافة العربية، ويمكن للسائح المسلم أن يقضي شهر رمضان في مدينة دبي ليكون الشهر مليئا بالمتعة الفائقة في كل الفعاليات التي تنظم بمناسبة الصيف ورمضان معا.

هناك أكثر من 200 مسجد في دبي، تقام فيها العديد من فعاليات الإفطار الجماعي للمساهمة في الترابط الاجتماعي، وتستعدّ المطاعم أيضا لتقديم أفضل ما لديها للمقيم وللزائر معا، كما تُنظم فعاليات ترفيهية وخيم رمضانية تتنافس فيها المؤسسات السياحية والفندقية.

المكبوس وجبة السياح في المنامة

جولة واحدة لا تكفي في شوارع المنامة لاكتشاف الأجواء الروحانية لشهر رمضان، حيث تتشح واجهات الأسواق بألوان زاهية، وترتدي حُللا أنيقة تناسب أجواء هذه المناسبة الدينية، وتُعرض أفضل المكسرات والحلويات وألذّ التمور، وتقدّم المطاعم على موائد الإفطار أشهى المأكولات الشعبية ومنها طبق "المكبوس" التقليدي الذي يعدّ أحد الأطباق التراثية البحرينية.

وتستقبل الفنادق خلال شهر رمضان مرتادي الخيم الرمضانية الذين يبحثون عن الأكلات البحرينية الشعبية أو الأكلات العربية التي اشتهرت بتواجدها في موائد شهر الصيام.

وتوفر هذه الفنادق سهرات ينشطها المطربون العرب، إلى جانب بعض العروض والفعاليات الأخرى التي توفرها هذه الفنادق التي تتنافس في ما بينها لإرضاء أذواق مرتاديها.

ومن العادات البحرينية ما يسمى "الغبقة"، وهي عبارة عن وجبات دسمة تقدم في ساعة متأخرة من الليل وبوقت يقارب السحور، حيث يتناول الصائمون أشهى المأكولات مثل المحمر وهو الرز المحلى بالسكر مع السمك وغيرها.

وتمتلك عاصمة البحرين العديد من المغريات السياحيّة ومجمّعات التسوّق الجميلة، دون أن ننسى الأماكن والمطاعم الكثيرة، حيث يمكن تناول الإفطار مع الأسرة ضمن أجواء رمضانيّة بامتياز. ويحلو السهر في السوق القديمة الأشبه بالدهاليز والأزقّة والتي تشتهر بتجارة اللؤلؤ.

وتشتهر البحرين بكثرة المناطق الترفيهية، مثل كورنيش المارينا البحرين والذي يضم أماكن لألعاب الأطفال في الهواء الطلق، وصالات للتزلج على الجليد، وتستمتع العائلات بمشاهدة أفضل العروض الترفيهية للدلافين في منتجع الدلافين، وبمشاهدة المنظر الساحر لغروب الشمس الحمراء خلف مياه البحر.

ويوجد على الكورنيش عدد من الفنادق الفخمة، والمقاهي والمطاعم الشهيرة للسهرات الرمضانية الشيقة.

المدفع للإفطار في سراييفو

تستدعي سراييفو موروثاتها التاريخية في رمضان، حيث يُستخدم ما يُعرف بـ"مدفع رمضان" للإعلان عن وقت الإفطار والسحور، وكذلك تزيين المآذن بالمصابيح.

وتمثّل السوق القديمة في باشتشارشيا مركز وروح مدينة سراييفو، وهي نقطة لالتقاء السكان المحليين منذ القرن 15 وأصبحت نقطة جذب للسياح القادمين. ويعتبر برج ساعة سراييفو من أشهر معالم الجذب السياحي، ويعتقد أن هذه الساعة التاريخية هي الساعة العامة الوحيدة في العالم التي تحتفظ بالوقت القمري، وتحدّد الوقت الذي يعتمد على حركة الشمس والقمر.

سباق الأقمار الصناعية يفتح جبهات حروب في الفضاء

التكنولوجيا المضادة للأقمار الصناعية تهدد بإشعال صراعات جديدة بين القوى العظمى

سلام سرحان
صحافي عراقي

تزايدت المؤشرات على انقلاب كبير في الصناعات الفضائية ليتحول السباق من تطوير الأقمار الصناعية إلى تقنيات تعطل أقمار الخصوم، الأمر الذي يضع تحديات كبيرة أمام الاستخدام المستدام للفضاء بعد ازدحامه بعدد كبير من اللاعبين.

يبدو الفضاء اليوم في صدارة الساحات التي يمكن أن تندلع فيها الحروب بين القوى العظمى بعد أن أصبحت المواجهة بينها على الأرض مستبعدة بسبب ترسانات الردع التي يمكن أن تدمر الجميع.

ومثل إعلان رئيس الوزراء الهندي ناريندرا مودي قبل أسابيع عن إسقاط قمر صناعي من الفضاء، نقطة تحول تنذر بدخول العالم في مرحلة جديدة وخطيرة من استخدام الأسلحة المضادة للأقمار الصناعية.

هكذا انضمت دولة أخرى إلى العدد المتزايد من الدول التي تتسابق للتسلح في الفضاء، الذي بدأ يزدحم بالأقمار الصناعية وحطامها بعد خروجها من الخدمة، وخاصة في المدارات القريبة من الأرض.

في 27 مارس من هذا العام، أصبحت الهند أحدث دولة تجري اختبارا مضادا للأقمار الصناعية، ليرتفع عدد الأطراف المتبارية في التسلح الفضائي 4 دول إلى جانب الولايات المتحدة وروسيا والصين.

ويبدو من المؤكد أن اشتداد المنافسة بين تلك الدول على عسكرة الفضاء سوف يستقطب دولا أخرى لتطوير وتصنيع الأسلحة المضادة للأقمار الصناعية.

وفي إطار إدراك نيودلهي لحساسية الخطوة، حاولت تأطير الاختبار على أنه دليل على براعتها في تكنولوجيا الفضاء، حيث قال مودي بفخر إن "الهند حققت إنجازا غير مسبوق، وسجلت اسمها كقوة فضائية".

أما على المستوى العالمي، فإن ذلك الاختراق يعد تذكيرا مهما حول مخاطر التكنولوجيا المرتبطة بعسكرة الفضاء.

أصبح الفضاء مكانا تنشب فيه النزاعات الجيوسياسية، التي تبدأ السيطرة الاستراتيجية على مختلف مواقعه وقد تصل إلى الصراع المسلح في وقت يدفع فيه اشتداد المنافسة إلى تطوير التقنيات تعرض وصول البشر إلى الفضاء أو استخدامه للخطر.

ويتزايد يوما بعد يوم عدد الدول التي تلتحق بركب اللاعبين الكبار في الساحة الفضائية، الأمر الذي يزيد من خطر ازدحام الفضاء القريب من الأرض بحطام خطير قد يصطدم بالأقمار الصناعية المهمة، إما عن طريق الخطأ أو أثناء نزاعات.

ويمكن لوتيرة السباق المتوتر بين البلدان التي تمتلك تكنولوجيا الأسلحة المضادة للأقمار الصناعية أن تعطل محاولات تطوير قواعد أو معاهدات دولية لتقليل تلك المخاطر وضمان الاستخدام المستدام للفضاء.

ورغم أن تنفيذ تجربة الهند جرى في مدار منخفض يصل ارتفاعه إلى نحو 300 كيلومتر فقط، إلا أن تلك الخطوة خلفت حطاما في الفضاء.

خطر الحطام الفضائي

وحاولت وزارة الخارجية الهندية التقليل من شأن مخاطر الحطام، بالقول إنه سوف يحترق ويسقط على الأرض في غضون أسابيع.

لكن الخبراء يقولون إن تحلل وتبدد بعض شظايا الحطام قد يستغرقان عدة سنوات.

كما أن ذلك الحطام الفضائي يمكن أن يتصادم مع الأقمار الصناعية ويدمرها، مما سيخلق تأثيرا مضاعفا يعرف باسم "متلازمة كيسلر" نسبة لدونالد كيسلر، الذي عمل في مركز الفضاء التابع لناسا.

وأطلق كيسلر نظريته في عام 1978، التي تقول إنه مع تزايد أعداد الأقمار الصناعية في الفضاء، سيزداد احتمال اصطدامها ببعضها البعض، مما يؤدي إلى تكون غيوم من الشظايا التي تؤدي بدورها إلى مزيد من التصادمات.

وبذلك يصبح الحزام المحيط بالغلاف الجوي مزدحما بالحطام، مما يؤدي إلى تضييق آفاق الرحلات الفضائية في المستقبل.

يعتمد الأفراد والشركات والدول على الأقمار الصناعية للملاحة والاتصالات والبحوث والأمن. وسيؤدي تعطيل بعضها بشكل غير متوقع، إلى عواقب وخيمة على المجتمع والاقتصاد.

أسباب تزايد الحطام

في حالة نشوب حرب كبيرة بين القوى العالمية، يمكن للخصوم أن يستهدفوا بعضهم البعض من خلال إتلاف الأقمار الصناعية. وسيشكل ذلك حقولا كبيرة من الحطام الذي يعطل جهود الخصم في سباق غزو الفضاء. ومن المرجح أن تختار دولة خاسرة هذا الطريق، خاصة إذا كانت قد تعرضت لضربة فضائية من ذلك الخصم.

ويمكن أن يكون انتشار الحطام الفضائي غير مقصود كذلك. مثلما يمكن أن تتدهور ضربة نووية محدودة إلى حرب نووية حرارية كاملة عبر سلسلة من الانتقام والتصعيد، قد تحدث عملية مماثلة في الفضاء.

كما أن أي ضربة أولى محدودة توجهها قوة واحدة نحو أقمار عدوها سوف تؤدي إلى رد انتقامي أكبر، وقد يساء فهمها على أنها إنذار قبل شن هجوم أكبر. ويمكن أن تتحول بعد ذلك إلى معركة شاملة لتدمير الأقمار الصناعية.

حتى بدون تصعيد، يمكن أن يتسبب التدمير الأولي لعدد صغير من الأقمار الصناعية في أضرار جسيمة للحياة اليومية على الأرض.

وسوف تتضرر النشاطات الاقتصادية لدول كثيرة ليست طرفا في القتال الدائر في الفضاء بسبب ذلك الحطام الذي قد يعطل أقمارها ذات الأغراض الاقتصادية. وينطبق هذا بشكل خاص على الاختبارات التي تحدث على ارتفاع كبير، مثل اختبار الصين لأسلحتها سنة 2007.

وتشير آراء الخبراء إلى أن اختبار الأسلحة الهندية المنخفض قد يتسبب بنشوء حطام كبير بعد أن وصلت بعض الشظايا إلى ارتفاع يتجاوز 1000 كيلومتر.

وقد أعلنت وكالة الفضاء الأميركية، ناسا، أن التجربة الهندية أنتجت 400 شظية تدور حول الأرض.

وقال مدير ناسا جيم بريدنشتاين إن أطوال 60 شظية منها تصل إلى 10 سنتيمترات أو أكثر، وأن 24 قطعة منها وصلت إلى أعلى نقطة في مدار محطة الفضاء الدولية.

وأكد زيادة احتمالات خطر اصطدام المخلفات بمحطة الفضاء الدولية بنسبة 44 بالمئة خلال العشرة أيام التي تلت التجربة الهندية.

التعامل مع التهديد المتصاعد

ويجمع خبراء الفضاء على أن وجود الملايين من قطع الحطام في المدار أصبح يشكل خطرا كبيرا على سلامة الأقمار الصناعية المهمة.

ومع تزايد قلق العديد من الدول ووكالات الفضاء من إمكانية تدمير أقمارها الصناعية، أصبحت تحذر من زيادة الحطام الفضائي وتعتبرها مسألة خطيرة مرتبطة بالأمن القومي.

وتعمل أطراف مختلفة على تطوير وسائل لجمع ذلك الحطام.

وتشمل التقنيات التي يمكن أن تساعد على تحقيق ذلك الهدف استخدام أشعة الليزر والأسلحة القادرة على مناورة الأقمار الصناعية.

كما اختبرت شركة بريطانية في العام الماضي مركبة تزن 100 كيلوغرام مجهزة بشبكة لجمع النفايات الفضائية.

وحتى دون تصعيد عسكري، يمكن أن يتسبب التدمير الأولي لعدد صغير من الأقمار الصناعية في أضرار جسيمة للأنشطة اليومية على الأرض.

ويمكن استخدام التقنيات التي يمكنها تنظيف الحطام الفضائي في تدمير أقمار العدو، ما يعني أن الدول الأكثر قدرة على التخلص من الحطام في المستقبل سوف تتمتع بقدر أكبر من الكفاءة التي تمكنها من تدمير أقمار العدو الصناعية.

إذا اندلع نزاع حقيقي يمتد إلى الفضاء، يمكن أن تصبح هذه التقنيات جزءا أكبر من المشكلة.

وسيكون من الأسهل العثور على الأقمار الصناعية وتدميرها بدلا من تنظيف الحطام الفضائي الذي تنتجه الأقمار الصناعية المنهارة أثناء النزاع.

ورغم منافسة روسيا والصعود السريع للدور الصيني، لا تزال الولايات المتحدة هي القوة الأولى المهيمنة في ميدان غزو الفضاء وهي الأكثر اندفاعا في توسيع استثماراتها الفضائية وهي تمتلك اليوم نحو نصف جميع الأقمار الصناعية الموجودة على المدار.

لكن الجيش الأميركي يدرك مخاطر الحرب في الفضاء. ولذلك تركز استراتيجية واشنطن الفضائية على امتلاك القدرة على ردع الآخرين، رغم أنها مستعدة للدفاع عن أقمارها الصناعية وشن هجمات مضادة إذا لزم الأمر.

قد لا يكون الردع لوحده كافيا في ظل السباقات السرية بين عدد متزايد من الدول لتطوير قدرات أسلحتها المضادة للأقمار الصناعية. ولذلك لم يعد مستبعدا أن تمتد النزاعات من الأرض إلى الفضاء عبر هجمات مباشرة على أقمار العدو.

مستقبل غامض

حتى الآن لا توجد معاهدات تنظّم تطوير الأسلحة المضادة للأقمار الصناعية أو اختبارها أو إطلاقها.

ورغم التحذيرات والمعارضة التي تواجه اختبارات الأسلحة المضادة للأقمار الصناعية، إلا أنها لم تمنع دولا مثل الولايات المتحدة والصين وروسيا والهند من إجراء اختبارات لأسلحتها الخاصة.

وكان للولايات المتحدة الدور الأكبر في شيوع تطوير واستخدام تقنيات الأسلحة المضادة للأقمار الصناعية.

في سبتمبر عام 1985، أطلقت الولايات المتحدة الصاروخ المضاد للأقمار الصناعية "آي.أس.أم 135 أسات" من طائرة مقاتلة من طراز "أف 15" ودمرت قمرها الصناعي "سولوفيند" الذي كان على ارتفاع 555 كيلومترا.

وفي فبراير 2008 دمرت القمر الصناعي العسكري "يو.أس.أي 193" بنجاح عبر صاروخ "أس.أم 3". وهي تقول إن آخر قطعة باقية من ذلك القمر الصناعي احترقت في الجو في 9 أكتوبر عام 2008.

اليوم تتزايد دعوات شخصيات في أنحاء العالم وخاصة في الولايات المتحدة لوضع معايير تهدف لمنع انتشار المزيد من الحطام الفضائي.

يشمل ذلك قائد القيادة الاستراتيجية الأميركية الجنرال جون هيتن، الذي ناقش مخاطر الحطام الفضائي في 9 أبريل في أعقاب الاختبار الهندي.

وقال إن الخسائر والأضرار الجانبية اللاحقة لأي نزاع فضائي ستكون أكبر من الحروب السابقة من الحرب العالمية الثانية إلى الحروب اللاحقة في فيتنام وكوريا.

ومع ذلك تواصل المنافسة الشرسة بين القوى العظمى تقويض جميع الجهود لدرء مخاطر حروب الفضاء. وقد كان لواشنطن دور كبير في عرقلة التوصل لاتفاقيات تهدف إلى الحد من سباق التسلح في الفضاء خلال العامين الماضيين.

ويشير انهيار "معاهدة القوى النووية المتوسطة المدى" الوشيك إلى تضاؤل احتمال وضع قواعد متماسكة لاستخدام الأسلحة المضادة للأقمار الصناعية في المستقبل القريب في وقت تندفع فيه الصين، التي لم توقع على المعاهدة، نحو تطوير قدرات صاروخية تعتبرها واشنطن تهديدا لقواتها في المحيط الهادي.

كل ذلك يعرض الاستخدام السلمي للفضاء إلى تهديد جدي في ظل استمرار التجارب الخارجة عن نطاق السيطرة.

في أحسن الأحوال سيتواصل التنافس بين القوى العظمى في تطوير تكنولوجيا الفضاء وزيادة الحطام الفضائي، الذي يهدد بتعطيل الأقمار الصناعية ذات الدور الأساسي في الاقتصاد العالمي سواء عن قصد أو عن طريق الخطأ.

وفي أسوأ الأحوال يمكن أن تندلع حرب فضائية لا يمكن لنا تخيل عواقبها على حياتنا.

انقلاب المنافسة من تطوير الأقمار الصناعية إلى تقنيات تعطل أقمار الخصوم

> توتر العلاقات بين القوى الكبرى يكرس غياب المعاهدات اللازمة لتنظيم استثمار الفضاء ويعرقل إمكانية التوصل إليها

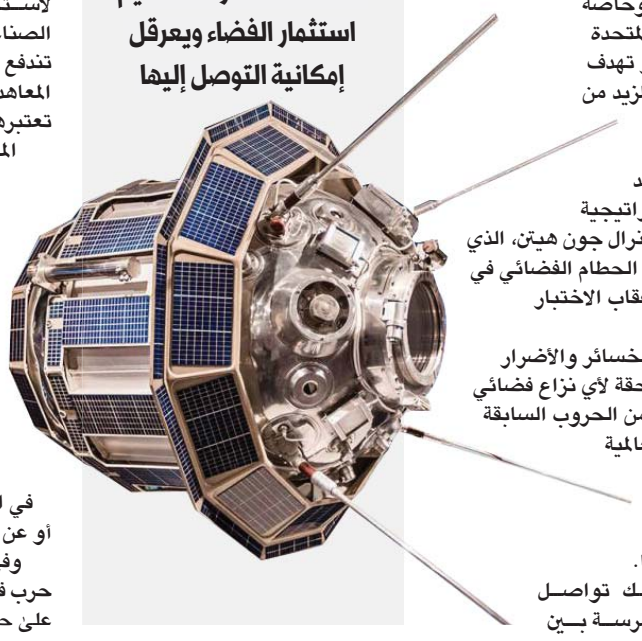

دونالد كيسلر:
ازدحام الفضاء بالأقمار الصناعية يزيد احتمال تصادمها وستؤدي غيوم الشظايا بدورها إلى مزيد من التصادمات

الجنرال جون هيتن:
الخسائر والأضرار الجانبية اللاحقة لأي نزاع فضائي سوف تكون أكبر من خسائر الحرب العالمية الثانية

العرب
الأحد 2019/05/05
السنة 41 العدد 11339

تمارين العلاج الطبيعي تساعد في التخلص من الشد العضلي

غياب التوازن بين النشاط والسكون يزيد الحمل على العضلات

لا يقتصر الشعور بالشد العضلي على الرياضيين المحترفين الذين تعودوا على ممارسة التمارين الرياضية المكثفة وإنما قد يواجه أي شخص عادي أو موظف قليل الحركة والنشاط هذا النوع من الآلام الشديدة.

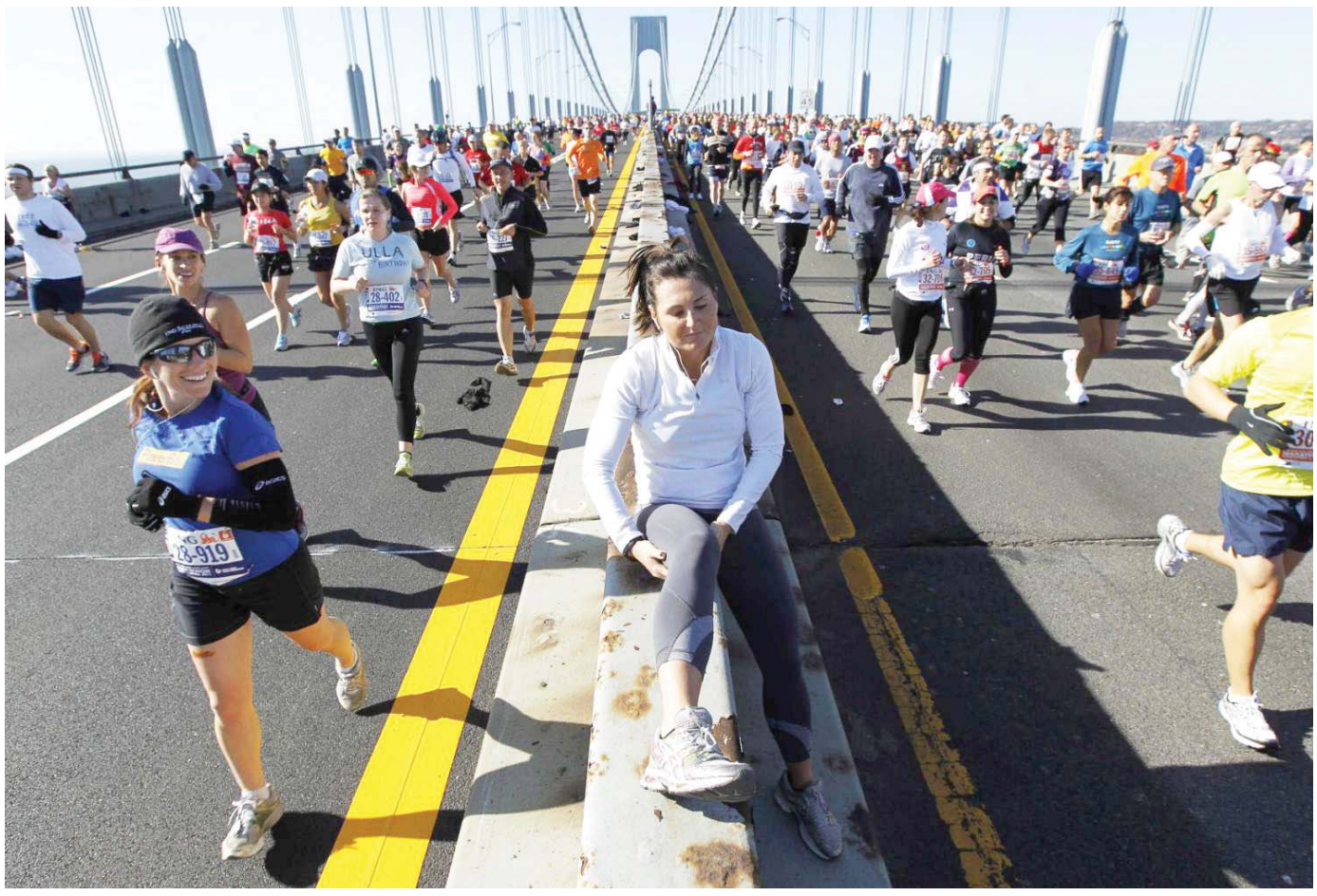

قلة السوائل تؤثر على مرونة العضلات

برلين – يعد الشد العضلي من المتاعب الصحية الشائعة؛ حيث يعاني الكثيرون من آلام ناتجة عن الشد في عضلات الرقبة والظهر مثلا. ويمكن التخلص من هذه الآلام من خلال بعض تمارين العلاج الطبيعي البسيطة، والتي يمكن أداؤها في المنزل.

وأوضح ماتياس كيب، من قسم الطب الرياضي بمستشفى شاريتيه الجامعي في العاصمة الألمانية برلين، أن الشد في الرقبة والكتفين والظهر أصبح من الأمراض الشائعة في الوقت الحالي بسبب الطريقة العصرية في الحياة والعمل، وغالبا ما يعاني موظفو المكاتب من الشد العضلي بسبب قلة الحركة وعدم ممارسة الرياضة.

بالإضافة إلى أن الوقوف لفترات طويلة أو رتابة الحركات يمكن أن يؤديا إلى حدوث الشد العضلي أيضا، كما هو الحال مع موظفي الخزينة في السوبر ماركت؛ نظرا لوجود حمل ديناميكي ثابت، ولذلك فإنه من المستحسن أن يكون هناك توازن بين النشاط والسكون.

وفي حالة عدم وجود توازن، تزداد حالة شد العضلات والأنسجة الضامة، وبمعنى آخر إذا شرب المرء كمية قليلة من السوائل، فإن الخلايا لن يصلها إلا قدر محدود من السوائل، وبالتالي تتغير مرونتها. وأضاف الخبير الألماني ماتياس كيب قائلا "استمرار حالة شد العضلات بشكل دائم قد يؤدي إلى ظهور الأعراض والآلام المبرحة".

ومن جانبه أشار أخصائي العلاج الطبيعي ميشائيل برايبش إلى أن أضرار الشد لا تقتصر على الآلام فحسب، بل قد تتسبب أيضا في محدودية الحركة، ويعتبر ذلك من المشكلات التي تنجم بشكل فوري عن الحمل الزائد على المفاصل أو مشكلات فقرات العمود الفقري العنقي.

ويمكن مواجهة الشد العضلي عن طريق التمارين البدنية، والتي يمكن أداؤها في المنزل. وينصح برايبش بأداء مجموعة من التمارين الرياضية، مع مراعاة تعلم كيفية القيام بها في البداية على يد أخصائي علاج طبيعي لتجنب حدوث أخطاء في التمارين.

التمارين الرياضية

إطالة عضلات الفخذ: من ضمن أمثلة تمارين العلاج الطبيعي، التي يمكن أداؤها في المنزل، تمرين إطالة عضلات الفخذ، وهناك تمارين خاصة بإطالة عضلات الجانب الأمامي والخلفي من الفخذ. ولأداء تمرين إطالة عضلات الجانب الأمامي يتعين على المرء الجلوس على مقعد وأن يقوم بفرد الساق بزاوية 90 درجة.

وبعد ذلك يتم مسك قدم الرجل الأخرى باليد، ويتم سحب أسفل الساق إلى أعلى بمحاذاة المقعد من الخلف، بحيث تصطدم الساق بالأرداف، وعندئذ يتجه الفخذ بشكل عمودي إلى الأسفل.

وتتم إطالة عضلات الجانب الخلفي من الفخذ من خلال الوقوف بشكل مستقيم وتمديد ساق إلى الأمام بشكل أفقي على سطح طاولة أو من خلال الاستناد إلى الحائط مثلا، وبعد ذلك يتم ثني الجزء العلوي من الجسم إلى الأمام.

وتعمل تمارين تقوية العضلات على تعزيز ثبات واتزان الجزء العلوي من الجسم، كما يساعد ذلك في الوضعيات الخاطئة، التي تحدث بسبب شد العضلات. ولغرض تقوية حزام الكتف يتعين على المرء الاستلقاء على بطنه، ثم تمديد الساعدين إلى الأمام بشكل مستو بجانب الرأس على الأرض، ثم القيام بدفع الجذع إلى أعلى لمدة 10 ثوان، وفي الخطوة التالية يتم رفع الساقين بالتناوب لمدة 10 ثوان لكل منهما.

التحريك الدوار للعمود الفقري: إلى جانب تمارين إطالة الفخذ ينصح الخبراء الألمان بأداء التمارين التي تهدف إلى التحريك الدوار للعمود الفقري والعنقي، ومنها أن يقف المرء في وضع مستقيم ويقوم بتمديد الذراعين جانبا على ارتفاع الكتف، وفي تلك الأثناء يجب أن يشير كف إلى أسفل، بينما يشير الكف الآخر إلى أعلى، وعندئذ يتم تدوير الذراعين بشكل متقابل، وتتم متابعة النظر إلى اليد المتجهة إلى أسفل.ويجب أن يقوم المرء بتغيير دوران الذراع واتجاه النظر في نفس الوقت، كما يمكن أداء تمارين منطقة الفقرات القطنية أثناء الوقوف أيضا، حيث يتم فتح الرجلين بمحاذاة الخصر، ويتم ثني الركبة اليمنى واليسرى إلى الأمام بالتناوب، ودائما ما يستند وزن الجسم على الساق المفرودة، ويظل الحوض ثابتا ومستقرا في تلك الأثناء، ويجب أن يتم تكرار التمرين 10 مرات على كل جانب.

ويشدد جون بروير، مدير أكاديمية لوكوزيد لعلوم الرياضة، على أهمية تمارين الشد أو الإطالة قبل التدريب "تمارين الشد تطيل العضلات، تحسن مرونتها وتجعلها مستعدة لتحمل العبء الملقى عليها أثناء النشاط البدني". ومن غير الواضح ما إذا كان لشد العضلات بعد التدريب تأثير إيجابي، لكن مع ذلك، هذا الشد قد يساعد في تعافي العضلات عن طريق زيادة تدفق الدم إلى الأنسجة وإزالة النفايات التي تنتج أثناء التدريب.

الاسترخاء: أثبت مدربو اللياقة أن ممارسة تمارين الاسترخاء بانتظام وتدرج، تعزز مرونة العضلات وقوتها وترفع جاهزيتها لتحمّل الأعباء اليومية.

ويمزج تدريب الاسترخاء بين شد العضلات وإرخائها مع التركيز في عمليتي التأمل والتنفس بشكل موازٍ. وتساعد هذه التمارين على إزالة الشد العضلي الذي يختزنه الجسم خلال أوقات الضغوط.

ويمكن تحقيق أفضل النتائج بالمواظبة على ممارسة بعض التمارين اليومية لمدة تتراوح بين 10 و20 دقيقة في البداية حتى تصل إلى 30 و60 دقيقة في الحصة الواحدة، مع الحرص على تخصيص وقت محدد وثابت والالتزام به بانتظام. ويفضل الابتعاد عن وقت النوم لأن هذا النوع من الرياضات يزيد الإحساس بالارتخاء، الأمر الذي قد يجعل النعاس يغلب على القدرة على مواصلة التدريب.

ويشير المدربون إلى أن تدريبات الاسترخاء تكون أكثر حماسية ونشاطا إذا ما تمت ممارستها ضمن جلسات جماعية.

ويعتبر الاسترخاء العضلي المتدرج إحدى أفضل التقنيات التي أثبتت فعاليتها في تقوية العضلات وتخفيف حدة التوتر والضغط النفسي. وتعتمد هذه التقنية على خطوتين أساسيتين هما قبض العضلات وإرخائها. ويفضل قبل ممارستها ارتداء ثياب واسعة وخلع الحذاء واتخاذ وضعية أو جلسة مريحة. وقبل الشروع في التمرين، يرى خبراء اليوغا أن للاسترخاء لبضع دقائق في البداية أهمية كبرى في السيطرة على عملية التنفس العميق طوال مراحل التدريب. وتكون الانطلاقة بالتركيز على القدم اليمنى بشدها لفترة لا تتجاوز عشر ثوان ثم إرخائها والتركيز على ذلك لفترة، عبر الاستمتاع بحالة الاسترخاء لدقيقة مع التنفس ببطء وعمق.

وفي المرحلة الثانية، يتم التركيز على القدم اليسرى وإعادة نفس الخطوات بنفس الفترات الزمنية المحددة لكل حركة واتباع نفس طريقة قبض العضلات ثم إرخائها على كل المجموعة العضلية في الجسم.

تفسد آلام المفاصل، وخاصة في الركبتين، النشاط اليومي. ومهما كان سبب هذه الآلام (التهاب المفاصل أو الإصابة أو الإجهاد المتكرر)، تبقى المفاصل مهمة في كل حركة نقوم بها، ذلك أن الألم يقلل من الشعور بالراحة.

يقول الأخصائيون إن المسكنات بإمكانها التخفيف من الألم. لكن تخلف جميع الأدوية مجموعة من الآثار الجانبية التي قد تصل إلى تحويل الألم من مكان إلى آخر.

السوائل تقلل آلام المفاصل

تفاديا لكل العوارض غير المرغوب فيها، يرى المدربون أن هناك مجموعة من المشروبات الطبيعية قادرة على تجنب الآلام أو التقليل من حدتها.

تساهم هذه المشروبات في الحد من الالتهابات التي تمثل المصدر الشائع لأغلب الأوجاع. فعندما يتم استهلاك مواد مضادة للالتهابات في حالتها السائلة، فإن لها فوائد إضافية كتحسين نسبة الماء في الجسم. إن الحصول على نسبة كافية من المياه يوميا أمر بالغ الأهمية للحفاظ على المفاصل مشحمة، مما يسمح للعظام أن تنزلق ضد بعضها البعض، كما يمثل عاملا أساسيا لتدفق الدم الذي يغذي مختلف أطراف الجسم.

ويعد الماء من أساسيات السوائل التي يحتاجها الجسم الذي يشكل 70 بالمئة من مكوناته. عندما تنخفض هذه النسبة، فإن ذلك يؤثر على المفاصل التي نحتاجها للتحرك بسلاسة. كما يعني نقص المياه أن الجسم لن يكون قادرا على التخلص من السموم التي يمكن أن تسبب الالتهابات.

يوصي الأطباء من يعانون من آلام المفاصل بشرب يوميا بمقدار لترين من مياه الصنبور المصفاة. كما يمكن اعتبار المياه المعدنية المعبأة في زجاجات مصدرا جيدا لتلبية حاجيات الجسم. ويتجنب الأشخاص الذين يعانون من آلام المفاصل، عادة، شرب العصير لاحتوائه على الكثير من السكر الذي يساهم في زيادة أعراض الالتهاب. خاصة وأن العصير لا يحتوي على ألياف تخفف نسبة السكر في مجرى الدم. لذلك تبقى الغلال الطازجة مفيدة لأنها تحتوي على كمية طبيعية من الألياف تتناسب مع حلاوتها. لكن يعتبر عصير الكرز الحامض استثناء من هذه القاعدة. فقد أظهرت الدراسات أنه يحمل خاصيات تساهم في تقليل الالتهاب والتورم، وبالتالي تخفيف أعراض آلام المفاصل. كما يوفر المخفوق المصنوع من الغلال الطازجة (المعروف باسم السموذي) طريقة ممتازة لشرب الفاكهة دون أن تفقدها أليافها المهمة. وهي طريقة ناجعة لتمرير بعض الخضار التي لن يقدر البعض على تذوقها إلى أجهزتهم الهضمية.

كما يمثل اللبن والزبادي إضافة تصنع ملمسا ناعما للمشروب ويوفران البروبيوتيكات التي تنتج الفيتامينات والأجسام المضادة لمكافحة الالتهابات. ويعتبر كل ما يساعد في الحصول على القدر المناسب من الغلال والخضار مفيدا في تخفيف آلام الركبة والمفاصل لاحتوائه على مضادات الأكسدة.

جدير بالذكر أن نتائج الدراسات تتناقض حول العلاقة بين آلام المفاصل والقهوة، حيث تشير بعضها إلى أن القهوة تزيد من خطر الإصابة بالتهاب المفاصل، بينما تشير أخرى إلى أن القهوة تقلل من خطر الإصابة بالنقرس وهو نوع حاد من التهاب المفاصل يصيب الشخص نتيجة تراكم بلورات اليورات في مفاصله. مع ذلك، تحتوي القهوة بالتأكيد على مادة البوليفينول المضادة للالتهابات. وينصح خبراء التغذية بتجنب استهلاك كمية تفوق 4 أكواب في اليوم، حيث لا تجد معظم الدراسات أي آثار سيئة على المفاصل عند عدم الإفراط في شرب القهوة.

الشاي أيضا يحتوي على جرعة جيدة من مادة البوليفينول المضادة للأكسدة التي تقلل الالتهاب في المفاصل. لكن ليست كل أنواع الشاي متساوية، حيث يحتوي الشاي الأخضر على مضادات أكثر للأكسدة، يليه الشاي الأبيض، وأخيرا الأسود. كما يحتوي الشاي الأخضر على مادة بوليفينول معينة يمكنها تعزيز وحماية عظامك والغضاريف المحيطة بها. ويعرف شاي الزنجبيل بكونه مضادا للالتهابات، وهو قادر على منع إطلاق جزيئات التهابات مثل البروستاغلاندين والليكوترين، وكذلك السيتوكينات، وهي أنواع من البروتين الموجود في الخلايا وتسبب الالتهابات. يحتوي الزنجبيل أيضا على مركب يسمى جينجيرول الذي يقلل الالتهاب ويهدئ آلام العضلات المصابة. يمكن أن يساعد أي مشروب يحتوي على الزنجبيل في الحد من آلام المفاصل.

أكد أخصائيو العلاج الطبيعي وجود كبسولة أو مسحوق يروج على أنه مفيد لصحة المفاصل يسمى الغلوكوزامين وشوندرويتين. هذان الاسمان مألوفان لدى الأشخاص الذين يعانون من آلام المفاصل المزمنة، لكن لا يجب تناولهما في شكل حبوب دواء، لذلك يمكن استبدالهما بالمرق المصنوع من عظام الدجاج الذي يحتوي على المكونين. فيحارب مرق العظام الالتهاب ويحتوي على الكولاجين، وهو عنصر أساسي في بنية المفاصل.

> الوقوف لفترات طويلة أو رتابة الحركات يسببان الشد العضلي أيضا، كما هو الحال مع موظفي الخزينة في السوبر ماركت

كما يمكن لصحة العظام أن تحدث فرقا على مستويات الألم أيضا ومن المعلوم أن الحليب باحتوائه على كمية من الكالسيوم يساهم في تقوية العظام ومساعدتها على الحفاظ على كثافتها. وكانت الدراسات قد أشارت في السابق إلى أن شرب الحليب يساهم في إبطاء تقدم التهاب المفاصل ويمكن أن يقي من النقرس تماما. لكن، في حال المعاناة من حساسية غذائية تجاه الألبان، فمن المرجح أن يؤدي الحليب إلى تفاقم آلام الركبة والمفاصل بدلا من تهدئتها. في هذه الحالة، يمكن تناول المزيد من الخضراوات الخضراء لتعويض الفرق في الكالسيوم.

العلاج الطبيعي

يقوم أخصائي العلاج الطبيعي المحترف بالتدليك الرياضي للعضلة لتحسين حالتها من الشد إلى الارتخاء وينصح بممارسة التمارين الرياضية المتميزة باستطالة العضلة وتقويتها، حتى لا تتكرر نوبات الشد العضلي التشنجي المفاجئ. ومن الأفضل أيضا إجراء فحوصات طبية للتعرف على نسبة الأملاح ونسبة الجفاف في الجسم والعمل خاصة على تعديل نوعية الأطعمة التي نتناولها باستمرار.

يفيد التدليك الرياضي في تخفيف نوبات التشنج العضلي المفاجئ وذلك عن طريق تحفيز التدفق الدموي والمساعدة في مرونة العضلة، كما أن التدليك يظل مفيدا لفترة تصل إلى أيام وأسابيع بعد الشد العضلي.

فعندما تعاني العضلة من الشد يتحول إلى تشنج عضلي فيقوم بعصرها من الدم الموجود داخلها، بشكل يشبه كثيرا عملية عصر إسفنجة مبللة من الماء وهذا من شأنه أن يقلل نسبة تغذية العضلة من عناصر الدم، والتشنج الشديد من شأنه أن يؤدي في النهاية إلى تمزيق الألياف العضلية.

السباحة تخفف الشد العضلي

تساعد السباحة على تنشيط الدورة الدموية وتجديد حيوية العضلات واسترخائها. وهو ما أكده موقع دويتشه فيله الألماني، في تقرير كشف فيه أن السباحة رياضة صحية شاملة لتدريب عضلات الجسم بأكمله، إذ تمكن حركاتها الرشيقة المرء من تحريك جميع عضلاته التي قلما يحركها في حياته اليومية.

وبالرغم من أن السباحة هي واحدة من الرياضات التي نادراً ما يتعرض فيها المرء للإصابة، إلا أن الخبير الرياضي إنغو فروبوزه، من المركز الصحي التابع للجامعة الرياضية الألمانية بمدينة كولونيا، يؤكد أن اختيار تقنية السباحة المناسبة من الأمور الضرورية لتفادي مشكلة الشد العضلي. ففي سباحة الصدر مثلا يبقى الرأس فوق الماء والرقبة مشدودة ما يسبب تعضلها وآلاما في الظهر. ولتلافي ذلك ينصح بتغطيس الرأس تحت الماء أو بالسباحة على الظهر، إذ يبقى الرأس منبسطا في الماء.

أما بالنسبة إلى الذين لا يجرؤون على السباحة على الظهر، ينصح الخبير الألماني بالسباحة الجانبية، وهي طريقة جيدة لمن يعانون من مشكلات في الرقبة.

فالسباحة الجانبية لا تحتاج إلى ثني الرقبة. في حين تناسب السباحة الحرة الرياضيين أكثر، إذ تعد التقنية الأسرع التي تكون فيها الذراعان والساقان في حركة دائمة دون انقطاع.

وتساعد السباحة على حرق حوالي 350 سعرة حرارية لدى ممارستها لمدة نصف ساعة. ويعود سبب ذلك إلى مقاومة الجسم التي تزداد في الماء بمعدل 14 مرة، مقارنة بممارسة أي رياضة أخرى على اليابسة، مما يدفع الجسم إلى حرق قدر أكبر من الطاقة.

وللاستفادة من المزايا الصحية للسباحة، ينصح الخبير الرياضي الألماني بممارستها بانتظام ثلاث مرات أسبوعيا لمدة تتراوح من نصف ساعة إلى 45 دقيقة في كل مرة.

الريف التونسي يفرغ من شبابه المهاجر إلى المدن الكبرى

الشباب محبط من ثورة لم تنجح في إيجاد حلول للمناطق المهمشة

تلعب البطالة دورا هاما في انتشار ظاهرة نزوح الشباب من الريف إلى المدينة في تونس، إلى جانب فشل الحكومات المتعاقبة بعد الثورة في إيجاد حلول للمناطق المهمشة وتركيزها على تنمية الشريط الساحلي على حساب الجنوب والشمال الغربي.

الشغف بالمدينة

تونس - أصبحت مغادرة المدينة الصغيرة المهمشة في الجنوب التونسي هاجس عادل محمدي، الذي انعدمت أمامه أفق الحصول على فرصة عمل في منطقته، وتوجه إلى العاصمة محملا بالأمل دون شهادة جامعية أو تأهيل مهني.

يدرك محمدي، 25 عاما، أن المهن المتاحة له في العاصمة تونس بسيطة مثل العمل في المقاهي أو ورشات البناء ولا توفر أجرا كبيرا، إلا أنها أفضل من انتظار المجهول، والبقاء عاطلا عن العمل في مدينته، وهو ليس الأول ولن يكون الأخير الذي يُقدم على هذه الخطوة.

ويعدّ البحث عن لقمة العيش الدافع الرئيسي وراء نزوح الآلاف من الشباب من الأرياف التونسية إلى العاصمة ومدن الساحل بشكل عام. وتفاقمت الظاهرة لعدة أسباب أخرى منها غياب أهم الخدمات الصحية وضعف منظومة التعليم وتردي البنية التحتية والتهميش في الأرياف.

ويؤكد العديد من الشباب بأن الثورة لم تنجح في إيجاد حلول لهذه الظاهرة بل على العكس تفاقمت، بسبب ارتفاع تكاليف المعيشة والتضخم والغلاء مقابل المنح الصغيرة التي تقدمها الدولة للعائلات المعوزة، ما أدى إلى المزيد من التهميش للأرياف والمناطق النائية، ولم يتم تحديد سياسة حكومية هادفة للاستجابة لمتطلبات الأرياف، سواء كان ذلك على مستوى دفع اللامركزية أو تطوير البنية الأساسية أو التشغيل.

وتشير الإحصاءات إلى أن مليون نازح أغلبهم من الشباب، هجروا مناطقهم إلى العاصمة ومدن الساحل التونسي خلال السبع سنوات الأخيرة. وتأتي العاصمة كأكبر حاضرة مستقبلة للشباب الباحث عن موارد الرزق. خصوصا لتوفر خدمات أفضل في النقل والتعليم والصحة مقارنة بحياة الريف الصعبة.

ويذكر المعهد الوطني للإحصاء أنّ نسب البطالة حسب المحافظات في عام 2017، ترتفع بشكل خاص في المناطق الداخلية، وقد احتلت محافظة تطاوين المرتبة الأولى من حيث ارتفاع البطالة بـ32.4 بالمئة، تليها قفصة بـ27.3 بالمئة، ثم قابس بـ25.8 بالمئة. أما المنستير الساحلية، فقد احتلت المرتبة الأخيرة في نسب البطالة بـ6.1 بالمئة.

كما كشف التقرير الأخير الذي أصدره المعهد الوطني للإحصاء عام 2014، أنّ أكثر من 70 بالمئة من سكان تونس يعيشون على طول الساحل الشمالي والشرقي للبلاد. فيما بيّن التقرير أنّ المناطق الجاذبة لموجات الهجرة الداخليّة هي تونس الكبرى، إلى جانب الوسط والجنوب الشرقي اللذين استقطبا 119.6 ألفا من إجمالي عدد الوافدين على الأقاليم الساحليّة والبالغ عددهم 360.8 ألف وافد وغالبيتهم من الشباب.

وقد أكدت دراسة المعهد أنّ البحث عن العمل والدراسة والزواج من أهم أسباب الهجرة الداخلية. وقد تصدر البحث عن العمل قائمة دوافع الهجرة الداخلية بنسبة 20.7 بالمئة. كما ذكرت دراسة حول التفاوت بين المناطق، من إعداد الباحث في علم الاجتماع المتخصص في الديموغرافيا حسان القصار بالتعاون مع البنك الدولي أنّ العمل يحتلّ صدارة أسباب الهجرة الداخلية في تونس، بنسبة 64 بالمئة.

فارق معدل الفقر

تبرز فوارق كبيرة بين المدن والمحافظات التونسية بحسب مؤشرات البطالة والفقر وحصّة المناطق من سوق التشغيل إضافة إلى توزيع المؤسّسات الاقتصاديّة والاستثمارات العامة والخاصّة. حيث يتسّع الفارق في معدّل الفقر بين إقليم الشمال الشرقي الأكثر جذبا للوافدين وإقليم الوسط الغربي لينا هز 22 بالمئة عام 2012. كما يبلغ الفارق في معدّل البطالة بين إقليم الجنوب الغربي وإقليم الشمال الشرقي ما يفوق 15 بالمئة الأمر الذي يغري الشباب بالمغادرة.

وتتمثل المشكلة الأساسية لمواجهة الفقر، في غياب الخطط الإنمائية المتكاملة لتقديم حلول في مجالات البنية الأساسية وتوفير الحوافز لتشجيع المبادرة الخاصة وإنشاء المشاريع بالمناطق المحرومة التي من شأنها إيجاد فرص عمل للشباب.

ويحتكر إقليم الشمال الشرقي وتونس الكبرى ما يقارب 25 بالمئة من مواطن الشغل، في حين لم تتعد هذه النسبة الثلث في الأقاليم الغربيّة.

ويقضي غالبية شباب الأرياف والمناطق الداخلية وقتهم في المقاهي نظرا لانتشار البطالة وغياب التنمية والعزوف عن العمل الفلاحي إلى جانب غياب وسائل التثقيف والترفيه. وهو ما يفسر ضجر الكثير منهم ونزوحهم إلى المناطق الساحلية والمدن الكبرى والعاصمة بحثا عن العمل وكذلك عن خدمات صحية وترفيه أفضل.

ويؤكد الباحثون في مجال علم الاجتماع أن البطالة تلعب دورا هاما في انتشار ظاهرة النزوح من الريف إلى المدينة نتيجة لعدم توازن التنمية الاقتصادية والاجتماعية بين المناطق.

وتفيد معظم الدراسات أن الأسباب الحقيقية الكامنة وراء الهجرة الداخلية تتمثل إجمالا في البحث عن فرص العمل ومواصلة الدراسة والتقارب العائلي غير أن تحديد هذه الأسباب كان دائما خاضعا لنماذج إحصائية تعتمد على دراسة العينات والاقتصار على دراسة الجانب الاقتصادي كدافع رئيسي للتحرك السكاني داخل البلاد، لكن مع تطور الأبحاث والمناهج التحليلية فقد بدأت تتشكل ملامح متغيرات أكثر دقة أهمها السعي للقرب من مراكز القرار والبحث عن تجاوز عقبات ضعف الإدارة في تونس منذ عدة عقود.

كما أن المجتمع تغير بعد الثورة مما نتج عنه زيادة في معدلات التنقل والنزوح من الأرياف إلى المدن الساحلية والعاصمة بالإضافة إلى زيادة في مؤشرات الفوارق الاجتماعية في المناطق المختلفة. وسارت الحكومات المتعاقبة على خطى بعضها بالتركيز على تنمية الشريط الساحلي وهمشت الجنوب والشمال الغربي لذلك يحاول الشباب في هذه المناطق البحث عن عمل وتحسين ظروف العيش من خلال تنقلهم إلى المدن الكبرى التي تتوفر فيها فرص عمل أفضل حسب اعتقادهم من الأرياف.

احتمال الفشل

وتعتبر الأقاليم الغربيّة مناطق منفّرة لرؤوس الأموال الخاصّة، ومهمّشة من قبل الدولة التي حرمتها من الاستثمار العام. حيث لم تتجاوز حصّة الشمال الغربي من الاستثمارات العمومية والخاصّة عام 2012 نسبة 4 بالمئة. بينما بلغت هذه النسبة في السنة ذاتها 48 بالمئة في الشمال الشرقي للبلاد.

وتزيد تقلبات السوق وقلة المعرفة لدى الشباب في الريف بالعمل التجاري من احتمال الفشل، وخصوصا بالنسبة للحاصلين على قدر ضئيل من التعليم، ولهم القليل من المهارات يجدون من الصعب عليهم التنافس مع الشركات في المناطق المهمشة. وحتى عند انتقالهم إلى المدن، يشتغل الكثير من الشباب القادمين من الريف بأعمال يدوية منخفضة الأجر، وغير رسمية، مثل أعمال النظافة، والأمن، وأعمال البناء.

المفارقة أن غالبية الشباب في الأرياف يشتكون من قلة فرص العمل في حين أن قطاع الفلاحة خاصة في مواسم الجني تعاني من نقص بل ندرة في اليد العاملة، ويلجأ أصحاب المشاريع الفلاحية للنساء للقيام بأعمال جني المحاصيل، أو الأعمال الأخرى مثل إزالة الأعشاب الطفيلية والزراعة، ورغم أنّ الأجر الفلاحي للرجال أعلى مقارنة بالنساء فإن القطاع يعاني من عزوف الشباب عنه.

ويقول أصحاب المشاريع إن موسم جني الزيتون لوحده يتطلب ما لا يقل عن 120 ألف عامل خاصة وأن 80 بالمئة من عمليات الجني تتم بالطرق التقليدية لكنّ الفلاحين لا يجدون اليد العاملة الكافية ما يجعلهم يلجأون لتشغيل النساء ولا يقتصر النقص على هذا المجال فقط بل أيضا في جني الطماطم والتمور وغيرها من المنتوجات والأمر نفسه في قطاع البناء.

كما يلجأ المستثمرون في الزراعة إلى حل آخر وهو توظيف الأفارقة المتواجدين بتونس في الأعمال الفلاحية خاصة عند جمع المحصول. ورغم أنه لا توجد أرقام دقيقة حول عدد الأفارقة في تونس بما في ذلك الذين يتم توظيفهم في مختلف الأشغال المجهدة إلا أنّ العدد يتزايد وصار مرتفعا خاصة في السنوات الأخيرة.

وبسبب عدم شرعية إقامتهم في تونس يقبل العمال الأفارقة على العمل في شتى المهن والأعمال خاصة التي تصنف كونها شاقة أي التي يعزف عنها الشباب التونسي.

ويقول محسن السيد الخماري باحث علم اجتماع إنه رغم الجدل القائم حول الأرقام والإحصائيات التي كشف عنها معهد الإحصاء عام 2016، والتي تفيد أن الفقر سجل تراجعا بين 2010 و2015 بحوالي 5 بالمئة، إلا أن الفقر يعدّ أكبر معضلة في البلاد بعد مرور أكثر من ستين سنة على الاستقلال.

تداعيات ديموغرافية

تسبب ارتفاع نسبة النزوح في تداعيات سلبية أهمها الاختلال الديموغرافي والاقتصادي والاجتماعي، وتعمق التفاوت بين المناطق... كما أن الهجرة الداخلية لا تخلو من صدام بين سكان المدينة الأصليين والنازحين واختلاف طرق العيش وصعوبة الحصول على عمل للشباب الوافدين وارتفاع كلفة المعيشة والاكتظاظ والضغط مما يجبر فئة واسعة منهم على البحث عن الربح السريع عبر الانخراط في شبكات الانحراف والسرقة والمخدرات... وذلك نتيجة الشعور بالظلم والعجز واختلاف الطباع مع سكان المدن.

وتؤكد الدراسات الاجتماعية أنه كلما كانت الفوارق الاجتماعية كبيرة بين المواطنين زادت نسب الجريمة وهو ما يحدث في بعض المناطق التي تعاني من هذه الظاهرة.

من ناحية أخرى، فإن تفاقم هذه الظاهرة يسبب تضخم المدن خصوصا على المدى البعيد، ما يجعل من رفع التحديات على مستوى التنمية البشرية أمرا معقدا إلى حد ما خاصة توفير الشغل والمسكن اللائق والعدل على مستوى توزيع الثروة بين جهات البلاد.

ويقول الباحثون إن المشكلة لا تخص تونس وحدها، إذ إنها مشكلة عالمية في مختلف دول العالم، ومفتاح الحل هو إشراك المواطنين؛ فالمبادرات التي تنطلق من القاعدة إلى القمة تقوم بدور "مُعزز للتماسك الاجتماعي"، حيث تشجع الناس على العمل، وعلى سبيل المثال، تنظيم جمعيات في شكل أسهم لتربية الماشية وزراعة الخضراوات. ويمكن لهذه الأراضي أن تحسِّن من ظروف الزراعة والمحاصيل.

العاصمة تحتل أكبر نسبة في استقبال الشباب بسبب توفر خدمات أفضل في النقل والتعليم والصحة مقارنة بحياة الريف

وتحظى مشكلات الريف بقدر أقل من الدراسة عن تلك المناطق الحضرية التي تجذب العلماء وأغلب الباحثين، إذ تتوافر فيها الأموال، ويُنظر إليها على أنها أكثر محورية للتنمية من المناطق الريفية.

وتحتاج المجالات الأكاديمية التي تركز على مشكلات الريف – مثل المرونة، وتجميع الأراضي، والمحافظة على التراث الثقافي، وتخفيف حدة الفقر والكوارث – إلى المزيد من البحوث. وهناك حاجة إلى مناهج وتقنيات علمية لاقتراح أفضل الاستراتيجيات لتحسين البنية التحتية، وأنماط الزراعة.

وينبغي على الحكومات تعزيز التوسع الريفي، جنبًا إلى جنب مع التوسع الحضري. كما يجب أن يتمتع قاطنو القرى والمدن بالمساواة في الحقوق من حيث الحصول على الموارد، والخدمات العامة، والرخاء الاجتماعي.

ويحتاج سكان الريف إلى منصات، يمكنهم من خلالها الحصول على عمل، أو إنشاء أعمال خاصة، مع رعاية عائلاتهم ومزارعهم في الوقت ذاته. ويمكن للمدن الصغيرة والبلدات أن تقوم بدور الجسر الذي يتم عن طريقه توصيل خدمات التعليم والصحة والمعلومات والخدمات الإدارية إلى القرى النائية.

ويجب على الحكومات المحلية أن تقوم بتطوير استراتيجيات لجذب المشروعات والأعمال، مع تقديم امتيازات ضريبية، وتخفيض أسعار الأراضي، بل وتقديم أراض بالمجان.

حياة الريف القاسية

العرب
الأحد 2019/05/05
السنة 41 العدد 11339

العنف ضد المرأة.. بين الدين وإغفال الزمن

المتأدلجون يربطون الفساد في المجتمعات باعتماد القوانين الوضعية

تثير مسألة ضرب الرجل لزوجته الكثير من الجدل داخل المجتمعات المسلمة، ففي حين توظف الأوساط المتأدلجة الآيات القرآنية من أجل تعزيز الثقافة الذكورية ودونية المرأة ووصاية الرجل عليها، يتمسك المستنيرون بضرورة احترام القوانين الوضعية التي تجرم العنف ضد المرأة من منطلق أنه في العصر الحالي ترسخت ثقافة المساواة بين الجنسين وحفظ كرامة المرأة وأنه لا مجال للعودة إلى الوراء. لكنّ المتمسكين بوجوب ضرب المرأة وجدوا في البعض من المنابر الإعلامية فرصة لبث أفكارهم وشرحها وحتى ترويجها مدعومين بشبكة ممن يشاركونهم الاعتقاد في التفضيل الاجتماعي والديني.

زمن جديد لا تنتهك فيه كرامة المرأة

زيد بن رفاعة

عندما يتفاعل متنورو المجتمع مع حقوق النساء يدركون أن الأمر لا يتعلق بجانب واحد دون غيره؛ إنما التمييز بين المرأة والرجل منظومة كاملة، تبدأ بالتفضيل الاجتماعي والديني، في الإرث والمعاملة بشكل عام، ثم حق الرجل في ضرب زوجته في حالة عصيانه، إلى الغضب عليها إذا لم تطعه في أوامره ونواهيه، إلى التمييز في المصافحة، فالمتدينون عادة وعلى وجه الخصوص لا يصافحون النساء.

وهذا إلى جانب منح الرجل منزلة عليا مقابل منزلة المرأة الدنيا. فأما عن إبطال الوضوء حسب الآية "إذا لامستم النساء" فالأمر له علاقة بالمعاشرة وليس المصافحة حسب رأي أبي حنيفة النعمان، أحد أبرز أئمة الفقه السُّني، وهو نفس رأي شيخ الطائفة محمد بن جعفر الطوسي، مرجع الشيعة في زمانه. لكن لا يعني هذا أن السُّنة الأحناف والشيعة، داخل منظومة الإسلام السياسي، قد التزموا بهذا الرأي.

> قناة بي.بي.سي عربي بثت مقطع فيديو لرجل دين قطري وأجرت معه مقابلة تاركة له الحرية لمزيد شرح وتثبيت وجهة نظره التي تشجع على وجوب ضرب المرأة

تثار في هذه الأيام في أكثر من مجتمع مسألة العنف ضد المرأة، حيث يجد الرجال مبررا دينيا للضرب حسب الآية الرابعة والثلاثين من سورة النساء "وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا".

لكن هذا الضرب يحاول الفقهاء التخفيف منه عندما يقولون الضرب "غير المبرح" أي غير الشديد الذي لا يترك أثرا. وربطت الآية الضرب بالمضجع والنشوز أي عدم الطاعة. واختلف الفقهاء في تفسير "الهجر" فمما قاله المفسر والمؤرخ محمد بن جرير الطبري في تفسيره أن الهجر يعني الربط بالحبل، فيُقال هجر البعير أي ربطه أو قيّده، وكذلك الهجر يعطي معنى الترك، لكن إذا كانت النية الترك فلماذا الضرب، ومعلوم أن إجازة الرجل في ضرب المرأة لأجل طاعتها له، أي عدم منعه منها في الفراش.

ورد في صحيح مسلم عن الصحابي جابر بن عبدالله عن النبي محمد أنه قال في حجة الوداع "اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ". غير أن هذا الحديث يوسع عقوبة الضرب التي يختص بها الرجل على زوجته إلى خيانتها، وأيضاً يكون الضرب غير شديد، بينما عقوبة الزنا للمحصنين أي المتزوجين الرجم في المذاهب كافة، مع أن الرجم لم يرد في القرآن.

أكدت أيضا "الموسوعة الفقهية" على وجوب الضرب غير المبرح، وغير المؤذي وأن يتوقى فيه الوجه والأماكن الحساسة، لأنّ المقصود منه التأديب لا الإتلاف؛ وهذا الحكم ورد وفقا للحديث المذكور. بينما يشترط فقهاء الحنابلة ألاّ يتجاوز الضرب عشرة أسواط، وذلك للحديث الذي يقول "لا يجلد أحدٌ فوق عشرة أسواط إلا في حدّ من حدود الله"، والحدود معروفة تنفذ في الزنا والسرقة. لكن ليس على الرجل من عقوبة إذا زاد الضرب إلى الضرب المبرح، إنما يُترك لعقاب الله في الآخرة، وكأن الضرب ليس قضية جنائية. وذلك عندما يُشير الفقهاء بالقول "ليعلم الزوج وغيره أن من ضرب غيره سوطاً بغير حق فإنه متوعد عليه بالعقوبة يوم القيامة"، وهذا الـ"غير" على ما يبدو هو العبد والزوجة، فمن حق الرجل عِقابهما لأنهما ملكه الخاص.

نص محدود في الزمان

يُنقل عن راوي الحديث المشهور أبي هريرة "مَنْ ضَرَبَ سَوْطاً ظُلْماً اقْتُصَّ مِنْهُ يَوْمَ القِيَامَة". فلا يجوز الضرب على الوجه، وفق الحديث المروي عن مُعَاوِيَةَ بن حَيْدَةَ الْقُشَيْرِيِّ "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قَالَ: أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ أَوْ اكْتَسَبْتَ وَلَا تَضْرِبْ الْوَجْهَ وَلَا تُقَبِّحْ وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ".

ويرى البعض أنه على الزوج أن لا يلجأ إلى الضرب إلا عند الضرورة وعند الحاجة وعند عدم جدوى الوسائل الأخرى؛ لأن هذا الفعل قد يغيّرها عليه أكثر وقد يفسد أخلاقها ويسبب فراقها ويثير أهلها أيضاً، ولاسيما في هذا العصر، إذ يسبب الضرب تبعات ومشكلات كثيرة، فينبغي للزوج أن لا يعجّل وأن لا يسارع إلى الضرب إلا عند الحاجة وفي حالة أمن العواقب السيئة.

على العموم يُجمع الفقهاء، ومن المذاهب كافة، المتشددين منهم والمتنورين لا فرق، على أن "الضرب رخصة رخص فيها الله للتأديب إذا دعت الحاجة إليه مع ما قدم من الوعظ والهجر بشأنه، وليس من الأفضل أن يسارع إليه أو يفرح به، بل الأفضل أن يؤخر وأن لا يعجل جمعًا بين النصوص".

لكن تلك النصوص والممارسات لها زمن خاص بها ويصعب صلاحها للزمن الحالي، والقدماء قالوا "الأحكام تتبدل بتبدل الأزمان". فكيف يُشرع ضرب المرأة في حالة نشوزها أو عصيانها لزوجها؟ وإلى أي مدى يتصل رأي الفقهاء هذا بالعنف الدائر ضد المرأة، والذي تواجهه اليوم منظمات دولية؟.

وبعد مضاهاة المرأة للرجل، في الوظيفة والتعليم والمكانة الاجتماعية، ما يمكننا قوله، إن العنف ضد المرأة حالة ذكورية مرتبطة بالدين وبالعشيرة أيضاً في مجتمعاتنا، فصار تأديبها بالضرب عرفاً اجتماعياً، إلى جانب أن تكون المرأة ضحية نزوات الرجل وانفعالاته.

ومن العجيب أن أحدهم، وهو من حزب ديني، قال إن المرأة لها حقوق كاملة بدليل أن من حقها طلب أجرة رضاعتها لابنها من زوجها! فعلى ما يبدو فإن هذا خذلان آخر للمرأة وحقها في الأمومة، عندما تكون أجيرة عند زوجها للرضاعة أو تربية ابنها.

لا نجد من الفقهاء مَن يتحدث عن وقف تنفيذ نص الضرب، على اعتبار أنه جاء حكماً قرآنياً، وأن الأفضل بينهم، والذي يُقدم نفسه منفتحاً، يشير بالضرب غير المُبرح، من دون أن يعي أنّ ضرر الضرب ليس في ألمه الجسدي وإنما في ألمه النفسي، فهو إهانة تجرد المرأة من إنسانيتها. وكانت قناة "بي. بي.سي عربي" البريطانية قد قدمت حلقة من برنامجها "ترندينغ" عن ضرب المرأة في الإسلام (بداية أبريل 2019)، وكي لا تُتهم بالانحياز ضد الإسلام، فهي لم تُقدم البرنامج لنقد الممارسة أو النصوص الدينية التي أباحتها، إنما عرضت فكرة أحد المتدينين القطريين، والذي بث على موقع يوتيوب فيديو تحدث فيه عن وجوب ضرب المرأة. وأجرى البرنامج مقابلة مع صاحب الفيديو وسمح له بتوضيح فكرته وبالتعرض لما سماه بالعلمانيين أو المدنيين، مطالباً من على شاشة القناة البريطانية بإسقاط القوانين الوضعية، على اعتبار أن الحق هو ما جاء به القانون الإلهي بخصوص المرأة.

> الإشارة إلى الضرب غير المبرح تنم عن عدم وعي بأن ضرر الضرب ليس في ألمه الجسدي إنما في ألمه النفسي، فهو إهانة تجرد المرأة من إنسانيتها

ويظهر في مقطع الفيديو، الذي بث على يوتيوب، المستشار الأسري والخبير الاجتماعي ومدير مركز تنظيم الزواج في قطر عبدالعزيز الخزرجي الأنصاري في مشهد تمثيلي صغير مع طفل دون أن تظهر ملامح وجهه فيضربه على أكتافه بطريقة سماها "الضرب المباح" ويهز يده ويخاطبه على أساس أنه زوجته فيقول "قلت لك لا تخرجي من البيت دون إذن"!

وشرح الخزرجي وجوب ضرب المرأة حسب النص القرآني، الذي تلاه المذيع في بداية البرنامج. كما أكد أن الرجل لابد أن يستعرض قوته على زوجته "بالضرب غير المبرح" بعد أن يهجرها في المضجع.

وقال مُقدم البرنامج، كذر للرماد على العيون، "نحن لا نتبنى ما يقوله". صحيح أن محطات الراديو والتلفزيون والفضائيات والصحف والمجلات كافة تكتب في هوامشها عبارة "نحن غير مسؤولين عن الأفكار الواردة"، وهذا ما قاله المُقدم، لإبعاد الفضائية عن المسؤولية الأخلاقية على الأقل.

لكن كيف نفهم أن القناة الفضائية لا تتبنى وجهة النظر السياسية الدينية، والتي لم تكن بعيدة عن فعل الإسلاميين وسياساتهم، فهي لم تكتف ببث مقطع الفيديو إنما أجرت أيضا مقابلة مع صاحبه وتركت له الحرية لمزيد شرح وتثبيت وجهة نظره تجاه المرأة، والتي تشجع على وجوب ضربها.

وبطريقة ما روّج البرنامج لانسجام النصوص القرآنية مع مستجدات العصر، دون الأخذ في الاعتبار علم "أسباب النزول" لتوضيح ما ورد في الآية الـ34 من سورة "النساء" والتي تقول "وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ".

وكان البرنامج قد استهل بعرض غلاف كتاب "نشوز الزوجة أسبابه وعلاجه في الفقه الإسلامي" للأزهري علي محمد قاسم، الذي يشرح الآية المذكورة.

كذلك لم يستضف البرنامج شخصا آخر من أهل العلم أو الفقه ليرد على ضيفه الأنصاري، إنما اكتفى بعرض تغريدات للبعض من النساء البسيطات على مواقع التواصل الاجتماعي، لم يستطعن مجادلة ضيف البرنامج بشكل عميق.

شرح الأنصاري وجهة نظره وكيف أن الرجل لابد أن يثبت قوته وجبروته على زوجته، بعد أن صنف النساء إلى مَن تحب الضرب وإلى مَن تنتفع بالكلام ناسبا ذلك الكلام لرواة الحديث، مؤكدا على أن هذا الأمر بحسب تعبيره "من الدين القويم".

توظيف مضلل

هاجم ضيف البرنامج من سماهم بالعلمانيين، وربط الفساد في المجتمعات إلى اعتماد القوانين الوضعية وترك قوانين الله. لكن هل يعتقد المشرف على برنامج "بي.بي.سي عربي"، أنه مرّر ما أراد بعبارة "لا نتبنى رأيه"، وهل من المعقول أن بريطانيا تصرف الأموال الهائلة على هذه القناة كي يستغل البعض من المؤدلجين دينيا الفرصة لجعلها وسيلة لبث ما يريدون كلما أتيح لهم ذلك؟!

نراها سقطة في أداء هذه القناة، بأن تساهم في إشاعة ضرب المرأة تحت ذريعة الحرية من خلال عرض ما يشاع. كما أنها سقطة أيضا أن يؤتى بطفل لتمثيل الضرب "غير المبرح"، ومعلوم أن ضرر الضرب ليس في ألمه إنما في الموقف نفسه. فقد تضرب طفلا ضربا شديدا وهو يضحك، لكن قد تضربه بما لا يترك ألما وأنت غاضب فيحس بالإهانة والألم النفسي.

لو كان البرنامج سياسيا ربما لقبل العذر، وليتكلم الإخواني بما يُريد ضد العلماني، ولكن البرنامج لم يكن كذلك، إنما كان يتبنى فكرة دينية – دسها مَن دسها في القناة وما أكثر الدسائس من أصحاب العقائد- ليس لمحاربتها بكشفها إنما لإشاعتها في المجتمعات الإسلامية ذات المد الديني السياسي.

هذا وتبقى لنا كلمة في "بي.بي.سي" وتاريخها، وما تحولت إليه في قضية ضرب المرأة، فقد مرت الذكرى الـ81 على انطلاق إذاعة بي.بي.سي عربي (راديو لندن)، وخلال تلك الفترة، أي منذ بداية الحرب العالمية الثّانية، غدت موقع إلهام لجمهور عربي واسع. فالخبر الذي تبثه هذه المحطة محل ثقة، قياسا بالإذاعات المحلية، إلى جانب البرامج التنويرية الفكرية منها والأدبية، مع عدم تبرئة أي وسيلة إعلام من الميول والاتجاهات، لكن يبقى الاختلاف في الأسلوب وتدبير صناعة الخبر الموجه. لهذا استولت إذاعة لندن العربية على ذائقة الجمهور، مع الاعتقاد بانحيازها لمعسكرها، ومَن يشكك بالأخبار أو البرامج السياسية التي كانت تذيعها، لم تفته البرامج الفكرية والفنية على الأقل.

بعد تكاثر الفضائيات تراجع "الراديو" كثيرا، ولم تبق إذاعة لندن نفسها بذلك الألق، مع عدم نسيان محاولات العاملين المتنفذين فيها، من العرب والمسلمين المسيسين، لنقل عقائدهم الحزبية القومية والدِّينية عبرها، وهذا كان ملموسا بالنسبة لتأثير الجماعات الدينية، استغلالا للديمقراطية وحرية الرأي في بريطانيا.

هذا بالنسبة لراديو "بي.بي.سي" العربي، أما ما يخص فضائية "بي. بي.سي عربي" فهي لم تواكب الإذاعة البريطانية، فآنذاك لم تكن إمكانية البث التلفزيوني متاحة خارج رقعة البلد الجغرافية، قبل تطور تقنيات البث الفضائي واستخدام الأثير في نقل الصورة. ومع ذلك انطلقت متأخرة (2008) مقارنة بفضائيات عربية أخرى ظهرت في مطلع تسعينات القرن الماضي، وفي مقدمتها فضائية "أم. بي.سي".

بدأت "بي.بي.سي عربي" البث، لكنها لم تكن منافسة لفضائيات كبرى بالمنطقة، إنما ظلت ومازالت محدودة قياساً بغيرها. ولكي تؤكد أنها غير منحازة تأتي بالمتنازعين على شاشتها، مع عدم نجاحها في إخفاء الانحياز، على أساس الدفاع عن الديمقراطية، التي لا تفهمها القوى الدينية السياسية بالمنطقة العربية خصوصاً والإسلامية عموماً، وهذا ما حصل في معالجتها للحالة المصرية، ثم السودانية بعد الانقلاب على الإخوان في البلدين، بمعنى أن هناك من المؤثرين وراء الستارة في توجيه البرامج والأخبار.

لكنها غير معذورة في انحيازها، فهي ليست ملك جماعة أو حزب وليست قناة فضائية معارضة، لذا يُطلب منها الحياد أكثر من غيرها، وليس الحياد السلبي، فلا عذر في الوقوف إلى جانب القوى الدينية السياسية التي فتكت بالبلدان، ومنها بريطانيا نفسها جراء تفجيرات وعمليات إرهابية جاءت من تلاميذ وأحفاد الإخوان المسلمين. ففكرة الإسلام السياسي المعتدل فكرة مشوشة وخيالية، إذ لا عذر للفضائية المذكورة في حيادها أمام الجماعات المتطرفة.

العرب
الأحد 2019/05/05
السنة 41 العدد 11339

أسر تتمسك بعادة المهر على حساب رغبات الأبناء

شروط مجحفة تدفع الشباب إلى صرف النظر عن الزواج

لم تتخلّ العديد من العائلات العربية عن عاداتها وتقاليدها خاصة منها تلك المرتبطة بالزواج، وما زال المهر وهو إحدى هذه العادات من بين أهم أركان الزواج في غالبية المجتمعات العربية. وترتضي بعض العائلات بمهور رمزية وشكلية فيما تهتم غيرها بالقيمة المادية للمهر والمطالبة به كما جرت العادة التي توارثتها الأجيال، وتعدّ المغالاة في المهر إحدى المشكلات التي تنفر الشباب اليوم من الزواج.

سلمى جمال

الحب قد يضعف أمام المال

تشترط بعض العائلات على المتقدم لطلب يد إحدى بناتها للزواج مهرا مكلفا، حيث يرتبط ذلك في الوعي الجماعي بقيمة البنت لدى أسرتها وكذلك في نظر زوج المستقبل وأهله، لكن شباب اليوم الذي يعاني من البطالة ومن ارتفاع تكلفة الارتباط قد يعجز عن الإيفاء بشروط هذا المهر، ما يجعله يصرف عن ذهنه فكرة الارتباط. ويعتبر المختصون في علم الاجتماع والباحثون في أسباب تأخر سن الزواج في أغلب المجتمعات العربية اليوم المهر أحد أهم الأسباب التي تساهم في عزوف الشباب عن الارتباط بفتيات ينتمين لأسر تقليدية متمسكة بشروط المهر.

يقول حمدي، مهندس، "الشاب المقبل على الزواج مطلوب منه تأمين السكن المناسب وتقديم الشبكة والمهر إلى جانب قيمة السكن، وبالطبع في الوضع الراهن الذي تعاني فيه أغلبية المجتمعات العربية من أزمة اقتصادية خانقة لا يقدر معظم الشباب على تلبية المتطلبات والشروط المجحفة التي تفرضها بعض العائلات".

> المهور أصبحت مرتفعة لأنها دائما تتأثر بالمكانة الاجتماعية والأعراف والتقاليد إلى جانب اتباع الموضة والمظاهر

ويرى محمد خالد، طبيب، أن المهر عادة ما يكون مبلغا ماليا ضخما، لذلك فإن تساهل أهل الفتاة في مسألة المهر من شأنه أن يحفز إقبال الشباب على الزواج، بدلا من أن ازدياد نسبة العنوسة.

ويؤكد محمد جمال، مدرس، "مطلوب من أي شاب لكي يتزوج تأمين المسكن مع الأثاث، فضلا عن المهر الذي عادة ما يكون مكلفا جدا إلى جانب مصاريف حفلة العرس، وهذا ما يدفع بعض الشبان إلى إنهاء علاقاتهم العاطفية عندما تبدأ عائلة الفتاة في وضع قائمة من مستلزمات المهر".

من جانبه يشير المأذون الشرعي طارق محمود، إلى أن مقدار المهر يتوقف على قدرة الراغب في الزواج، فمن الطبيعي أن يدفع الثري مهرا تفوق قيمته ما يدفعه الفقير بكثير، وأيضا من العوامل التي تؤثر في تحديد مقدار المهر كون المرأة ستتزوج للمرة الأولى أم سبق لها الزواج، وهذا ما تعمل به العديد من الأسر العربية.

ويتابع محمود، تختلف قيمة المهر في الريف عنها في المدن، كما أنها تختلف أيضا حسب الوضع الاجتماعي للأسرة، إلا أنه عموما على العريس أن يوفر الشقة أولا، ما يمثل بدوره مشكلة كبيرة عند أبناء الطبقة المتوسطة والفقيرة، ويكون التسهيل بعد ذلك في أمور كثيرة، حيث يشارك أهل العروس في إعداد الأثاث، أما في الريف فيشترط أهل العروس الشبكة، ومن الطبيعي ألا يستطيع أغلب الشبان تحمل ذلك في ظل الرواتب البسيطة الرائجة اليوم، ولذلك ارتفع متوسط سن الزواج وهو ما أدّى في الفترات الأخيرة إلى تخلي بعض العائلات عن الشروط والمهور.

ويعلق الخبير الاجتماعي علي حسين عن الأبعاد الاجتماعية لغلاء المهور قائلا "مع الأسف، معظم المجتمعات العربية تنظر إلى المهر وكأنه تعبير عن التقدير الاجتماعي، فكلما كان المهر عاليا كلما دل على مكانة الأسرة وعراقتها فضلا عن جمال العروس . ويضيف حسين "في رأيي مرجع هذه الأفكار عادات سادت قديما لكنها ما زالت موجودة بشكل أو بآخر في مجتمعاتنا العربية، بالرغم من أن الاقتصاد في المهور ييسر للشباب الزواج بدلا من العزوف عن الزواج الذي يؤدي إلى انتشار العنوسة بين الفتيات".

ويقول أستاذ الدراسات الاجتماعية سعيد حنفي إن المهر كما هو معروف مقدار من المال يدفعه الراغب في الزواج إلى ولي المرأة التي يرغب في الزواج منها ومن الطبيعي أن تختلف قيمة المهر تبعا لحالة العروسين وعائلتيهما المادية وتبعا لوضع المجتمع اقتصاديا؛ ففي المجتمعات الريفية الخالصة كان المهر يتمثل في عدد من رؤوس الحيوانات إلى جانب أشياء أخرى أو مبلغ مالي متعارف عليه، ولكن في المدن يختلف المهر بعض الشيء، حيث التجارة منتشرة والنقود والمعادن شائعة الاستعمال لذلك يتمثل المهر أحيانا في مبلغ من النقود أو معادن ثمينة.

ويتابع حنفي أن المهور الآن أصبحت مرتفعة جدا، لأنها دائما تتأثر بالمكانة الاجتماعية والأعراف والتقاليد إلى جانب اتباع الموضة والمظاهر سواء كان ذلك في المسكن أو الأثاث أو حتى الاحتفالات والولائم التي تتكلف الشيء الكثير، ما يثقل كاهل الشاب وأهله، وبالطبع يعتمد الشاب في غالبية الحالات على مساعدات الأهل في توفير المهر، لأن دخله لن يسمح له بذلك، لذا كثيرا ما نجد الأهل والأصدقاء يتعاونون مع بعضهم للمشاركة في دفع المهر للعريس المقبل على الزواج.

ويعتبر استشاري الطب النفسي عبدالرحمن عمر، أن المشكلة في بعض العادات مثل المهر والتي يحرص عليها بعض أفراد المجتمع أنها يجب أن تكون مرتفعة القيمة حتى يمكن لهم التفاخر والتباهي بها أمام الأقارب والجيران.

ويقول عمر "المسألة يجب أن تقوم على أسس أخرى تراعي موقف الشاب المقبل على الزواج وميزانيته ودخله المادي إذ يجب أن تتفهم أسرة البنت ذلك وتساند الشاب ولا ترهقه بالمهر المرتفع وهذا يتطلب أن ينظر الأهل إلى الأمور نظرة شاملة بما فيها تطور نمط المعيشة اليوم، ويجب أن تتغير العادات والتقاليد القديمة ويكتسب المجتمع عادات جديدة تناسب الشباب".

ولا تزال العديد من العائلات تطنب في الشروط بالرغم من تغير العديد من المعطيات الثقافية وبالرغم من عدم تأييد الشباب لهذه الشروط واتباع العادات والتقاليد القديمة في الزواج التي تصعب عليهم الارتباط وتجعل الإقدام على الزواج بمثابة النهاية للعلاقة العاطفية وللحب والأحلام، لكن يعجز العديد من الشباب عن التصدي لهذه العادات أمام تمسك الأهل بها، فيجدون أنفسهم إمّا مجبرين على اتباعها أو يختارون العزوبية وعدم التفكير في الزواج.

الثرثرة تعزز ذكاء الأطفال وتطور مهاراتهم

لندن - وجدت دراسة بريطانية حديثة أن ثرثرة الوالدين تعزز ذكاء أبنائهم، وحقق الصغار الذين أجرت عائلاتهم محادثات من حولهم معدلات ذكاء أعلى ومهارات إدراكية أفضل من أقرانهم.

ويمتلك الأطفال، الذين تتراوح أعمارهم بين سنتين وأربع سنوات، مهارات غير لفظية مثل التفكير وإدراك العدد والتفريق بين الأشكال. بالإضافة إلى ذلك، خلصت الدراسة إلى أن الأطفال الذين تفاعلوا مع البالغين الذين يستخدمون مفردات متنوعة يعرفون مجموعة أكبر من الكلمات.

ويرجح الباحثون أن تعرض الأطفال إلى اللغة يدفعهم إلى تعلم معنى الكلمات والعبارات التي يسمعونها.

وقام فريق البحث من جامعة يورك بتركيب مسجلات صوتية صغيرة في ملابس 107 أطفال تتراوح أعمارهم بين سنتين وأربع سنوات. وسجلت الأجهزة تفاعلهم مع عائلاتهم وحاضنيهم الآخرين في المنزل على مدار ثلاثة أيام، لمدة تصل إلى 16 ساعة في اليوم.

وطلب من الآباء الاشتراك في بعض الأنشطة مع أطفالهم، مثل الرسم والنسخ والربط، وصممت هذه الأنشطة لاختبار المهارات المعرفية للأطفال.

وتقول كاترينا ديبيس، مؤلفة الدراسة الرئيسية "يرتبط عدد الكلمات التي يسمعها الأطفال إيجابيا بقدراتهم المعرفية. وقد سمحت لنا مسجلات الصوت بدراسة تفاعلات في الحياة الواقعية بين الأطفال الصغار وعائلاتهم دون أن نتدخل في البيئة المنزلية".

مع ذلك، ما زالت هناك حاجة إلى إجراء المزيد من البحوث لاستكشاف الأسباب الكامنة وراء هذا الرابط. وحللت الدراسة أيضا التسجيلات للنظر في تأثير أنماط الأبوة والأمومة المختلفة على سلوك الأطفال.

وأوضحت ديبيس أن طرق التربية الإيجابية التي تشجع على الاستكشاف والتعبير عن الذات تنتج أطفالا لا يظهرون علامات الأرق والعدوانية والعصيان.

وقالت الباحثة صوفي فون ستوم، التي تنتمي إلى نفس الجامعة "تشمل هذه الدراسة أكبر ملاحظة طبيعية لبيئة الحياة المبكرة في المنزل حتى الآن".

وسجلت الدراسة تفاوتا في نسبة الكلمات التي يسمعها الأطفال داخل العائلات. وتبرز أهمية التعامل مع تجارب الحياة المبكرة ككيانات ديناميكية ومتطورة بدلا من اعتبارها كيانات ثابتة.

وأضافت فون ستوم "يساعدنا البحث بهذه الطريقة على فهم التفاعل بين التجارب البيئية واختلافات الأطفال في النمو". وتتزايد الدلائل التي تبين تأثير اللغة على نمو الدماغ في وقت مبكر عمّا كان يعتقد سابقا. وكشفت دراسات سابقة أن تعلم لغة ثانية في سن مبكرة يعزز قدرات الطفل العقلية، وأجريت دراسة أميركية قبل ثلاث سنوات، بينت انتفاع المادة البيضاء (المكونة للجهاز العصبي المركزي) لدى الأطفال المعرضين إلى لغتين، حتى قبل عدم تمكنهم من النطق.

التنزه.. لعب وتعلم

وقال العلماء إن مجرد ترعرع الطفل في منزل يستمع فيه إلى أكثر من لغة يمكن أن يحسن مهاراته الفكرية ويعزز ذاكرته.

وينصح الخبراء والمختصون في التربية الآباء بالحديث مع أبنائهم ومحاورتهم ويؤكدون أن الطفل الذي ما زال لم يتعلم النطق بعد يمكنه أن يفهم ويستوعب الكلام الذي يسمعه، وهو بالتالي يتفاعل معه كما يقوم من خلال هذه العملية بتخزين الحروف والمفردات في ذاكرته.

ويقدم العلماء العديد من الطرق التي تساعد الآباء والأمهات في تعليم صغارهم الكلام وتساهم في تنمية مهاراتهم اللغوية، وأشاروا أولا إلى أهمية نطق المفردات صحيحة أمام الطفل لكي يتمكن من تكرارها صحيحة مع تكثيف المحادثات معه وأمامه باستخدام لغة سلسة وبسيطة لكي يتمكن من التعلم أكثر.

وقدم موقع "ستاب تو هيلث" خمسة تمارين تساعدهم على النجاح تعتمد جلها على التعلم بأسلوب اللعب والمرح. أولا، نصح الآباء باصطحاب أبنائهم الصغار في مشاوير للتنزه حيث يكتشف الطفل أشياء جديدة بما يسمح له بإثراء مفرداته اللغوية ومعرفة أشياء جديدة لا يراها في البيت. هذه التجربة تبدو جديدة وثرية من منظور الطفل فهي تحفزه على الكلام والتساؤل ومحاورة أبويه. ويجب على الكبار أن يحاولوا تعريفه بما يراه من جديد ويتحدثوا معه عن الألوان والأشكال والأعداد مثلا.

وتعدّ قراءة القصص ثاني التمارين المهمة التي تسهل على الطفل تعلم المفردات والجمال ومحاولة فهمها من خلال الصور التعبيرية المصاحبة للحكاية والتي من شأنها أن تعلمه تنظيم أفكاره وتمكنه من التعرف على كيفية السرد المسترسل.

ثالثا، يمكن للوالدين الاستعانة بالصور والأشكال والمكعبات وهو ما يسهل عليهم وصف الأشكال وتقريبها للطفل حسيا بحيث يمكنه ملامستها والتفريق بينها، وهذه الطريقة يمكن استخدامها في الألعاب وحتى في الحياة اليومية أثناء الجلوس أو تناول الطعام.

وعندما يبدأ الطفل في النطق وتكرار المفردات يبدأ الوالدان بالتمرين الموالي وهو تعليمه الأسماء بدءا باسمه مرورا بأفراد العائلة ثم أجزاء الجسم ثم الأشياء والأنشطة المحببة له وغيرها.

ويشير الموقع إلى تمرين آخر يمكن أن يكون ذا فائدة كبيرة في تسهيل الكلام على الطفل وهي تعريفه بالحيوانات وأصواتها وهي لعبة يحبها الصغار ويمكن للآباء البدء بتقليد أصوات الحيوانات وتحفيز الطفل على ذلك بما يمكنه من رصد الاختلاف بينها وبين ما تصدره من أصوات.

نصائح

تجنب غسل لحم الطيور قبل طهيها

إذا كنت تريد التقليل من الإصابة بالأمراض جراء التسمم الغذائي خلال إعداد الطيور الطازجة، من المهم التعامل معها بعناية.

أولا، يجب دائما طهي الطيور حتى يصبح لون لحمها أبيض بالكامل ولا تكون فيها دماء على الإطلاق. وإذا لم تكن متأكدا، بالإمكان قياس درجة الحرارة بترمومتر اللحوم، ويجب أن تكون درجة الحرارة 70 درجة مئوية على الأقل.

ولضمان طهي اللحم بشكل متساو، يجب أن يذاب عنه الثلج بالكامل قبل الاستخدام، ويفضل أن توضع في الثلاجة من أجل هذا الغرض. وهذا يخفض من انتشار الجراثيم على سطحها.

ويجب ألا يتم غسل الطيور قبل طهيها نظرا لأن هذه العملية يمكن أن تنشر الجراثيم في المطبخ، وعند الاضطرار إلى غسلها، يجب على الفور مسح الحوض والأسطح المجاورة، وكذلك بعد انتهاء هذه العملية.

ويجب دائما غسل اليدين وتجفيفهما بعناية بعد التعامل مع اللحوم النيئة.

وينطبق نفس الأمر على أي أدوات استخدمت لإعداد اللحوم، ويجب غسلها بالمياه الساخنة وبوسائل التنظيف أو في غسالة الأطباق.

ويجب استخدام أدوات مائدة مختلفة للحوم النيئة والمطهية. وكذلك ألواح تقطيع منفصلة للحوم والخضروات. وهذا يقي ممّا يطلق عليه التلوث العابر، حيث تنتقل الجراثيم من اللحوم النيئة إلى السلطة على سبيل المثال.

موضة

أحدث صيحات المايوهات في صيف 2019

أفادت مجلة "بريجيت" الألمانية بأن موضة المايوهات تتسم في صيف 2019 بتنوع كبير لترضي كل الأذواق.

وأوضحت المجلة المعنية بالموضة والجمال أن المايوهات تزدان هذا الموسم بنقوش جذابة تخطف الأنظار كنقوش جلد الحيوانات الشرسة كجلد النمر وجلد الثعبان، ونقوش النباتات الاستوائية المبهجة ونقوش "البولكا دوتس الرومانسية.

كما تتألق بعض المايوهات بالمظهر الشبكي والفتحات (Cut-Outs) لتبوح بأنوثة المرأة وتمنحها إطلالة مفعمة بالإثارة.

وبالإضافة إلى ذلك، تتجمل بعض المايوهات بالكرانيش والكشكشة لإطلالة أنيقة تنطق بالفخامة.

العرب
الأحد 2019/05/05
السنة 41 العدد 11339

موسم مبهر لحكيم زياش مع أياكس

موهبة مغربية من رحم العنصرية والضياع إلى ملامسة المجد

حكيم زياش.. يتعقب خطوات نجوم الكرة العالمية

تم اختيار المغربي المتألق حكيم زياش لاعب أياكس امستردام الهولندي ضمن التشكيلة المثالية لذهاب نصف نهائي أبطال أوروبا. لم يأت هذا الاختيار عبثا، كون الأداء القوي الذي قدمه رفقة فريقه الهولندي ضد توتنهام الإنكليزي بملعب توتنهام هوتسبير. وتواجد بجانب زياش لاعبو نادي برشلونة الذين احتكروا التشكيلة المثالية بوجود 5 لاعبين وهم الحارس تير شتيغن وجيرار بيكي وجوردي ألبا وإيفان راكيتيتش وليونيل ميسي ولويس سواريز وثنائي أياكس فان دي بيك وفيلتمان، فضلا عن ألديرفيريلد مدافع توتنهام ومحمد صلاح لاعب ليفربول.

الرباط – يعيش الدولي المغربي، حكيم زياش، نجم أياكس أمستردام، أزهى فتراته حاليا، حيث أصبح حديث وسائل الإعلام الأوروبية، التي تناولت بعض الجوانب المظلمة من حياته. وكان زياش قد تحدى العديد من الظروف الصعبة، قبل أن يصبح أحد أبرز نجوم الكرة العالمية، كما بات على بعد خطوة واحدة، من بلوغ نهائي دوري أبطال أوروبا. لم يولد حكيم زياش في بيئة مترفهة، فقد نشأ داخل أسرة فقيرة، تتألف من 11 فردا. وولد زياش في ضاحية دروتن، في 19 مارس 1993، قبل أن يتعرض لصدمة فقدان والده وهو صغير السن، ليعيش مرحلة اكتئاب انطوى خلالها على نفسه.

> **زياش دخل التاريخ مؤخرا، كأول لاعب في الكرة المغربية، يسجل ثنائية في مرمى الكاميرون، وذلك لحساب تصفيات بطولة أمم أفريقيا 2019**

وتواصلت معاناة حكيم عندما سُجن أحد أشقائه، بتهمة السرقة والاعتداء، وهو ما انعكس سلبيا على سلوكياته، ليصير عدوانيا بعض الشيء. وبعدها أصبح حكيم مدمنا للمخدرات، بشكل كاد يدمر مستقبله، وفقًا لتقارير صحافية أوروبية، قبل أن يتدخل اللاعب السابق، عزيز ذو الفقار، أول مغربي احترف في صفوف أياكس، ليمد له يد المساعدة، ويلحقه بأكاديمية نادي هيرنفين.

ورغم موهبة زياش، إلا أن تداعيات الظروف الصعبة التي عاشها في طفولته، رافقته داخل الأكاديمية، ليتورط في شجار مع زملائه، ويتم طرده أكثر من مرة. ودائما ما كان يتدخل ذو الفقار، عرّابه الحقيقي، لينتشله من الضياع. وبعد تجربة هيرنفين، التقطه نادي تفينتي، لتشكّل هذه المحطة أهم انعطافة في مشواره الاحترافي، حيث جذب تألقه اهتمام المنتخب الهولندي، لتمارس عليه ضغوطات شديدة لتمثيل الطواحين، إلا أنه اختار المغرب. وقد تسبب له هذا القرار في مواقف صعبة، من خلال استهدافه بعبارات عنصرية ورشقه في الملاعب. كما وصفه أسطورة الكرة الهولندية، ماركو فان باستن، مدربه السابق في هيرنفين، بـ"الغبي"، لاختياره المغرب على حساب هولندا.

فجاء الرد سريعا من زياش، الذي قاد الأسود للتأهل لمونديال روسيا 2018، بينما غابت هولندا عن البطولة. وكان بادو الزاكي، مدرب الأسود السابق، هو من تصدى لمحاولة فان باستن إقناع زياش بتمثيل هولندا، عبر تكثيف زياراته للقائه.

وكان أشهر تصريح للاعب، لوسائل الإعلام الهولندية، من أجل تبرير اختياره للأسود، عندما قال "دمي ليس برتقاليا كي ألعب لهولندا، دمي أحمر مثل علم المغرب". ويعد زياش هداف الأسود الحالي بـ12 هدفا، ساهم بها في إنجازات مهمة لمنتخب بلاده.

كما دخل التاريخ مؤخرا، كأول لاعب في الكرة المغربية، يسجل ثنائية في مرمى الكاميرون، وذلك لحساب تصفيات بطولة أمم أفريقيا 2019، حيث قاد الأسود للفوز على هذا المنتخب، للمرة الأولى.وقد أدى التألق الكبير لزياش مؤخرا، إلى ارتفاع قيمته التسويقية بشكل لافت، فبعدما انتقل لأياكس مقابل 15 مليون يورو فقط، حددت صحيفة سوفوت سعره الحالي بـ55 مليون يورو. وذلك رغم وجود بند في عقده مع النادي الهولندي، يتيح فك ارتباطه بـ25 مليون يورو فقط.

لذا يعدّ زياش اللاعب المغربي الأعلى قيمة عبر التاريخ، كما أن سعره مرشح للتضاعف في الميركاتو، لو حقق ألقابا مهمة هذا الموسم.

وبينما ينافس الدولي المغربي على العديد من الألقاب، سواء مع ناديه، أو منتخب بلاده الذي تنتظره بطولة أمم أفريقيا، ووفقًا للعديد من التقارير الصحافية، تتعقب زياش خطوات العملاق البافاري، بايرن ميونيخ، ورباعي إنكلترا الكبير، مانشستر سيتي ويونايتد وليفربول وأرسنال. وعن سر تألق أياكس، وإطاحته بكبار المشاركين في البطولة القارية، شدد زياش بأن الروح الجماعية العالية بين جميع اللاعبين، وراء انتفاضة الفريق بـ"تشامبيونز ليغ"، وتمكنه في فرض نفسه خصما استثنائيا.

يعترف ابن بركان بأنه عاشق ولهان بالأسطورتين الفرنسي زين الدين زيدان والبرازيلي رونالدينيو، والذي كان يدمن مشاهدة فيديوهاتهما في الصغر ويقلدهما، ويتمنى السير على خطاهما، كما أثار الألماني مسعود أوزيل فضول الشاب المغربي الذي أراد أن يوقع على مشوار احترافي مماثل لعندليب المانشافت.

لا يكاد يمر موسم في هولندا إلا ويصعد فيه حكيم منصات التتويج، حيث اختير ثلاث مرات أفضل صانع ألعاب بالإيرديفيزي (2016، 2017، 2018)، كما توج بجائزة أفضل لاعب في هولندا عام 2018 ليصبح ثالث مغربي يظفر بها بعد منير الحمداوي (2009) وكريم الأحمدي (2017)، والتاريخ غزاه من الباب الواسع سواء مع تفينتي أو أياكس الذي حطم معه كل الأرقام.

الفقر والمعاناة والصعوبات التي عاشها زياش في طفولته، استمد منها القوة والدافع والحافز ليكون بطلا ونجما مشهورا، وأيضا إنسانا يحب مساعدة الآخرين وفعل الخير، وهو ما يتجلى سنويا بدعمه لجمعيات خيرية في المغرب، واستجابته لكل النداءات والطلبات، كما كان من المسارعين للمؤازرة المالية والمعنوية لعدة لاعبين، أبرزهم صديقه عبدالحق نوري وليون دي كوغل.

> **بينما ينافس الدولي المغربي على عديد الألقاب، سواء مع ناديه، أو المنتخب الذي تنتظره بطولة أفريقيا، تتعقب زياش خطوات البافاري، بايرن ميونيخ، ورباعي إنكلترا الكبير**

عروض مغرية

انضم فريق إشبيلية الإسباني لكرة القدم إلى ركب الأندية الراغبة في الاستفادة من خدمات الدولي المغربي حكيم زياش، المحترف بصفوف أياكس أمستردام الهولندي، لتقوية متوسط ميدانه ابتداء من الموسم المقبل. وحسب وسائل إعلام فإن الطاقم الفني لفريق إشبيلية يرغب في التعاقد مع زياش، خلال الميركاتو الصيفي المقبل، بغية تقوية متوسط ميدانه والاستفادة من الإمكانات الكبيرة والخبرة التي راكمها نجم الأسود، لاسيما عقب تألقه في مسابقة دوري الأبطال الأوروبية ومساعدة ناديه على بلوغ المربع الذهبي بعد إطاحته بفريقي ريال مدريد في دور ثمن النهائي ويوفنتوس الإيطالي في ربع النهائي.

وجدد الفريق الأندلسي رغبته في التعاقد مع المايسترو المغربي بعد أن طالب بضمه خلال موسم 2015–2016 عندما كان المدير الرياضي مونتشي (أيس روما) يشرف على تعاقدات الفريق، لكن لم يكتب للصفقة أن تنتهي كما اشتهت رياح اشبيلية. ويمني المكتب المسير الحالي النفس بأن تكون نهاية الصفقة سعيدة هذه المرة، رغم العروض المغرية التي توصل بها اللاعب.

ويقدم المايسترو المغربي، البالغ من العمر 26 سنة، مستوى متميزا ولافتا، سواء في مسابقة الدوري الهولندي الممتاز أو في دوري الأبطال الأوروبية، حيث خاض 42 مباراة في جميع المسابقات وساهم في تسجيل 39 هدفا بعد أن سجل 19 وصنع 20 لبقية زملائه.

وتتنافس أندية أوروبية عدة على الظفر بخدمات اللاعب سالف الذكر، من أبرزها بايرن ميونيخ وبوروسيا دورتموند الألمانيان، وأرسنال وليفربول الإنكليزيان، وروما الإيطالي. وأفادت تقارير إعلامية بريطانية أن نادي ريال مدريد الإسباني بدأ يُراقب بشدة نجم أياكس أمستردام الهُولندي والمنتخب المغربي حكيم زياش، وذلك لتفكيره في ضمه إلى صفوف الميرينغي في الميركاتو الصيفي المقبل. وأكدت صحيفة الديلي ميل البريطانية ذائعة الصيت أن أعين مسؤولي النادي الملكي بدأت ترصد بقوة صانع ألعاب أياكس الهُولندي وأسود الأطلس.

كما كشف تقرير صحافي إيطالي، أن برشلونة سيتسبب في أمر سلبي للمغربي حكيم زياش نجم أياكس، خلال الموسم المقبل. وأشار موقع "كالتشيو ميركاتو" الإيطالي، إلى أن إنتر ميلان عاد لمنافسة روما على ضم حكيم زياش، بعد التألق الكبير للاعب المغربي هذا الموسم.

وأوضح الموقع، أن أياكس لن يتخلى عن زياش بسهولة، بعدما سمح بانتقال فرينكي دي يونغ إلى برشلونة مقابل 75 مليون يورو، ويسير على شاكلته، ماتياس دي ليخت، الذي بات قريبا من الانضمام إلى البلوغرانا.

وأكد الموقع الإيطالي أن إدارة أياكس ستتمسك بباقي اللاعبين الموهوبين، للحفاظ على قوة الفريق خلال الموسم المقبل. وسبق أن صرح زياش بأنه لا يعارض الانتقال إلى فريق آخر، إذا اقتنع أن أمامه فرصة أفضل من التواجد مع أياكس، وهو ما يفتح الباب أمام رغبة النجم الهولندي في تمثيل أحد كبار أوروبا. ورفض الدولي المغربي، الحديث عن مستقبله رفقة فريقه الهولندي، مشيرا إلى أن الوقت لم يحن بعد لهذا الحديث، وسيأتي في مستقبل الأيام لكونه الآن سيستمتع بالكرة مع أياكس ولا يفكر في أي شيء آخر في الوقت الراهن.

وجاء هذا في تصريح صحافي لإحدى القنوات الدولية التي استضافته عقب نهاية مباراة فريقه ضد توتنهام الإنكليزي برسم ذهاب نصف نهائي أبطال أوروبا، وقال في رده عن سؤال مستقبله "دعنا نقول لكل حادث حديث، ونترك المستقبل للمستقبل".

شكر وثناء

ويأتي هذا بعدما كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن رغبة مجموعة من الأندية الكبيرة بأوروبا في ضمه لصفوفها، حيث أوردت عدة تقارير إعلامية أن النجم المغربي تلقى عروضا من كبريات الأندية وأبرزها بايرن ميونيخ وريال مدريد.

وبخصوص مقابلة فريقه مع توتنهام قال إن فريقه قدم شوطا أول مثاليا، وأن الشوط الثاني كان صعبا، وأن النتيجة كانت أمثل، مضيفا "نريد أن نلعب بطريقة جماعية وهذا هو سر النجاح، والفريق يسعى إلى الوصول إلى النهائي".

وأثنى المدرب هيرفي رينارد، بالمستوى الكبير الذي قدمه النجم المغربي حكيم زياش في اللقاء، الذي جمع نادي أياكس بنظيره توتنهام هوتسبير، في ذهاب نصف نهائي دوري أبطال أوروبا.

وأكد رينارد في تصريح لمجلة "سو فوت" الفرنسية، أن زياش قدّم مردودا كبيرا هجوما ودفاعيا، إذ كان يعود إلى مناطق فريقه ليقدّم الدعم الدفاعي لزملائه، كذلك بالنسبة إلى اللاعبين نيرس وتاديتش، الذين أظهروا قتالية كبيرة وروح جماعية جد عالية.

وشدد المدرب الوطني أن انتصار أياكس كان منطقيا، كون النادي الهولندي بدا صاحب اليد العليا في الـ35 دقيقة الأولى، وبعد ذلك أظهر الفريق التزاما كبيرا بالواجبات الدفاعية، خاصة اللاعبين أصحاب الأدوار الهجومية، الذين بذلوا جهدا كبيرا بمساندة رفاقهم دفاعيا. ولم يستثن المدرب الفرنسي المغربي الآخر نصير مزراوي، مشيرا إلى أنه أبلى البلاء الحسن عند دخوله، وشغله لمركز غير الذي اعتاد عليه، مؤكدا أن أياكس الأوفر حظا للعبور إلى نهائي دوري أبطال أوروبا.

نهائي تونسي مغربي في دوري أبطال أفريقيا 2019

الترجي والوداد يعودان ببطاقتي النهائي من لوبومباشي وبريتوريا

تأهل الوداد الرياضي المغربي إلى نهائي دوري أبطال أفريقيا لكرة القدم عبر تعادله السلبي مع مضيفه ماميلودي صن داونز، السبت، في إياب المربع الذهبي للبطولة، ويلتقي الوداد في النهائي مع الترجي التونسي الذي تغلب على مازيمبي الكونغولي (1 –صفر) في مجموع لقاءي الذهاب والإياب للمربع الذهبي.

مرور صعب

تونس - عاد الترجي التونسي حامل اللقب والوداد البيضاوي المغربي بطل النسخة قبل الماضية ببطاقتي الدور النهائي لمسابقة دوري أبطال أفريقيا في كرة القدم بتعادلهما السلبي مع مضيفيهما مازيمبي الكونغولي الديمقراطي وماميلودي صن داونز الجنوب أفريقي على التوالي، السبت، في إياب نصف النهائي.

ودافع الممثلان العربيان بسبالة على فوزيهما الثمينين على أرضهما ذهابا، حيث تغلب الترجي (1–صفر) على مازيمبي بطل 2015، السبت الماضي في رادس، والوداد البيضاوي (2–1) على صن داونز بطل 2016، الجمعة الماضي في الرباط.

وهي المرة الأولى في تاريخ المسابقة القارية التي يبلغ أبطال النسخ الأربع الأخيرة الدور نصف النهائي، والثالثة على التوالي التي يكون فيها الدور النهائي عربيا بعد تتويج الوداد البيضاوي والترجي على حساب الأهلي المصري.

وسيكون الدور النهائي بين الترجي والوداد البيضاوي إعادة لمواجهتها في الدور ذاته عام 2011 عندما نال الفريق التونسي اللقب، ويقام الدور النهائي في 24 مايو الحالي ذهابا في الرباط، وفي 31 منه إيابا في رادس.

ويسعى الترجي للقبه الرابع في ثامن نهائي في المسابقة بعد تتويجه أعوام 1994 و2011 و2018، والوداد البيضاوي بقيادة مدربه التونسي فوزي البنزرتي إلى لقبه الثالث في رابع نهائي في تاريخه بعد تتويجه عامي 1992 و2017.

وفي المباراة الأولى في لوبومباشي، يدين الترجي بتأهله للمرة الثانية توالياً إلى الدور النهائي، إلى حارسه معز بن شريفية الذي أنقذ مرماه من عدة أهداف محققة.

وكانت أول وأخطر الفرص للفريق التونسي عبر أيمن بن محمد بتسديدة قوية من خارج المنطقة أبعدها الحارس العاجي سيلفان غبوهويو بصعوبة إلى ركنية في الدقيقة 29، وركلة حرة مباشرة للجزائري يوسف بلايلي مرت بجوار القائم الأيسر في الدقيقة 32.

وبدأ بن شريفية تألقه في الدقيقة 35 عندما أبعد تسديدة قوية لميشاك إيليا من داخل المنطقة قبل أن يشتتها الدفاع، ثم أبعد تسديدة أخرى للاعب نفسه من داخل المنطقة أيضا إلى ركنية في الدقيقة 44، وتصدى لكرة قوية للزامبي رينفورد كالابا من مسافة قريبة إثر ركلة ركنية في الدقيقة 45+1.

ونزل مازيمبي بكل ثقله في الشوط الثاني، وتوغل كالابا داخل المنطقة ولعب كرة عرضية مرت بجوار القائم الأيسر للحارس بن شريفية في الدقيقة 54.

وأنقذ الحارس التونسي مرماه من هدف محقق بإبعاده كرة أكروباتية لبن مالانغو، بديل تريزور مبوتو، وحوّلها إلى ركنية لم تثمر شيئا في الدقيقة 57، ثم تابع تألقه بإبعاده تسديدة كالابا من داخل المنطقة في الدقيقة 68، ثم رأسية لمالانغو في الدقيقة 74.

وحرمت العارضة مازيمبي من هدف بردها رأسية مالانغو في الدقيقة 90+2، ثم تصدى بن شريفية لتسديدة اللاعب نفسه من مسافة قريبة في الدقيقة 90+3.

ولا يمتلك الفريق التونسي تاريخا جيدا خلال مواجهاته السابقة مع مازيمبي بمعقله، حيث سبق أن التقى معه في الكونغو الديمقراطية في أربع مناسبات، تلقى خلالها ثلاث هزائم من بينها الخسارة القاسية (5–صفر) في نهائي نسخة المسابقة عام 2010، مقابل تعادل وحيد، دون أن يحقق أي انتصار.

ومع ذلك فالترجي المتوج باللقب أعوام 1994 و2011 و2018، حقق قبل لقائه السبت، نتائج مميزة حققها في النسخة الحالية، حيث يعد الفريق الوحيد الذي ظل محافظا على سجله خاليا من الهزائم طوال مشواره بالمسابقة.

من جانبه، فاز مازيمبي في جميع لقاءاته الخمسة السابقة التي لعبها بلوبومباشي، وشهدت تسجيله 17 هدفا فيما تلقت شباكه هدفا وحيدا.

ومازالت الجماهير التونسية تتذكر الخسارة القاسية (8– صفر) التي تلقاها الأفريقي، الممثل الثاني للكرة التونسية في النسخة الحالية للبطولة، أمام مازيمبي في مرحلة المجموعات، والتي كانت سببا في خروجه مبكرا من المسابقة.

وفي المباراة الثانية في بريتوريا، حجز الوداد البيضاوي بطاقته بفضل الصلابة والروح القتالية والأداء الجماعي للاعبيه الذين حرموا صن داونز من فرض أسلوب لعبه وغلقوا المساحات أمام الضيوف الذين كانوا أكرموا وفادة الأهلي المصري بخماسية نظيفة على الملعب ذاته في ذهاب الدور ربع النهائي.

وتغلب الوداد البيضاوي على الصعوبات التي واجهها في المباراة، خصوصا مع غياب نجمه محمد أوناجم بسبب الإصابة وقائده لاعب الوسط إبراهيم النقاش والمدافع محمد الناهيري بسبب الإيقاف، حتى أنه كان بإمكانه الخروج فائزا لو استغل مهاجموه المرتدات الخطيرة التي قاموا بها خصوصا البديل النيجيري مايكل باباتوندي.

وغابت الفرص الحقيقية للتسجيل عن الشوط الأول باستثناء توغل زهير المترجي داخل المنطقة ولعب كرة عرضية إلى وليد الكرتي أبعدها المدافع تيبوغو لانغرمان بصعوبة إلى ركنية في الدقيقة 25.

وكانت أول فرصة حقيقية للفريق الجنوب أفريقي من تسديدة قوية لصانع ألعابه لياندرو سيرينو من خارج المنطقة بين يدي الحارس محمد رضا التكناوتي في الدقيقة 50.

وأهدر باباتوندي، بديل المترجي، فرصة ذهبية لافتتاح التسجيل عندما تلقى كرة رائعة من المتوغل داخل المنطقة بديع أووك فاستدار حول نفسه مراوغا المدافع نوسا ليبوسا ولعبها بغرابة بعيدا عن الخشبات الثلاث في الدقيقة 66. وتدخل الحارس الأوغندي دينيس أونيانغو في توقيت مناسب للتصدي لانفراد باباتوندي في الدقيقة 77، وكاد المضيف يفعلها عندما توغل ثيمبا زواني داخل المنطقة وحاول التسديد، لكن المدافع أيوب العملود أبعد الكرة في توقيت مناسب إلى ركنية لم تثمر في الدقيقة 80.

واكتفى الوداد البيضاوي المغربي، الفائز بالبطولة عامي 1992 و2017، قبل لقائه، السبت، أمام صن داونز، في مدينة بريتوريا بجنوب أفريقيا بتسجيل 3 أهداف فقط خارج ملعبه، فيما تلقت شباكه 7 أهداف، ومباراة السبت، هي الثانية التي يلعبها الفريق أمام نظيره الجنوب أفريقي في مدينة بريتوريا (معقل صن داونز) هذا الموسم، بعدما سبق أن خسر أمامه (1–2) في مرحلة المجموعات في شهر يناير الماضي. وخلال سبع مواجهات جرت بين الفريقين بدوري الأبطال حقق الوداد 4 انتصارات مقابل فوزين لصن داونز، فيما فرض التعادل نفسه في مباراة وحيدة.

ومن جانب آخر لم يتكبّد صن داونز أي هزيمة بملعبه في النسخة الحالية للمسابقة، حيث لم يعرف الفريق الجنوب أفريقي سوى لغة الفوز في جميع مبارياته الخمس التي لعبها في ملعبه، قبل لقاء العودة ضد الوداد البيضاوي.

وسجل صن داونز 17 هدفا خلال مبارياته التي خاضها في جنوب أفريقيا، في حين تلقى هدفين فقط، غير أن انتصاره الأكبر والأخير في النسخة الحالية للمسابقة، مازالت أصداؤه مسموعة في القارة الأفريقية حين اكتسح الأهلي المصري (5–صفر)، ليطيح بالفريق صاحب الرقم القياسي في عدد مرات الفوز بالبطولة من المسابقة مبكرا.

القديس يعيش

مراد البرهومي
كاتب وصحافي تونسي

أفق يا كاسياس وانهض، أفق وانطلق، داعب الكرة ولاعبْ، راوغ المرض العارض، وعارض الأزمة الصحية وحارب، وليطمئن قلبك ويخفق.

اصبر على ما أصابك ولا تستسلم، فالأهوال التي مررت بها في السابق كانت أشد قسوة وبطشا، كانت أكثر إيلاما وحدّة، فهي أبكتك كثيرا وأرهقتك وفطرت فؤادك، لكن في كل مرة كنت تقاوم وتنجح، فتعود أقوى.

اليوم ستعود أقوى بقلب سليم معافى، ستملأ الدنيا بحماسك وبهجتك وقفزاتك التي جعلتك في السابق مثل فراشة طائرة أقلعت بأحلام الريال والمنتخب الإسباني إلى عنان السماء.

عبارات لا أدري كيف تراقصت وانطلقت بمجرد سماع خبر تعرض الحارس السابق لريال مدريد ومنتخب إسبانيا إيكر كاسياس إلى أزمة قلبية أثناء تأدية تدريباته مع فريقه بورتو البرتغالي منتصف الأسبوع الماضي.

من حسن حظه أنها مرت بسلام، لم تكن حادة، ربما جاءت لتعبث مع الشخص الخاطئ، فكاسياس لا يستسلم بسهولة، هو يحب التحديات وخوض المغامرات، لقد بدا وكأنه راوغ "الموت" وتمكن من الإفلات من قبضته، إذ لن تنال منه مجرد أزمة قلبية، الكل تعاطف مع كاسياس، الكل هلع وذعر وخشي على حياة القديس، لكن القديس سيعيش.

ما أصابه ليس سوى حلقة جديدة من حلقات الكبوات واللطمات التي مرّ بها طوال مسيرته الرياضية، فإيكر لم يجد دوما الطريق مفروشة بالورود، لقد كتب فصول سيرته ومسيرته الرائعة بأحرف من ذهب وكلمات من دموع.

صحيح أن باب الشهرة فتح أمامه في وقت مبكر للغاية، بما أنه خاض أول مباراة رسمية مع الفريق الأول للريال وهو في ربيعه السادس عشر ولعب مع المنتخب الإسباني قبل أن يبلغ سن العشرين، لكنه تعب وصبر كثيرا.

إيكر تلقى طوال مسيرته الكروية العديد من الصفعات، لم تقتله، لكنها صقلت شخصيته وطوّرت قدراته على التحمل.

عندما كان فتى يافعا أغرته أضواء الشهرة والنجاح المبكر خاصة بعد تصعيده إلى الفريق الأول للريال، لكنه فقد فجأة مكانه الأساسي وبقي فترة طويلة حبيس دكّة البدلاء.

لم يستسلم، بل عمل جاهدا على تحسين قدراته وصبر وانتظر حتى سنحت له الفرصة من جديد ليساهم وهو في سن مبكرة في تتويج فريقه بدوري الأبطال سنة 2000.

صفعة أخرى تلقاها هذا الحارس الشاب، لقد تخيل أنه سيكون الحارس الأول لفترة طويلة إلاّ أن مستواه تراجع بشكل لافت، فخسر مركزه الأساسي، عاد مجددا حبيسا لدكّة البدلاء.

كفكف دموعه وعاد للعمل، ثابر وكافح وانتظر فرصة أخرى، ليأتي الفرج والفرح سريعا، حيث نجح بعد موسم واحد من الإخفاق في العودة إلى مركز الحارس الأول، عاد وقاد الريال للقب جديد ضمن دوري الأبطال سنة 2002.

مرّ إيكر إلى السرعة القصوى ودشّن حقبة ذهبية خالدة سواء مع ريال مدريد أو المنتخب الإسباني، تذوّق حلاوة البطولات الكبرى وأبرزها على الإطلاق كأس العالم سنة 2010 وبطولة أمم أوروبا سنتي 2008 و2012.

غير أن اللطمات كانت ميزة مسيرة كاسياس، وكانت الدموع ملاذه الدائم، ففي زمن المدرب السابق لريال مدريد جوزيه مورينيو خسر هذا اللاعب مكانه الأساسي، لقد تفاجأ كل محبيه بإبعاده من قبل المدرب البرتغالي الذي أدرك أن مستوى هذا الحارس في تراجع.

كاسياس لا يستسلم بسهولة، هو يحب التحديات وخوض المغامرات، لقد بدا وكأنه راوغ «الموت» وتمكن من الإفلات من قبضته، إذ لن تنال منه مجرد أزمة قلبية

أراد كاسياس مثل دأبه أن يقاوم، لكنه تلقى صدمة أقوى، كانت بمثابة الضربة القاضية، إذ أعلنت إدارة الريال أن الحارس التاريخي والأسطوري للفريق ولمنتخب إسبانيا وحامل الرقم القياسي في عدد المشاركات ضمن دوري الأبطال لم يعد له مكان في البيت الملكي.

انتهت مسيرة 16 عاما من العهد الملكي في مدريد بلا وداع يليق، انتهت فقط بالدموع، حصل ذلك سنة 2015، كانت لحظات فارقة في مسيرة هذا الحارس الفذّ، كانت مشاعر بمرارة العلقم، لقد انسكبت دموعه مدرارا، إذ كيف له أن يغادر بيته الذي نشأ فيه وترعرع؟ كيف له أن يترك أزقة القلعة البيضاء وحواريها؟

بيد أنه لم يستسلم، حاول النهوض بسرعة، حاول بدء عهد جديد والتعايش مع واقع مختلف وبعيد عن العاصمة مدريد، لم ينتظر كثيرا، إذ فتح أمامه بورتو الباب، رحّب به الجميع هناك في البرتغال، لتتواصل مسيرة لاعب شارف على سن الاعتزال، لكن مع كاسياس الاستسلام مُحال.

مرّ أيقونة ريال مدريد بفترات صعبة مع الفريق البرتغالي، فتقدمه في السن لم يساعده كثيرا في البداية على تقديم أفضل ما لديه، لم تكن دنياه الجديدة جميلة، حيث خسر في فترات طويلة مكانه الأساسي.

عمل بصمت وبجهد كبير، آثر مثل عادته ترصّد الفرصة، فأتت من جديد لينتزع هذا الموسم مركز الحارس الأول ويقدم أداء جيدا، رغم أنه شارف على تخطي سن السابعة والثلاثين.

منذ أيام قليلة كان يتأهب لمساعدة فريقه لمواصلة المنافسة على لقب الدوري المحلي، لكن تلك الأزمة القلبية اللعينة أبعدته قسرا.

ربما تلك اللطمة قد تجبره على الاعتزال نهائيا، لكن روح المقاومة الساكنة في قلب كاسياس ستجعله يعود من جديد، ستبث فيه دوما جذوة الحياة، ستجعل القديس يعيش.

توتنهام يواصل التخبط بسقوطه في بورنموث

لندن - تابع توتنهام ثالث الترتيب تخبطه وخسر للمرة الثالثة في أربع مباريات، السبت على أرض بورنموث (1–0) ضمن المرحلة الـ37 قبل الأخيرة من الدوري الإنكليزي لكرة القدم، في مباراة أكمل نصفها تقريبا بتسعة لاعبين.

وتجمد رصيد توتنهام عند 70 نقطة، وبات مركزه الثالث مهددا في حال فوز تشيلسي الرابع (68 نقطة) على ضيفه واتفورد، الأحد.

وكان توتنهام سيضمن الحلول بين الأربعة الأوائل في حال فوزه، وبالتالي تأهله إلى دوري أبطال أوروبا الموسم المقبل.

ولاح التوتر على لاعبي الفريق اللندني، فخسر اثنين منهما بداعي الطرد، أولهما المهاجم الكوري الجنوبي الدولي سون هيونغ-مين في نهاية الشوط الأول، ثم المدافع الأرجنتيني البديل خوان فويث مطلع الشوط الثاني بعد نحو دقيقتين من نزوله.

واستعد توتنهام، الذي لا يزال يفتقد لهدافه الدولي المصاب هاري كين، بشكل سيء لإياب نصف نهائي دوري أبطال أوروبا، الأربعاء، حيث سيحاول تعويض خسارته على أرضه أمام أياكس أمستردام الهولندي (0–1).

وأصبح الحارس الأيرلندي الشاب مارك ترافرس (19 عاما) حارس بورنموث، أول حارس مراهق يستهل مشواره في البريميرليغ بعد جو هارت عام 2006.

توتر فهزيمة

العرب
الأحد 2019/05/05
السنة 41 العدد 11339

محاكاة لاصطدام كويكب بالأرض تنتهي بكارثة

انتهى تمرين محاكاة اصطدام كويكب بالأرض بالقضاء على مدينة نيويورك، حيث فشل علماء في تحويل مساره، الجمعة، إثر تمرين استمرت تحضيراته ثماني سنوات من قبل وكالة الفضاء الأميركية (ناسا).

تمرين يقوم على حالة قصوى

واشنطن - بعد تدمير الكوت دازور في 2013 وداكا في 2015 وإنقاذ طوكيو في 2017، انتهى تمرين محاكاة اصطدام كويكب بالأرض، الجمعة، على كارثة مع قضائه على مدينة نيويورك، ورغم تحضيرات استمرت ثماني سنوات، فشل البشر في تحويل مسار الكويكب في هذا التمرين، وأصبح الأخير موعدا منتظما لأوساط "الدفاع الكوكبي" في العالم.

وبوشرت هذه النسخة الجديدة، الاثنين، في إطار مؤتمر قرب واشنطن مع الإنذار التالي: رصد تلسكوب كويكبا قطره ما بين 100 و300 متر يسير بسرعة 14 كيلومترا في الثانية مع احتمال سقوطه على الأرض بنسبة 1 بالمئة في الـ29 من أبريل 2027.

وكان نحو 200 عالم فلك ومهندس وخبير في حالات الطوارئ يتلقون معلومات جديدة ويطرحون اقتراحات وينتظرون قرارات القيمين على التمرين الذي صممه مهندس في صناعات الفضاء من وكالة الفضاء الأميركية (ناسا)، وقد ارتفع احتمال أن يتحطم الكويكب على الأرض إلى 10 بالمئة.. ثم إلى 100 بالمئة.

وقررت الناسا إرسال مسبار العام 2021 لرصد التهديد، وفي ديسمبر 2021، أكد علماء الفلك أن الكويكب يتجه مباشرة إلى منطقة دنفر في ولاية كولورادو وسيقضي عليها كليا.

فقررت عندها القوى الفضائية العظمى، أي الولايات المتحدة وأوروبا وروسيا والصين واليابان، بناء ست مركبات مهمتها ضرب الكويكب لتحويل مساره، واستغرق بناء المركبات وقتا طويلا وكان من الضروري تنسيق المدارات وعمليات الاصطدام المقررة في أغسطس 2024.

وتمكنت ثلاث منها من ضرب الكويكب، إلاّ أن جزءا من ستين مترا من الكويكب واصل طريقه باتجاه الأرض، فقررت الولايات المتحدة إرسال مهمة أخيرة مع شحنة نووية تساعد على تغيير مسار الحجر النيزكي وهو إجراء أنقذ طوكيو في التمرين السابق، إلاّ أن اختلافات سياسية حالت دون تنفيذ الخطة، ولم يبق أمام السلطات سوى الاستعداد.

وقبل ستة أشهر على الموعد تم تحديد المنطقة المستهدفة بدقة أكبر فتبين أنها نيويورك، وقبل شهرين بات علماء الفلك على ثقة كاملة بأن الحجر سيدمر المدينة، وقد دخل الغلاف الجوي بسرعة 69 ألف كيلومتر في الساعة وانفجر على ارتفاع حوالي 15 كيلومترا فوق سنترال بارك، وكانت قوة انفجار الكويكب أقوى بألف مرة من قنبلة هيروشيما.

وقال العلماء إن قوة دفع الانفجار أتت على كل شيء في شعاع قدره 15 كيلومترا وتحوّلت مانهاتن إلى دمار وتحطم الزجاج في منطقة قطرها 45 كيلومترا، وامتدت الأضرار على 68 كيلومترا، أما المشكلات الناجمة عن الحادث فلا تعد ولا تحصى. فكيف يمكن إجلاء ستة ملايين نسمة؟

الأعاصير المنتظمة التي تضرب المنطقة تظهر صعوبة هذه المهمة، وتقول براني جونسون ممثلة "السكان الغاضبين" في التمرين، "مدة شهرين غير كافية للإجلاء، ستكون هناك طوابير من شاحنات النقل، من سيدفع؟ من سيستقبل اللاجئين؟ كيف تتم حماية المنشآت النووية والكيميائية والأعمال الفنية؟ كيف سيتصرف السكان في مواجهة وضع كارثي كهذا؟".

وتساءلت فيكتوريا أندروز من مكتب الدفاع الكوكبي في الناسا "عندما يعرف المرء أن منزله سيدمر بعد ستة أشهر هل يستمر في تسديد القرض؟". وناقش المشاركون مطولا مسائل قانونية وأخرى تتعلق بالتأمين فقد أنقذت الولايات المتحدة دنفر، إلاّ أنها دمرت نيويورك عن غير قصد.

وتقول أليسا حداجي من جامعة هارفرد ومنسقة مجموعة من 15 محاميا متخصّصين بالقانون الفضائي شكلت للرد على هذه الأسئلة "في هذه الحالة واستنادا إلى القانون الدولي ينبغي على الولايات المتحدة بصفتها الدولة المطلقة دفع تعويض مع أنها ليست مخطئة، وهذا التمرين يقوم على حالة قصوى".

ويؤكد بول شوداس المهندس الأميركي الذي صممه "من غير المرجح أن يحصل ذلك، إلاّ أننا أردنا عرض كل المشكلات ومناقشتها".

واستغل علماء فلك الفرصة للدفاع عن مشروع التلسكوب الفضائي "نيوكام" الذي من شأنه السماح برصد الكويكبات والتصرف في وقت أبكر في حال وجود تهديد.

وجبة الإفطار تؤجج الانقسام في الصراع الليبي

طرابلس - يعبّر ما يقع تناوله على الإفطار عن الخلافات في ليبيا، حيث تتنافس مناطق وقبائل وفصائل مسلحة وبلدات بعاداتها المختلفة على السلطة منذ الإطاحة بمعمّر القذافي في 2011.

وأدى هجوم تقوده قوات شرق ليبيا (الجيش الوطني الليبي) بقيادة خليفة حفتر لانتزاع السيطرة على طرابلس الشهر الماضي إلى انهيار الجهود التي تدعمها الأمم المتحدة للتوصل إلى اتفاق سلام بين الفصائل المتنافسة.

وأصبح اختيار الإفطار جزءا من لغة الصراع وموضوعا مثيرا للتوتر، ويفضل سكان المناطق الراقية بالعاصمة نوعا من المخبوزات يسمى "بريوش" (الكرواسون)، يقول البعض إن الكلمة مصدرها البريوش الذي أدخله الإيطاليون خلال الحقبة الاستعمارية إلى ليبيا مع القهوة والكابتشينو.

ولا يقبل هؤلاء على طبق الفاصوليا الذي يفضله سكان شرق ليبيا، ويقدم في بعض الأحيان مع البيض وهو يشبه أطباق الإفطار في دول عربية أخرى.

وقال محمد صلاح وهو من سكان طرابلس "البريوش يعبر عن طرابلس، عن الحياة الراقية".

ويشير أبناء شرق ليبيا إلى سكان طرابلس باسم "البريوش" أو سكان المدن الضعفاء الذين يفتقرون لمهارات القتال. وقال عمر الزياني المقيم في بنغازي بشرق ليبيا "أتردد على طرابلس بانتظام للعمل.. حين نناقش السياسة ويشعر شخص ما بأنه يخسر المناقشة، يبدأ باستفزازي بالفاصوليا، فأرد عادة مستخدما البريوش".

وخلال مظاهرة ضد حفتر الشهر الماضي في طرابلس لوح عدة متظاهرين بالكرواسون بينما كانوا يرددون الهتافات. وقال أحد المحتجين وهو محاضر بالجامعة يدعى عبدالملك السفراني إن البريوش يظهر أن السكان المحليين "راقون ويرتادون المقاهي، أقوياء ومتحدون في عزمهم على القتال وإجبار القوة المهاجمة على الانسحاب".

وتهكم المتحدث باسم الجيش الوطني الليبي على المتظاهرين في مؤتمر صحافي في ما بعد، وقال أحمد المسماري "الأهم الآن هو البريوش"، ووصف شخصا يوزع المخبوزات بأنه "إرهابي". أما سكان الشرق فيشتكون من أن هذه الإشارة تذكرهم بسنوات حكم القذافي الذي يقولون إنه كان يوفر فرص عمل في الغرب، لكنه عاقب شرق ليبيا بالإهمال لمعارضته له.

وتقول ماري فيتزجيرالد التي تجري أبحاثا عن ليبيا منذ العام 2011 إنه على الرغم من أن الأمر قد يؤخذ "على سبيل المزاح"، فإنه يرمز لأسس الانقسام التي يقوم عليها الصراع.

وأضافت "يعكس هذا كيف عمّق الانقسام، الأفكار عن الهوية على أساس الانتماء إلى المدينة أو الأقاليم".

النحس يطارد دينا الشربيني بسبب «زي الشمس»

القاهرة - تواجه الفنانة المصرية دينا الشربيني أزمة جديدة بسبب مسلسل "زي الشمس"، الذي تخوض به ثاني بطولة مطلقة لها في السباق الرمضاني الذي شارف على الانطلاق.

وتواجه الشربيني أزمة جديدة مع الفنانة نجلاء بدر، وذلك بعد قيامها بتصوير بعض المشاهد داخل مقبرة عائلتها دون الرجوع إليها، واكتشافها الأمر من خلال "برومو" المسلسل الذي عرض مؤخرا. وذكرت بعض الأخبار أن نجلاء بدر قررت اتخاذ كافة الإجراءات القانونية ضد صناع العمل، وذلك على الرغم من تأكيدهم أن ما حدث غير مقصود، وأنه تم الاتفاق مع حارس المقبرة للتصوير فيها، وهو لم يمانع وظنوا وقتها أنه قام بإبلاغها.

ولم تكن هذه الأزمة الوحيدة التي واجهت المسلسل، فبعد طرح الأفيش الرسمي له أبدى الفنان السوري جمال سليمان غضبه من وضع صورته في آخر الملصق الدعائي للأفيش وتصدر دينا الشربيني لكل نجوم العمل، وهو الأمر الذي اعتذر عنه صناع العمل مؤكدين أن هذا ليس "البوستر" النهائي، ليتقبل النجم السوري الاعتذار.

فيلم «استبيان» يفوز بجائزة مهرجان العين السينمائي

أبوظبي - توج فيلم "استبيان" للمخرجة الأردنية هند عنبتاوي بجائزة مسابقة الصقر للفيلم العربي والأجنبي في مهرجان العين السينمائي الذي أسدل الستار عليه، مساء الجمعة، ومنحت لجنة التحكيم شهادة تقدير للفيلم الوثائقي "تقاطع الصداقة" للمخرج السوري وليد طلال المدني.

والمسابقة البالغ قيمتها 30 ألف درهم (نحو 8.200 دولار) خصصت للمخرجين العرب والأجانب المقيمين في دولة الإمارات.

وفي مسابقة الصقر الإماراتي فاز بجائزة الفيلم الطويل وقيمتها 50 ألف درهم (حوالي 13.600 دولار) فيلم "مسك" للمخرج حميد السويدي، وحصلت نورة العابد على جائزة أفضل ممثلة عن دورها في فيلم "ولادة" للمخرج عبدالله حسن أحمد.

وفي فئة الفيلم القصير بالمسابقة ذاتها ذهبت الجائزة وقيمتها 40 ألف درهم (نحو 10.900 دولار) لفيلم "سرمد" من إخراج عبدالله الحميري، وفازت فاطمة الطائي بجائزة أفضل ممثلة عن دورها في فيلم "مريم"، فيما حصد فيلم "ضوء خافت" للمخرج وليد الشحي جائزة أفضل فكرة فيلم وقيمتها 10 آلاف درهم (حوالي 2.700 دولار).

وفي مسابقة الصقر الخليجي فاز بجائزة أفضل فيلم طويل وقيمتها 40 ألف درهم "رولم" للسعودي عبدالإله القرشي، كما حصل السعودي محمود الشرقاوي على جائزة أفضل ممثل عن دوره في فيلم "آخر أيام السيرك".

وفي فئة الفيلم القصير بالمسابقة ذاتها فاز بالجائزة وقيمتها 30 ألف درهم الفيلم السعودي "قضية هند" للمخرجة دينا ناجي.

وقال مدير عام المهرجان عامر سالمين المري في كلمة الختام "مرت أربعة أيام وسط حفاوة حقيقية من صناع السينما والجمهور والضيوف، وقد تحققت إنجازات تشكل وجه المستقبل للمهرجان". وأضاف "في ختام المهرجان نعلن أننا سنبدأ من اللحظة التي انتهت فيها أنشطة وفعاليات الدورة الأولى الإعداد للدورة الثانية التي سيكون موعدها في يناير 2020.

موديلات إسلامية لافتة: عارضة أزياء إندونيسية تشارك في عرض خاص بالأزياء الإسلامية بجاكرتا يقام بمناسبة شهر مضان

صباح العرب

عدلي صادق

بألوان صينية

قبل أيام من دخول شهر رمضان، تمتلئ المحال والطرقات في بلدان المسلمين، بدفق جديد مما يلائم الأسواق في الشهر الفضيل، من المنتجات الصينية، لاسيما الفوانيس بمختلف أحجامها، وسائر المجسدات الرمزية لفكرة الإيمان، ففي رمضان، تتنوع هذه المجسدات، بالكثير من الرسوم والزخارف والتصميمات الفنية المتداولة عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وبكل ما يدل على التهيؤ لأداء المُستحق الرابع من أركان الإسلام!

في هذا السياق، يتحسّس الصانع الصيني الملحد، حاجة الأسواق التي تقوم على متطلبات المستهلك المؤمن، بينما التجار المستوردون يتحسّسون قدرة الأول الصيني على إنتاج ما يمكن بيعه في شهر رمضان، هذا بخلاف المعتاد من الألبسة والأثواب "الشرعية" لزوم صلاة المرأة.

ومعلوم أن الصين، هي التي تنتج كل أنواع المسابح ومفارش الصلاة، والأجهزة التي تنطق بالأدعية والقراءات، وبراويز تطبع عليها باللون الذهبي آيات قرآنية أو بعض قصار السور من كتاب الله، فضلا عن المأثور والمحبب من أبيات الشعر، فالصين تتحرك وتقدّم الجديد، وهي حاضرة بطريق الحرير أو دونه.

تعزّز بالرشاقة التجارية والصناعية، الغلبة التي انعقدت موضوعيا لمنطق الفكر الصوفي الذي يعتمد الحديث النبوي المجازي، الذي يقول إن "الله جميل يحبّ الجمال" على منطق السلفية المتشدّدة الذي يخاصم الفنون الثلاثة: الشعر والموسيقى والرسم، ذلك علما بأن الذي يتجلى في الخليقة، حسب النصوص القرآنية، هو قدرة الله وليس جماله، لكن هذه العبارة لا زالت تُعرض بصيغتها، وبالخط الثلثي البديع، على صحون خزفية!

الصوفية، بمختلف مدارسها، قاومت التشدّد الحرفي والتزمت خط الإيمان الموضوعي، فجعلها المتشدّدون الخشبيون عدوا، وتبدّى ذلك جليا عندما ظهرت النفايات البشرية المتطرفة التي حزّت رؤوس من وصلت أيديها إليهم من العابدين الصوفيين!

كانت الصوفية هي التي أطلقت العنان، تاريخيا، لتطوّر الفنون، وتأسيس ما يُعرف اليوم بـ"الفن الإسلامي" الذي يؤدي وظيفته لتذكير الروح الإنسانية بموطنها ومنشئها السماوي، فلم يعد الجمال وتجسيداته الرمزية يستنفر المؤمنين، بل أصبح شيئا يمكن اعتباره دينيا، وأصبحت القوة السحرية للفنان، التي كانت مخيفة، نوعا من السحر الحلال، حتى ولو كانت الصين هي التي صنعت، الشواهد الرمضانية، فأبواب الدنيا مفتوحة كما أبواب السماء، وهذا ما لا يستطيع السلفي المتشدّد أن يفهمه، حتى عندما يبتاع هو نفسه، في مكة المكرمة، مسبحة وسجادة صلاة، من صنع صيني!